وجيه أبو ذكرى

الزهور تدفن في اليمن



الأديب الكبير أستاذي ثروت أباظة.

يسعدني أن أهدي لك

حكايتنا الأليمة في اليمن، حيث

فقدنا الكثير، وندفع اليوم

ثمنا لخطيئة إشعال الحرب

الأهلية في اليمن.

مع حبي وتقديري

[illegible]

٢٠/٦/١٩٧٨

الزهور تدفن في اليمن

وجيه أبو ذكري

الزهـــور تدفـــن في اليمـــن



وجيـــه أبـــو ذكـــرى

الطبعة الثانية (١٩٧٧)





الى عشرين ألف زهرة مصرية دفنت فى سهول وجبال ورمال اليمن •

الى عشرين ألف أرملة مصـرية عشن ومازلن يعشن بقسوة فى سبيل اليمن •

الى الملايين من الشـعب الصـبور الذى يأكل الخبز الاسـود ، ويشرب ماء ممزوجا بالبلهارسيا ويعيش فى نهاية القرن العشرين على لمبات الغـاز •••

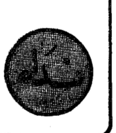
الى هؤلاء ••

أهـدى هذه الرسائل

المؤلف



مقابر الشهداء عام ١٩٦٧
هنا .. يرقد أعظم الرجال .. واشجع الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن



باسم اسوار اليمن التي رفعت والى الابد ..

باسم الرسالة التي قام بها اعظم شبابنا على أرض اليمن .

باسم العطاء والمال والعرق والدموع والدم المصري .

باسم الحياة التي بدأت في اليمن .

باسم آلاف الشهداء الذين دفنوا على جبال اليمن .

لي رجاء .. من الحكومة اليمنية .. أي حكومة .. ورجائي بسيط هو : ان تجمع ما تبقى من عظام شبابنا العظام ، وتبني لهم مقبرة تليق برسالتهم ، لتكون كعبة للعطاء ، وتكتب على هذه المقبرة :

هنا .. يرقد اعظم الرجال .. واشجع الرجال وانبل الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن .

و ١٠



صنعاء فى ٣١ اكتوبر عام ١٩٦٢

زوجتى العزيزة ..

اليك رسالتى الأولى اكتبها لك من صنعاء . عاصمة الجمهورية العربية اليمنية ، ولا أدرى من أين أبدأ هذه الرسالة ؟ ..

هل اتحدث عن المعارك التى بدانا نخوضها ؟ هل احدثك عن ثورة اليمن والامام ، والنظام ، أم أبدأ حديثى معك منذ أن لوحت لك بيدى مودعا فى منزلنا الجميل بضاحية مصر الجديدة وحتى أمسكت القلم لأسطر أول رسالة أكتبها من صنعاء ؟ انى افضل التسلسل الزمنى حتى لا تضيع من ذاكرتى حقيقية ..

هل تذكرين عندما قبلت وحيدى وودعتك وانت لا تعلمين الى أين أنا ذاهب لقد كان ذلك يوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، لقد ذهبت الى انشاص ، وهناك علمت بالمهمة التى تبدو سهلة وهى حماية ثورة اليمن من الرجعية فى المملكة العربية السعودية ومن الاستعمارالبريطانى فى الجنوب العربى والخليج العربى ومسقط وعمان وعدن . وفى المساء جمعنا قائد لواء المظلات وتحدث الينا عن مهمتنا الجديدة ، واليك بعض ما قاله عن هذه المهمة :

بعد قيام الوحدة المصرية السورية ، نظر منجم الامام أحمد الى السماء فوجد أن نجم الرئيس جمال عبد الناصر فى ارتفاع ، فأرسل الامام أحمد ولده الأمير محمد البدر الى القاهرة ليلحق بنجم الجمهورية العربية المتحدة الساطع ، وعقد اتفاقية اتحادية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اليمن ولقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر أن يضع يده فى يد

النظام الامامى العفن فى صنعاء ولكن لكى يبقى فى جنوب الجزيرة العربية ، ليواجه من صنعاء بريطانيا فى جنوب اليمن وعمان والخليج ويحاصر السعودية .

وبناء على هذا الاتفاق الاتحادى ، أرسل الرئيس جمال عبد الناصر بعثة عسكرية مكونة من اثنى عشر ضابطا للتدريب والاشراف على القوات المسلحة اليمنية ، الا ان الامام سجنهم فى قصر الضيافة بصنعاء وحرم عليهم الاتصالات ثم أرسلهم الى القاهرة بعد الانفصال ، وبرغم ذلك فانهم استطاعوا أن يكونوا فكرة صائبة عن اليمن . وقامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وجمع السيد الرئيس جمال عبد الناصر خبراء اليمن لأخذ رأيهم فى تلبية طلب الثوار بامدادهم بقوات عسكرية ، كان رأى الفئات الوطنية فى عدم ارسال قوات والاكتفاء بتقديم المساعدات العسكرية وخبراء عسكريين دون قوات .

وكان رأى كمال الدين حسين وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية عدم التدخل عسكريا فى اليمن ، لأن جراح الانفصال المصرى السورى ما زالت تدمى فى جسد الشعب المصرى ، وان هذا التدخل لا يحمد عقباه وانه سوف يفسد كل خطط التنمية فى الداخل .

وكان رأى الاتحاد السوفياتى ، التدخل لتحقيق ثلاث أهداف رئيسية فى المنطقة :

١ ــ حماية ثورة اليمن .

٢ ــ مواجهة السعودية وبريطانيا فى المنطقة .

٣ ــ فك الحصار عن مصر .

فبعد الانفصال تعيش مصر فى عزلة تامة عن المجتمع العربى ، ولا يوجد لها علاقات طيبة الا مع لبنان والكويت .

واستدعى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر البعثة العسكرية التى كانت حبيسة فى ظل حكم الامام فى اليمن واستشارها الراى ، فقالت انه لا بد من التدخل فى اليمن ، وان القوات المصرية التى سوف تذهب الى اليمن لا تزيد عن كتيبة واحدة ، وهى كفيلة بحماية هذه الثورة .

وقرر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الموافقة على قرار السوفيات ، والبعثة العسكرية المصرية التى عاشت حبيسة فى اليمن .

واصدر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بسفر أول كتيبة الى صنعاء وكنت واحدا منها ، لقد أخطرنا القائد بأن المهمة سهلة ، واننا سنكون فى صنعاء ، وارتدينا الملابس المدنية واتجهنا فى أوتوبيسات الى مطار الماظة الحربى فى الظلام حيث كان فى انتظارنا طائرات مظلات من نوع أنتينوف وكان يقف لتنظيم ركوب هذه الطائرات عسكريون سوفييت وبدأنا الدخول من ذيل الطائرة ، هى غريبة الشكل ، عبارة عن كراسي حديدية محاطة بجدار الطائرة ، وفى الوسط مستودع البنزين وفى سقف الطائرة يتدلى أنابيب للاكسجين ، وفى المقدمة كابينة القيادة الخاصة بالطيارين .

وملصق بها كابينة أخرى للقيادة العسكرية مجهزة بشكل يختلف تماما عن بقية الطائرة .

وعندما أغلق باب الطائرة وقف رجل سوفياتى يعلم الجنود كيفية استخدام أنبوب الأكسجين ، ثم طلب منهم وضع كمامات الأكسجين فوق أنوفهم طوال الرحلة .

وبدات الرحلة الى صنعاء .

خمس ساعات طويلة .. مملة ..

فلا حديث .. لاننا جميعا نضع هذه الكمامات فوق وجوهنا ..

ولا حركة .. لاننا مرتبطون بسقف الطائرة بأنبوب الأوكسجين ..

ومن يريد من الجند أن يقضى حاجته .. جاء له السوفياتى بزجاجة فارغة ..

وبدات أشعة الشمس من صباح التاسع والعشرين من سبتمبرتتسلل داخل الطائرة ، وعندما بدات الطائرة الهبوط من ارتفاعات شاهقة ، تسامح السوفياتى فى خلع هذه الكمامات اللعينة ..

وبدأت الطائرة تهبط بسرعة على أرض المطار وتوقفت عجلاتها ، وبدأنا النزول من ذيلها .

أى مطار هذا ؟ .. واين ممراته ؟ .. وأين الأبنية ؟ .. شيء لا يصدق .. مشهد مثير وغريب الا ان الأعجوبة اننا هبطنا هنا بلا حوادث .

ان المطار — زوجتى — عبارة عن ممر ترابى يحيط به سلسلة من الجبال ، وبرج المراقبة عبارة عن سيارة سوفياتية مجهزة بأجهزة لاسلكى هى التى ترشد الطائرة على الهبوط ..

هذا هو المطـار ..

ووقفنا طوابير أمام الطائرة ..

وجاءت السيارات تنقلنا داخل المدينة .. كان الجو حارا رغم اننا فى الصباح . ثم وقف امامنا رجل مدنى هو السفير المصرى فى صنعاء وقال اننا قادمون فى مهمـة مقدسة لحماية ثورة اليمن من المتآمرين عليها . وأن **هذا الشعب فى حاجة الى حمايتكم** ، وحتى لا نبدو متدخلين فان السـفير قد أخبرنا بأننا سوف نرتدى زيا عسكريا يمنيا ، كما علمنا أن مهمتنا لن تزيد عن عدة أسابيع نعود بعدها الى القاهرة .

بدأنا نركب السيارات فى الطريق الى العاصمة ، سرنا وسط جبال جرداء قاسية ، وشاهدنا من بعيد مدينة بيضاء تحيط بها هذه السلسلة الجرداء من الجبال وقالوا انها صنعاء ..

وبدأنا نقترب من صنعاء .

وصنعاء هذه يحيط بها سور عظيم ، ويبدو المشهد كأنه ديكور لفيلم تجرى أحداثه فى العصور الوسطى او ما قبل الميلاد ، وبدأنا ندخل من بوابة شبه حلزونية ، وأصبحنا فى صـنعاء ، كان الناس ينظرون الينـا وكأننا من كوكب آخر غير كوكب الأرض ، ينظرون بدهشة وخوف ، ان النظرة الأولى — زوجتى — الى هذا الشـعب تؤكد انه شـعب أكثر من مضطهد ، عاش خلف الأسوار ، سواءا كانت أسوار المدينة ، أو الأسوار الطبيعية من الجبال ، لا يدرى مما يدور حوله .

قبل يوم واحد ،كانت قد سبقتنا قيادة القوة المصرية فى اليمن ،واتخذت من أحد البيوت مقرا لها ، ذهبنا الى القيادة واسترحنا قليلا ، ثم بدأ التوزيع على المناطق التى سوف نقوم بحراستها ، وكان من نصيبى بيت السـلال .

وقبل أن أسرد لك حكايتى المتواضعة فى اليمن خلال هذه الفترة ، سأروى لك حكاية ثورة اليمن كما سمعتها ، جانب من السلال وجوانبه أخرى من الذين قاموا بهذه الحركة ، وقيام هذه الثورة وجذورها التاريخية تحتاج الى موسوعة لا الى رسالة ، انها ضاربة فى أعماق تاريخ اليمن .

واعلمى — زوجتى — ان هذه الثورة لن تكون الأخيرة ان اليمن أشبه بالتنين ، أو أشبه بالحيوانات المائية الموجودة فى قاع المحيطات ، فهى تحتاج الى قنبلة ذرية لكى تتحرك من أعماق المحيطات وتظهر على سطح المياه .

والآن .. ـ زوجتي ـ اليك لأول مرة قصة ثورة اليمن ، وهى ليست كما يكتبها بعضها فى الصحف وهذه هى القصة مجردة .

اليمن كان يحكمها رجل قوى وخبيث اسمه الامام أحمد تولى السلطة بعد مقتل والده الامام يحيى ، ولتوليه السلطة هذه مأساة ستظل سوداء فى تاريخ اليمن ، لقد قتل الامام يحيى فى ١٧ فبراير عام ١٩٤٨ ، كان خارج صنعاء مع وزير خارجيته ، والذى دبر مقتله هو عبد الله الوزير والذى كان يبث فى اليمن افكارا ليبرالية ، وكان يتعاطف مع اليمنيين الاحرار الذين اتخذوا من عدن مقرا لهم ، وأعلن عبد الله الوزير نفسه اماما على اليمن عقب نجاحه فى اغتيال الامام يحيى ، وجاء الى صنعاء اليمنيون الأحرار وهم : أحمد محمد النعمان ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى ، والقاضى محمد محمود الزبيرى وكان الامام احمد هو حاكم تعز واستطاع الامام احمد وبعض من بيت حميد الدين أن يقود قبائل باكيل وحاشد بقيادة الأمير حسن أن يسقط نظام الامام عبد الله الوزير ، وراح ضحية استرجاع السلطة ما لا يقل عن ستة آلاف يمنى .

وامتلات السجون الرهيبة بالأبرياء ، وسجون اليمن افظع مما تتخيلين ، أنا لم أشهد الباستيل كأشهر سجن فى العالم ، ولم اذهب الى سيبيريا ، ولم أخدم فى السجن الحربى ، ولكن بالتأكيد وبدون أدنى نقاش فان أقسى أنواع السجون هى تلك الموجودة فى اليمن .

النعمان أصبح فى السجن ، وهو الأب الروحى لكل محاولة اصلاح ، لقد درس فى الأزهر وانهى دراسته وعاد الى اليمن عام ١٩٤١ وعين مديرا للتعليم فى تعز ، ثم كان مدرسا للامير البدر ولكنه لم يتمكن من الاصلاح فترك اليمن وسافر الى عدن وكون من هناك جماعة أحرار اليمن، حيث انضم اليه القاضى عبد الرحمن الاريانى والقاضى محمد محمود الزبيرى ، وهؤلاء عادوا الى اليمن بعد الاطاحة بحكم الامام يحيى ولكن الوزير لم يتمكن من البقاء ، واعتقل النعمان والاريانى وتركوا فى سجن حجة ، الا أن الزبيرى كان فى جدة لمقابلة وفد تقصى الحقائق فى اليمن الذى أوفدته الجامعة العربية ، فأفلت من سجن اليمن ، وعاش ثلاث سنوات سنوات فى سجون السعودية ، بعدها لجأ الى القاهرة .

هؤلاء الثلاثة ، ومعهم بعض بيت حميد الدين ـ كالأمير ابراهيم ـ هم أول من طالبوا بالجمهورية اليمنية ، والأمير ابراهيم مات فى السجن من كثرة التعذيب .

ان مقتل والده الامام يحيى ، جعل الامام أحمد من أبشع الصور التى يمكن أن تكون على بشر فى القرن العشرين أو قبل هذا القرن بقرون .

عين الامام أحمد ولده محمد وليا للعهد ، وكان صديقا لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

ومع مرور الزمن كره الرجل اسلوب حياة والده ، كره طريقة حكمه لليمن حاول الاصلاح فلم يتمكن .. فقرر اغتيال والده الامام أحمد . ان الامام أحمد ، كما علمت لم يمت ميتة طبيعية ، لقد اغتاله بالسم الأمير محمد البدر ، كان الرجل مريضا . ولكن الامام البدر كان يقول دائما انه يستطيع أن يعيش مريضا عشرات السنين ، وبعد أن تمكن السم منه وفارق الحياة ، أسرع الأمير البدر باعلان وفاة والده الامام أحمد فى ١٨ سبتمبر عـــام ١٩٦٢ م ، واعلن الامام محمد البدر اماما على اليمن خلفا لوالده .

ولم يكن الامام البدر قويا كوالده ، لم يكن له هذه السطوة كالتى كانت لوالده ، بل انه لو لم يعلن عن وفـاة والـده ، لاسـتطاع أن يحكم اليمـن يتصور حياة والده عشرات السنين فان الرجل اسطورة .

بعد اغتيال الامام أحمد ، كان هذا أكبر اغراء لقيام الانقلاب الذى أطاح ببيت حميد الدين .

لقد كان اللواء عبد الله السلال من المقربين الى الامام محمد البدر ، وبعد أن قام البـدر باغتيال والـده عين السـلال فى منصب رئيس اركان الجيش اليمنى وكان السـلال رئيس تنظيم عسـكرى من صـغار الضباط فى الجيش اليمنى ، واستطاع السلال أن يقنع الامام البدر بأن يحرك بعض الدبابات من الحديدة الى صنعاء ، وحصل على هذا الأمر ، واعطاه الى رجال الحديدة بدأت القوات تتحرك الى صنعاء مساء السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ .

كان اللواء السلال مجتمعا فى ذلك المساء مع الامام محمد البدر يناقش معه طريقة النهوض باليمن بشكل حثيث ، وانتهى الاجتماع قبل منتصف الليل بساعة واحدة ، وطلب السلال من الامام أن يذهب الى بيته الا أن الامام طلب منه البقاء ولمزيد من المشاورات ، وادعى السلال التعب ، وخرج الى خارج صـنعاء ليقود الدبابات الى قصر البشـائر فى العاصـمة حيث يوجد الامام ، وحاصرت هذه القوات القصر ، واتجهت قوات اخرى الى الاذاعة وتم حصارها ، وبدأت تطلق قذائفها لتدك القصر ، لم تكن القذائف مباشرة لبعد هذه الدبابات عن القصر ، حيث يحتاج الوصول اليه مباشرة

المرور بطرقات لا تسمح بدخول الدبابات ، وكان يوجد بالطابق الأرضى حريم الامام ، فور اطلاق القذائف اتجه الامام الى جناح الحريم ، واقتحم جنود الثورة القصر ، حيث وجدوا جثث بعض الحرس ، ودخلوا على مكان الحريم فلم يلاحظوا وجود البدر ، أخبروا السلال بمقتل البدر .

واذيع البيان الأول للثورة اليمنية ، ثم اذيع مقتل الامام البدر ، ثم أعلنت الجمهورية العربية اليمنية ، فى ذلك الوقت وبتكتم شديد من الحريم وبملابسهن خرج الامام من قصر البشاير المتهدم الى أسوار صنعاء ثم الى خارجها فى منطقة جيحانة .

لم يكن للامام وسيلة لاعلان أنه حى ، كان عليه أن يسير فى الجبال حتى يصل الى حدود المملكة العربية السعودية ليعلن من هناك أنه حى .

بعد نجاح الانقلاب ذهب السلال الى بيت السفير المصرى وطلب منه معونة عسكرية ، قوات مصرية تواجه القبائل التى تتمرد كما تمردت فى السابق على عبد الله الوزير ، وأبلغ السفير المصرى فى صنعاء ، طلب قوات عسكرية مصرية الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وكثرت التقارير فى القاهرة قبل أن أحضر الى هنا ، وانتهى الأمر بالموافقة على ارسال هذه القوات ، وبالرحلة فى المساء الى مطار الماظة ومنها الى هذه المدينة التعيسة : صنعاء .

وهكذا ــ زوجتى ــ دخلنا اليمن .

وهكذا ــ زوجتى ــ نحارب فى اليمن .

لم يكن تقرير البعثة العسكرية دقيقا ، فلقد وجدنا بعد اليوم الأول من وصولنا اننا نحتاج الى قوات أكثر لحماية هذه الثورة العظيمة من المتآمرين عليها ، فلقد بدأنا المعارك بعد وصولنا ادى بالقائد العسكرى والسفير المصرى وقيادة الثورة الى طلب المزيد من القوات المصرية .

لقد بدا تدفق عسكرى مصرى فى اليمن ، لقد وصلت بعد الثورة بعدة ايام سفينة شحن تابعة للشركة البحرية تحمل معدات عسكرية ، وتشهد مطارات ثلاثة قوات مصرية تصل تباعا الى اليمن ، مطار صنعاء الذى وصفته لك ، ومطار تعز ومطار الحديدة .

كما انه أصبح الآن هناك جسرا بحريا بين الأدبية والحديدة ، يحمل هذا الجسر الجنود ، والبنزين ، والمأكولات ، والمعدات العسكرية ، واتصور أن شركة الملاحة البحرية قد توقفت تماما عن الأعمال المدنية

وسخرت سفنها للجسر البحــرى بين القاهرة وصنعاء ، لقد كنا فى البداية ثلاثة كتائب ، أصبحنا الآن عدة الوية .

زوجتى ..

لم أكتب لك فى كل هذه الرسالة ما هى الأعمال التى قمت بها منذ وصولى الى هنا حتى هذه اللحظة فلهذه قصة طويلة ، هى قصة الوجود المصرى العسكرى كله فى اليمن .

الا اننى اريد أعرف ماذا يقول الناس عندك فى القاهرة عن وجودنا فى اليمن ؟ ..

لقد ودعت القاهرة فى الظلام بينما كنت اريد أن أودعها فى ضـــوء النهار ، وأرى وجوه هذا الشعب الطيب وهو يلوح لى بمهمة قد أعود منها ولا اعود . مهمة تحرير شعب عربى من العبودية والاستبداد .

اننى كل يوم أقول للجنود اننا هنا نحارب فى اليمن للحفاظ على مصر .. مصر عبد الناصر .. مصر الأمل .. مصر التى دفعنا لها ومن أجلها الكثير الكثير .. ولم يبق الا سنوات قليلة لنحصد ما دفعناه ..

لقد عشنا ثورة الجزائر .. ودفعنا لها الكثير .. وتحملنا من أجلها على مدى سنوات طويلة حربا قاسية مع فرنسا وبريطانيا واسرائيل .

لقد عشنا فى سبيل الوحدة المصرية السورية ودفعنا لها الكثير ..

ولقد عشنا فى سبيل القضية الفلسطينية ونعيش لها وندفع لها الكثير .

وفلسطين لابد أن تمر باليمن ، وحفاظا على تحرير فلسطين والقضاء على اسرائيل لابد ان نحافظ على ثورة اليمن .

فى سبيل ذلك ــ أقول للجنود ــ نحن نحارب فى اليمن .

فى سبيل العروبة ..

فى سبيل مصر ..

فى سبيل قائد العروبة ..

نحن نحارب فى اليمن ..

زوجتى ..

أرجو أن تكتبى لى عن كل المشاهد التى لم اشهدها فى القاهرة ، وعن حياتك العامة والخاصة .. فهنا ستكون رسائلك هى تسليتى الوحيدة .

زوجك



الرسالة الأولى

القاهرة فى العاشر من نوفمبر ١٩٦٢ م

زوجى العزيز ..

وصلتنى رسالتك الأولى ، ولمست من بين سطورها أن هناك قتالا فى اليمن ، أن الصحف والاذاعات لدينا لا تقول أن هناك قتالا فى اليمن ، حتى انا زوجة أحد الرجال فى اليمن كنت أتصور أنك هناك لتدريب جيش اليمن، وليس للقتال ..

والان .. منك اريد أن اعرف .. من تقاتل فى اليمن ؟ .. ومتى تعود الى حنان بيتك ؟ .. والى متى يستمر القتال فى اليمن ؟ .. قد أكون الوحيدة أو الواحدة من القليل التى تعرف بعض ما يجرى فى اليمن ، الا أننى أسأل بصدق ، هل يمر الطريق الى تحرير فلسطين عن طريق صنعاء ؟ .. هل أنت تؤمن بما تقوله للجنود ؟ ..

الصورة فى القاهرة ، غير الصورة فى صنعاء ..

عندكم قتال . كما تقول وعندنا انتصارات كما أرى ..

اول هذه الانتصارات والتى أراها هو ما حدث فى مطار القاهرة الدولى، كان الرئيس جمال عبد الناصر يودع أحد ضيوفه ، وعندما هبطت ثلاث طائرات من سلاح الجو الملكى الأردنى أرض مطار القاهرة ، كان جميع السفراء بلا استثناء موجودين بالمطار ، وشاهدوا المقاتلات الثلاث تهبط واحدة وراء الأخرى وعليها اشارة السلاح الملكى الأردنى ، وتساءل سفراء الدول الغربية .. ما الخبر ؟

فقيل لهم : ان هذه الطائرات المقاتلة ، طلبت وهى فى الجو اللجوء السياسى للقاهرة ، وعلى الفور سمحت لهم مصر بالهبوط ، وكانت هذه الطائرات فى طريقها الى اليمن لضرب صنعاء . ولكن الطيارين رفضوا الأوامر واتجهوا الى القاهرة معلنين بذلك تأييدهم للثورة فى اليمن ، ولموقف القاهرة منها .

الا ان الحقيقة ، ان الطائرات الثلاث قد هبطت فى مطار متقدم من قناة السويس ، وتم ابلاغ الرئيس جمال عبد الناصر بوصول الطائرات الثلاث ، فكان اول سؤال سأله الرئيس جمال عبد الناصر ..

ـ الم تعترضهم الطائرات الاسرائيلية أثناء قدومهم من الأردن الى مصر ؟ ..

فقيل له : لا ..

واعد عمل اعلامى كبير لوصول هذه الطائرات الى ارض المطار ، كان اهم شيء فى نظر عبد الناصر ان يجمع اكبر عدد من السفراء ، وأكبر عدد من رجال الاعلام وهم يشاهدون الطائرات الأردنية وهى تهبط فى مطار القاهرة .

فى ذلك الوقت كان فى زيارة لمصر احد زعماء افريقيا وطلبت وزارة الخارجية من كافة السفراء العرب والأجانب بتوديع الضيف الأفريقى فى القاهرة كما دعى الدكتور عبد القادر رجال الاعلام الأجانب لتوديع الضيف . وثارت دهشة رجال الاعلام من طلب الدكتور حاتم ، مما ادى به الى تسريب خبر عن حادث هام سيحدث فى مطار القاهرة ، وكان هذا التسريب كفيل بأن يسيل له لعاب رجال الاعلام الأجانب ليشهدوا هذا الحدث المثير ، وذهب رجال الاعلام المصريين من اذاعيين ، وصحافة وتليفزيون .

وهبطت الطائرات امام اعين العالم .. وعقدوا بعد هبوطهم مؤتمرا صحفيا مثيرا ، وكان عبد الناصر سعيد الى حد لا يوصف بما حدث فى مطار القاهرة ان احد المقربين للرئيس جمال عبد الناصر قد قال لى : انه بثورة اليمن سوف نهز عروشا ونغير الخريطة السياسية لشبه الجزيرة العربية والعالم أجمع .

كان الرئيس جمال عبد الناصر يقول لمن حوله ان هذا يكفينى عوضا عن جراحى فى سورية ، ان سوريا ظلت منذ الانفصال هى كل جياة الرئيس جمال عبد الناصر انه يرى فى اليمن الجسر لكل آماله ، انه يرى فى هذه الثورة رد اعتبار لما حدث من السوريين فى دمشق فى سبتمبر عام ١٩٦١ . انه يرى فى ثورة اليمن رد اعتبار شخصى له من شماتة الرئيس العراقى اللواء عبد الكريم قاسم ، انه يرى فى هذه الطائرات الثلاث رد اعتبار له فى مساعدة الأردن للمتآمرين على نظام الجمهورية العربية المتحدة فى الاقليم

الشمالى . انه يرى فى هذه الطائرات الثلاث تقريب المسافة اكثر ، واكثر بينه وبين الشارع العربى فى كل مكان من الوطن العربى .

ثم تمضى أيام — زوجى العزيز — الا وطائرات نقل معدات تصل — ايضا الى مطار القاهرة وهذه الطائرات من سلاح الطيران السعودى ، وكانت تحمل ذخائر الى الخارجين عن الجمهورية على الحدود اليمنية وبدلا من تحمل هذه المؤن لهم ، غيرت مسارها فى الطريق الى القاهرة ، وقد ادى هذا الى توقف نشاط سلاح الطيران السعودى .

اليست هذه انتصارات يحققها قائد هذا الشعب ، ان القائد الآن يعيش اعلى لحظات انتصاراته وخاصة بعد كارثة الانفصال فى العام الماضى .

زوجى العزيز ..

هذه هى الصورة الاعلامية الا أن هناك مناقشة دارت بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد كمال الدين حسين لا يعرفها الا القليل فى اجتماع مجلس الوزراء .. بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتحدث عن التدخل العسكرى فى اليمن .. وكان يتحدث بنشوة ، ما بعدها نشوة ، وعلى يمينه يجلس المشير اركانحرب عبد الحكيم عامر .. وكان كمال الدين حسين ينظر الى الأوراق التى امامه دون أن ينظر للرئيس عبد الناصر .. وكانه لا يعير له انتباها ..

فسأله عبد الناصر ..

— مالك يا كمال ؟

وسكت كمال الدين حسين .

فواصل الرئيس جمال عبد الناصر حديثه .. تكلم يا كمال .. سمعت انك تعارض دخولنا فى اليمن .

— أيوه يا ريس .. انا رايى ..

وقاطعه الرئيس جمال عبد الناصر ..

— ومن امتى بقالك راى ..

فرد كمال الدين حسين :

— والله انا شايف ان البلد بتغرق وانا محسوب من اللى بيقودوا البلد .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

ـــ اسمع يا كمال .. روح شوف الأول انت عملت ايه فى التعليم .. وبعدين تعال اعترض .. انت يظهر تعبان .. وانا من رأيى انك تستريح شـــوية .

فرد كمال الدين حسين قائلا للرئيس جمال عبد الناصر ..

ـــ انا فعلا تعبان .. البلد ما تتحملش مصاريف أكثر فى اليمن .. احنا بنينا الجيش عشان يحارب اليهود .. مش عشان يغزو اليمن .. احنا مالنا ومال اليمن .. احنا صرفنا دم قلبنا فى سورية .. ودى كانت النتيجة .. الانفصال .. ولا يجوز أن دم اولادنا يهدر على جبال اليمن .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

ـــ الله .. ده انت بقيت تعرف فى السياسة .. وبقيت زعيم ..

ونظر الرئيس جمال عبد الناصر لسيادة المشير عبد الحكيم عامر .. وقال له :

ـــ كمال بقى سياسى يا عبد الحكيم .. فى ذمتك الراجل ده مش تعب .. ومن حقه أن يستريح شوية .

ثم نظر جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين .. وقال :

ـــ أنا شايف أن الاجتماع ينتهى فورا لأن كمال الدين حسين تعبان .. ولازم يستريح ..

وخرج الرئيس جمال عبد الناصر من الاجتماع وخلفه المشير عبد الحكيم عامر .. ثم بقية الأعضاء ..

وفور وصول كمال الدين حسين بيته ، طلب منه السفر الى الاسكندرية وهناك حددت اقامته لوقت وهو لا يدرى متى يصفح عنه الرئيس جمال عبد الناصر .. انه يعيش ذليلا فى الاسكندرية وكأنه لم يكن عضوا فى مجلس قيادة الثورة .

وانتهت معارضة دخول القوات المصرية الى اليمن .

ودخولنا عسكريا فى اليمن لم يعد سرا ، لم تنشر أرقام الا انه يبدو **ان كل أسرة فى مصر قدمت جنديا موجود الآن فى اليمن .**

والآن . . أريد أن أهمس فى أذنك بأمر خطــير . ان من يقول ــ مالنا ومال اليمن ــ يزار فى الفجر ولا أحد يعرف طريقه ، ان أحد أقربائك قد

اعترض على ارسال قوات فى اليمن ، فى جلسة خاصة جدا ، وجاء رجال المخابرات فى الصباح وأخذوه الى أين .. لا أحد يدرى ؟

ان أحد أقربائى فى القصر الجمهورى يأتى لى بأسرار عجيبة ، اسرار تكاد تكون أغرب من الخيال ..

وليس سرا أن كل القوة السعودية أصبحت فى يد ولى العهد ، الأمير فيصل بن عبد العزيز شقيق الملك سعود وكما قلت انه بعد أن اتضح للرئيس جمال عبد الناصر الاصرار السعودى على ضرب ثورة اليمن قرر أن يضرب بالطائرات كل الاماكن العسكرية والاستراتيجية الموجودة داخل المملكة العربية السعودية ، بل ان اذاعة القاهرة أذاعت مثل هذا النبأ ان أسئلة كثيرة قد تبادرت الى ذهنى عقب سماعى هذا النبأ .. هل نبنى مصر ؟ ، وتكون نموذجا لما يرجوه الوطن العربى ، أم تصدر الثورة الى الخارج ؟

ثم سؤال آخر قد راودنى ، هل فى امكانية هذا الشعب أن يقدم كل شيء حتى الدم فى سبيل كل هذه المعارك ؟

ان ريفنا حتى هذه اللحظة لم تصله مياه الشرب النقية .

ان ريفنا حتى هذه اللحظة يشرب الماء الممزوج بالبلهارسيا .

ان شبابنا حتى هذه اللحظة يتقاضون مبالغ لا قيمة لها بالنسبة لكافة الدول العربية بما فى ذلك اليمن .

انى أسمع أن هناك يوميا ما لا يقل عن مليونين من الجنيهات تصرف فى اليمن . هل تعرف معنى مليونى جنيه يوميا بالنسبة لمصر . معناه أن عشرة قرى مصرية يدخلها الحياة . ومعنى ذلك أن حرب اليمن لو استمرت عام واحد فقط فمعنى ذلك أن هذا الشعب قد خسر كهربة كل الريف ، وادخال الماء النظيف والكهرباء فى كل بيت ..

نحن — يا زوجى — فى حاجة الى كل ما ينفق فى اليمن . فى حاجة اليه ليجعل من مصر اطلالة على القرن الواحد والعشرين ، لا ينقصنا شيء ..

الرؤوس المفكرة لدينا ، الدخل القومى لدينا ، التعداد الكبير لدينا ، الحضارة القديمة لدينا ، حبنا للحياة العصرية لدينا لا ينقصنا الا أن نبنى مصر ، لا ادرى يا زوجى العزيز الى متى سنظل نحارب ، نريد لحظة سلام

نلتقط أنفاسنا ، ونبنى بلدنا ، اننى أشعر اننا ننظر الى خارج الحدود قبل ان نرتب البيت المصرى ، اننا نحاول أن نفرض ترتيبنا على كل البيوت ، وبيتنا فى حاجة الى ترتيب ..

انى أعرف مدى ارتباطك بشخصية الزعيم ، وهكذا كل دول العالم الثالث ، أنا لا ارميك بالجهل اطلاقا ، أنا فقط قد درست الشخصية الانسانية واستطيع أن اراقبها عن كثب .. أن مصر فى نظر العالم — أو هكذا يبدو — عملاقة ، ولكن المصريين أصبحوا فى داخلها أقزاما ، ان مصر ظلت عبر القرون عملاقة ،لأن من بداخلها عمالقة ..

زوجى العزيز ..

هل لى فى نهاية هذه الرسالة أتحدث عن أمورى الخاصة ، ولا أعتقد أنها خاصة بى وحدى بل ربما بكل زوجة لها رجل فى اليمن .

اننى أشعر بوحدة قاتلة ، البيت هنا قاسى ، وانتظارى لك أرهق أعصابى ، لذلك فسوف اذهب للاقامة عند والدك حتى تعود ، ان زوارى هم الأسرة ، سواء كانت اسرتى أو أسرتك ، وأحيانا نقضى امسيات مضحكة بين والدى العجوز الذى ينتقد النظام بقسوة ، ووالدك الذى يؤيد النظام بعفوية .. ويستمر النقاش وتنتهى الليلة وأعود الى مخدعى وحدى فى انتظارك .

زوجتك



١٠ ديسمبر ١٩٦٢

زوجتى العزيزة ..

وصلتنى رسالة التشكيك فى أمر وجودنا فى اليمن . ويبدو اننا ننتمى لمجتمعين مختلفين ، ولذلك فان مبادئنا ستظل مختلفة ، أنا ابن فلاح من مصر ، ذاق الذل والهوان قبل ثورة يوليو ، وانت ابنة بقايا مجتمع سقط ، سأجعل رسالتى هذه عن الأسباب التى دفعتنا لمعركة اليمن ، وقبل ان ادخل فى هذه التفاصيل أقر ان شبابا فى عمر الزهور قد دفنوا فى اليمن ، ولكنهم كانوا بذورا لشجرة سوف تعلو فى اليمن ..

ان مصر العزيزة محاصرة من كل اتجاه ، والمعارضين للثورة قد اقتربوا من ضربها .. وضرب قائد الثورة ..

ان ذيول مؤتمر شتورا فى لبنان بين الوفد العربى والوفد السورى قد أثبت عنفوان الثورة المضادة حتى أنها هزمت الفارس عبد الناصر فى هذا المؤتمر .

ان ليبيا فى غرب مصر تقف من هذه الثورة موقفا حازما ضدها ، وتعتبر جدارا لانحسار الثورة المصرية .

ان السودان فى الجنوب لا تتفق اطلاقا مع الثورة المصرية .

ان اسرائيل فى الشرق ترى فى جمال عبد الناصر الخطر الأوحد عليها ..

ان المملكة العربية السعودية على خلاف كبير مع الزعيم . خلاف وصل الى حد القتال .

ان ملك الأردن قد استطاع أن ينهى الوجود الناصرى من سوريا بالانفصال .

ان اللواء عبد الكريم قاسم فى العراق قد خصص ميزانية كاملة لهدم الزعيم جمال عبد الناصر .

ان الرئيس الحبيب بورقيبة فى تونس ، يهاجم علنا سياسة الثورة وزعيمها .

ان المغرب يرى فى وجود عبد الناصر خطر عليه وهو على بعد آلاف الأميال من القاهرة ..

وسط هذا الحصار جاءت ثورة اليمن لتسقط بقيامها جدران العزلة المفروضة على الثورة المصرية .

وكان لا بد أن نذهب الى اليمن ، وكان لا بد أن نقاتل ونستشهد فوق جبالها وفى الوديان والصحارى وان هذا سيكلف كثيرا ، فى الأرواح والمال ، ولكن مصر على مر التاريخ تعطى بلا حدود ، وهذا سر عظمتها .

فما بالك باليمن ، ولنا مع اليمن تاريخ قديم .. واسمعى جانب من هذا التاريخ .

ــ أهل اليمن هم الذين اشتركوا فى الفتح الاسلامى لمصر ، وبعضهم ظل فى مصر وعلى مر السنين هاجر الكثير من اهل اليمن الى مصر ، واستطيع أن أدلك على مناطق استيطانهم فى الاراضى المصرية .

ــ فى المنيا واسيوط ومنفلوط قبائل بنو جهم .

ــ بين الجيزة واسيوط يسكن بنى خزاعة وهم الانصار (الأوس والخزرج) ، وكانوا قد هاجروا الى يثرب .

ــ المدينة المنورة ــ بنى خولان فى الميناء ، وزيد وسالم وطى ، وعامر ، وعبس ، وعبيد ومالك وغيرهم وكلهم منتشرون فى كل مكان من الأرض المصرية .

فى سبتمبر عام ١٩٤٥ م وقعت فى الاسكندرية معاهدة صداقة بين مصر واليمن ، وقعها عن الجانب المصرى ونيابة عن ملك مصر عبد الحميد بدوى وزير الخارجية فى ذلك الوقت ، وعن ملك اليمن عبد الله يحيى ، وتنص المادة الأولى من هذه المعاهدة ، يحافظ كل من الطرفين المتعاقدين على حسن العلاقات بينهما ويوثق أواصر المودة والصداقة التى تربط رعاياها برعاية الطرف الآخر .

ـــ فى أبريل ١٩٥٦ م ، وقع اتفاق ثلاثى بين مصر واليمن والسعودية لزيادة تقوية العلاقات بين الدول الثلاث فى كل المجالات ، ولو عدت الى هذا التاريخ ستجدين ثلاث توقيعات عن مصر جمال عبد الناصر ، عن السعودية الملك سعود ، عن اليمن الامام أحمد حميد الدين .

ـــ فى مارس ١٩٥٨ وقع الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، والبدر ميثاق اتحاد الدول العربية ، وكان البدر ينوب عن والده فى توقيع الاتفاق .

لست أذيع عليك أسرارا عن اليمن ، أن الامام البدر كان يعتبر نفسه ناصريا ، وكان يقول ــ كما سمعت هنا فى اليمن ــ انه صديق حميم للرئيس جمال عبد الناصر ، وانه يعتبر تلميذا من تلاميذ الزعيم ، وليس سرا انه فى احدى زياراته للاردن قبل وفاة والده ، أمر الملك حسين بوضع بعض كبار ضباط الجيش الأردنى مرافقين له ، وتوطدت علاقة البدر بهم ، حتى انه طلب منهم الاطاحة بالنظام الملكى فى الأردن ، وذهب الضباط الى الملك حسين وأبلغوه حديث ولى عهد اليمن ــ فى ذلك الوقت ــ وهنا عاتب الملك جمال عبد الناصر على حديث ولى العهد اليمنى بصفته صديقه .

وفى عام ١٩٥٩ ، كان هناك لقاء ثانى بين الزعيم جمال عبد الناصر والامام احمد فى بورسعيد ، كان الامام قادما من ايطاليا بعد علاج استمر عدة أشهر فى طريقه الى اليمن ، وذهب الرئيس جمال عبد الناصر الى بور سعيد حيث تم بين الاثنين على ظهر المركب (لقاء تاريخى) .

زوجتى ..

أنا أعرف أفكارك وأستطيع الرد عليها ، علاقة كانت قائمة بين سلطة الثورة ، وسلطة الامام ، فكيف يقوم عبد الناصر بمساعدة الثورة التى انقلبت على سلطة الامام ؟ .

وردى عليك .. انه عقب الانفصال ، وكان عبد الناصر حريصا ، متألما من جراح **الانفصال** ، اذاع راديو صنعاء قصيدة من ستة أبيات يهاجم فيها الامام عبد الناصر والوحدة ، وقد تكون أول مرة فى التاريخ أن تنقل وكالات الأنباء أبيات شعر عاجلة ، لتوزيعها على جميع انحاء العالم .

اذن .. من هو الذى انقض على الآخر .. ليس عبد الناصر هو الذى انقض على الامام .. اقول لك هذا حتى لا تعودى لتسألى مرة أخرى .

انا ناصرى .. وارجو أن تساعدينى أنت على ذلك فالحقيقة اننى أجتاز مرحلة نفسية سيئة ، وارجو اذا تحدثت معك فيها أن لا تهاجمينى من خلال هذه الحقيقة ..

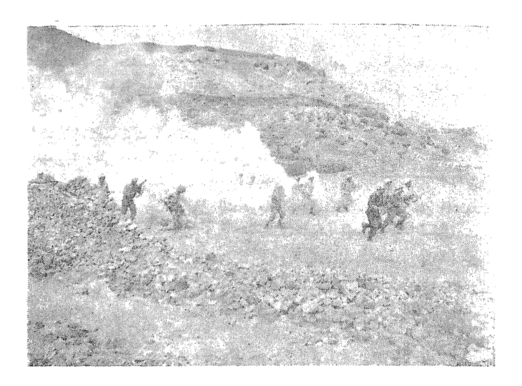
زوجتى العزيزة ..

كما تعلمين ـ كنت أول من وضع قدمه على ارض اليمن ـ وذهبنا الى **قيادة العملية ۹۰۰۰** ، وهـذا اسمها فلكل عملية عسكرية اسم ورقم ، وتم توزيعنا ، ثم أعيد التوزيع فى الأسبوع الماضى بشكل جيد ، وعلى ضوء احداث اليمن الدامية .

لم يعد امر وجودنا سرا فى اليمن ، العالم كله الآن يتحدث عن الوجود المصرى فى اليمن ، لقد أقيم جسرا جويا وبحريا بين مصر واليمن ، هذا الجسر ينقل يوميا مئات الجنود ومئات الأنواع من الاسلحة ، وأصبح هنا ثلاث قيادات ، قيادة الطيران ، وقيادة الجيش ، وقيادة البحرية ، وكلها تعمل تحت امرة قائد العملية ۹۰۰۰ .

انا فى صنعاء ـ زوجتى ـ محاصر منذ الاسبوع الأول لقيام الثورة ، اننا محاصرون حتى هذه اللحظة أن العدو قد ركب الجبال المحيطة بصنعاء وهو يطلق النار بصفة دائما من اسلحة خفيفة ولو أن لديه اسـلحة ثقيلة لسقطت صنعاء ، وثوار اليمن قد تركوا الدفاع عن ثورتهم للقوات المصرية تماما ، ان ما ينقذنا بعض الشىء الطائرات القاذفة التى وصلت الى الحديدة ، فهى تقوم من هناك تضرب العدو على الجبـال فى محـاولة لفك الحصـار .

لا اخفيك سرا ، اننى قضيت ليالى سوداء فى هذه المدينة التعيسةنتوقع الموت بين لحظة واخرى ، فلقد استطاع العدو منذ ايام ان يدخل صنعاء بمجموعة صغيرة من قواته ، ولكن هـذه المجموعة أثارت الرعب فى كل القوات ، فلقد اكتشفنا فى صباح يوم تعيس ، وفى أحد المواقع داخـل هذه العاصمة التعيسة ، رجالا بلا رؤوس لقد حزنت من هذا المستوى حتى اليوم ، كيف يذبح رجل رجلا آخر ، كيف يخرج خنجرا من غمده ويكون لديه القدرة على ان ينقض على رجل نائم ويفصل راسه عن جسده ، ثم يأخذ الرأس الى مكان لا نعلمه ، وماذا فعلوا هؤلاء الرجال حتى يذبحوا ..



معارك ضارية .. منذ وصول قواتنا الى اليمن



جنودنا حول صنعاء .. فترة راحة من القتال

زوجتى ..

لقد جمعنا جثثهم التى بلا رؤوس ، وحفرنا لهم حفرة وقمنا بدفنهم فيها ، ربما تكون هذه نواة مقابر زهورنا من الشهداء التى ستدفن فى اليمن .

أنا لا أخاف الموت ، ولكنى ارفض رفضا باتا العثور على جثتى بلا رأس فى اليمن ، وعلى بعد آلاف الأميال من مسقطها .

زوجتى ..

لن اكذب عليك .. سأقول لك دوما الصدق كله .. لقد كان المشهد قاسيا علينا ، وزاد الحصار ، فاجتمعنا فى قيادة العملية .. نسأل .. ماذا نفعل ان لم يفك الحصار ..

وقررنا ان نجتمع فى مراكز قوية وحراسة شديدة ..

وطلبنا من رجال الثورة فى اليمن البحث عن القتلة .. ولكنهم أيضا مثلنا يخافون على رؤوسهم .

وتقدمت من القائد .. وقلت له :

سيدى بعد شهور من وجودى هنا .. لم أعد أعرف العدو من الصديق، ولا أدرى ما اذا كنت سأموت مذبوحا ومختفى الرأس ، أو مسموما ، أو بخنجر فى ظهرى ..

وسكت القائد .

وتقدم زميل آخر .. وسأل القائد ..

ـ ماذا لو هجم العدو واستطاع أن يصل الينا فى صنعاء ؟ .

وعلى الفور وضعت يدى على رقبتى ، وتخيلت خنجرا ينزعها ،وتصورت الجميع يضغطون أيديهم على رقبتهم ، وبرزت العيون بحثا لاجابة هذا **السؤال .. وساد صمت رهيب ..**

قال القائد :

نحاول الهرب الى عدن !!

والانجليز .. نعم انهم عدونا الحقيقى ، ليس فى ذلك شك ، ولكن كان لدى القائد قناعة بأن الانجليز لن يفصلوا رؤوسنا عن أجسادنا ، ربما تكون عرضة لعدسات الصحافة والتليفزيون ، وربما تفصل رؤوسنا عن اجسادنا فى سجون مصر ، ولكننا جميعا بلا استثناء نرفض شكل رؤوسنا وهى منفصلة فى اليمن .

برغم كل ما سبق ، لست أريد أن أقول انني رافض لهذا الوجــود فى اليمن ، انك لو كنت مكانى لفعلت المستحيل لكى تحمى شعبا انهكه الظلام والقسوة والاستبداد ، ولست أقول لك اننا سوف نخرجه من هـــذه الظلمــات ، ولكن الظــــلام فى اليمن كثيف ، يحتاج الى سنوات حتى يبزغ فجرا جديدا حقيقيا ، أنه من الصعب ، بل من المستحيل أن ينقل هذا الشعب من قرون ما قبل الميلاد أو العصور الوسطى الى القرن العشرين مرة واحدة ، نحن نمثل مرحلة فقط ، ولكنها بالتأكيد أروع المراحل ، نحن ندفع الثمن ، ربما يكون باهظا ، ربما يكون أكثر مما ينبغى . ولكن مصر هى الأم .. الأم العربية .. وعليها ان تسهر وتعطى .. وتقدم .

والآن .. ما هو موقفنا العسكرى .. وما هى احتمالات المستقبل ..

لا أدرى .. لدى قناعة غير حسابية باننا لن نذهب الى عدن .. وان هذا الحصار سوف ينفك عن صنعاء .. فلا اتصــور أن ســيادة الرئيس جمال عبد الناصر قد يوافق على الهزيمة فى صنعاء .. وانه سيضع كل امكانياته فى سبيل انقاذ العاصمة .. لقد هرب الامام .. ســيرا على الأقدام حتى وصل المملكة العربية السعودية .. واذاع راديو عمان فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ ــ الماضى ــ رسالة من الامام البدر إلى الملك حسين ملك الأردن .

وكان ابن عمه الأمير حسن ، والذى يمثل اليمن فى الأمم المتحدة ، قد طار من نيويورك الى لندن الى الخرطوم الى جدة ، واعلن نفسه اماما خلفا لما كان قد أعلن عن موت الأمير البدر ..

وتجمعت أسرة حميد الدين فى المملكة العربية السعودية ، وتنازل الأمير حسن عن الامامية للامير البدر ، وقرروا شن حرب شعواء على اليمن والوجود المصرى فى اليمن ، وتكونت قوات من القبائل قوامها أكثر من ٢٠ ألف مقاتل بالشكل التالى :

شرق اليمن ، يقــود القــوات الملكية الأمير حسن ــ الذى عاد من نيويورك .

بالقرب من مدينة صعدة ، يقود الامام البدر القوات الأخرى :

الأمير عبد الله حسين ، استطاع ان يتواجد في منطقة الجوف ، هو الذي يحاصر صنعاء .

فى حريب قوات بقيادة الأمير عبد الله اسماعيل . وهذه القوات تستعد الآن لخوض معركة للوصول الى صنعاء ..

ففى العاشر من نوفمبر الماضى ، أعلن الامام البدر انه سوف يتجه بقواته الى صنعاء ، وتعز والحديدة لاسقاط الجمهوريين ، وان هذا سوف يتم خلال ثلاثة أسابيع أو أكثر .

والمملكة العربية السعودية تقدم لهم كافة المعونات وخاصة الجنيهات الذهبية ، وحكومة المنفى الملكية اليمنية تعيش الآن فى المملكة العربية السعوية ، وأصبحنا الآن أمام صراع عسكرى وصراع مادى . صراع عسكرى حيث تم تسليح القوات الملكية بأسلحة جديدة ، وصراع مادى حيث أن الجنيهات الذهبية التى تقدمها السعودية للقبائل لا تعد ولا تحصى المهم ان يسقط النظام فى صنعاء .

لقد اتخذوا من نجران بالأراضى السعودية ، والقريبة من حدود اليمن مقرا سياسيا وعسكريا لهم ، واننا نتوقع هجوم كبير على المدن الثلاث ؛ صنعاء ، الحديدة ، تعز ، واذا اقاموا قبل وصول بقية القوات فانهم قد يحرزون تقدما وخاصة فى تعز والحديدة ، وها هى صنعاء محاصرة .

ان السكان فى مدينة تعز فى خوف شديد من الهجوم المرتقب من القبائل ، فانهم شوافع ، والقبائل من الزيود ، التركيبة اليمنية غريبة ، الزيود رجال القتال ، والخطاط ، والشوافع رجل الزراعة والتجارة والاستقرار ، ولذلك فان معظم الشوافع ، أو الغالبية العظمى تسكن السهول الزراعية ، والزيود يسكنون الشمال الجبلى العنيف ، الزيود مسلحون منذ القدم ، والشوافع مستقرون منذ القدم أيضا . وكانوا على مر التاريخ موضع خطاط القبائل الزيدية عليهم ، ومعنى ذلك أن هناك

آلاف من القتلى وان على الشوافع أن يقدموا للقبيلة كل ما يملكون من مال وغذاء ونساء .. كل شيء حتى ترحل القبيلة ..

وكثيرا ما استخدم هذا الأسلوب الامام ، اى ، فى تأديب الشوافع .

زوجتى ..

منذ الحصار ، وذلك المطار القريب الذى تحدثت معك عنه ، يشهد كل يوم عدد من الطائرات الأنتينوف الضخمة تحمل السلاح والغذاء والرجال وعلى الفور يتخذون مواقعهم حول صنعاء ، للرد على القوات الملكية التى تحاول اقتحام العاصمة .

اننا بعد حادثة الرؤوس المسروقة من على أجساد الجنود ، ونحن نضع حول صنعاء نقط قوية . وان سبب هذا الحصار ان قوات العاصمة قد خرجت منها للشمال للسيطرة على مدينة صعدا بالقرب من الحدود السعودية وقوات أخرى ذهبت الى الجبل الأسود للسيطرة عليه حتى لا يسقط فى أيدى الملكيين ، وقوات فى الطريق الى مارب ، وهذه القوات قد تركت العاصمة مكشوفة ، بل ان هذه القوات هى ايضا مكشوفة لأنها قوات صغيرة ، وطرق امدادها وتموينها عسيرة فى اليمن ، ولذلك فانى اتوقع لكى يفك حصار صنعاء ، والحصار المضروب على بعض القوات فى الشمال يحتاج الى نصف الجيش المصرى ان يصل الى اليمن لتكون هناك شبكة طرق فى حماية القوات المصرية ، تصـــل بين كافة المواقع ، تمدها بالرجال والسلاح والمؤن والعتاد .

ان الطائرات القاذفة المصرية تلعب دورا رئيسا فى هذه الحرب ، انها تنطلق كل يوم من الحديدة وتعز ، وصنعاء ، وتضرب تجمعات العدو التى تحاصر القوات المصرية فى كثير من المواقع ، ولست اخفى عليك امرا ان بعض القوات لا ندرى عنها شيئا فان شبكة الاتصال ضعيفة الى حد كبير ، بسبب اجهزة اللاسلكى التى اشتريناها من الاتحاد السوفياتى ، انها أجهزة ضخمة ورديئة التوصيل ، وكثيرة العطب ، لا ندرى ما اذا كانت هذه القوات قد حوصرت ، أو دفنت فى أرض اليمن .

وليس سرا ما اقوله لك ان مواقع تموين الملكيين ، موجودة فى جيزان ونجران فى السعودية ، وربما غدا تصل الى الشاطىء السعودى قادمة من الحديدة ، مدمرة مصرية لتدك جيزان بمن فيها ، وان هذه العملية ستتم فى الفجر ، ونجران سوف تقوم طائرات قاذفة من القاهرة واسمها ت يو ١٦ ، وسوف تدمر قيادة الملكيين فى نجران ، ان هذا اقتراح من قائد العملية ..... ٩٠٠ الى القيادة فى القاهرة .

ووصلت اليوم الموافقة على قيام البحرية بهذا العمل وأخطر أن الطائرات القاذفة الطويلة المدى سوف تضرب غدا صباحا مركز قيادة الملكيين فى نجران ، وبهذا فقط سوف يخف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى اليمن .

ولقد تحركت امس قوات كبيرة من الحديدة برا على الطريق الصينى الذى يربط العاصمة بالميناء ونضع أملا كبيرا على هذه القوات فى فك الحصار .

لا ادرى .. الى متى سنظل فى اليمن ، ان صورة الوجود فى اليمن طويلة فاذا عرفت ما نحتاجه من قوات ، سوف تعلمين الى أى مدى سنبقى فى اليمن ، فلو وصلت كل هذه القوات ، فانها تحتاج الى شهور قتال ، ثم شهور عودة .. وهذه هى مشكلتنا فى اليمن .

زوجك



الميثاق

القاهرة فى أول يناير ١٩٦٣ م

زوجى العزيز ..

انا ايضا بشر ، وزوجة مقاتل . وأعيش المشكلة بكل تفاصيلها ، واسمع كل اذاعات العالم . التقى بزوجات كبار المسؤلين . لعلنى أعرف متى تتوقف حرب اليمن ؟

اقول متى تتوقف حرب اليمن ، لانى كزوجة فى حاجة الى زوجها ولان الخطاب الثانى الذى وصلنى منك يؤكد أن فى اليمن حرب حقيقية . بدأت بعدد من الجنود . ولا احد يدرى بكم سوف تنتهى ..

واشم من رائحة خطابك ، ومن بين السطور . أن القوات المصرية وحدها بلا مساعدة من ثوار اليمن ، وانهم الذين يحاربون . وهم الذين يدفنون فى تراب اليمن . وهم الذين سينتصرون أو يهزمون .. هم « جنودنا فى اليمن » ..

لماذا كل ذلك الذى يحدث فى اليمن ؟ ..

لماذا انت محاصر فى صنعاء .. ونحن محاصرون فى مصر ؟

لماذا ندفن زهور شبابنا فى اليمن . ونحن فى حاجة اليهم فى النهوض بالشعب فى مصر ؟

انى لا اثقل عليك بالأسئلة ، وانى لا اريد ان أضعك فى موضع المتهم . ولكنى ارجو أن تقدر موقف زوجة تعيش وحدها فى بيتها بالقاهرة ، وزوجها الذى أحبها واحبته يعيش محاصرا فى بلد بعيد . لأهداف غير مقنعة ، وقد يعود .. ولكن متى ؟ .. وقد يدفن فى اليمن ؟ ..

أرجو أن تقدر موقفى واكاد أن أقول لك اننى اتخيل الأجهزة تنام معى فى السرير خوفا من أن أبوح برفضى لحرب اليمن ..

محاور .. وطائرات .. ومواقـع .. ومدافع .. وكنـــا نتصور فى البداية ان الاذاعة تحتاج الى حراسة لكى تستمر ثورة اليمن .

اننا نعيش فى مصر اسود أيام حياتنا ، اذا نظرت للوجوه تجدها وجوه بلا حياة ، وكان كل الناس قد ارتدوا رؤوسا من الحجارة ، انك اذا نظرت فى هذه الوجوه ستجدها رافضة بصمت رهيب لهذه الحرب القذرة .

لماذا ؟ .. لأننا فى حاجة الى كل ما ينفق على الصراع فى اليمن ؟ ..

لو أن ما نفق على رفاهية وتقدم أى شعب يختـاره ، الشعب المصرى أو الشعب اليمنى الم يكن هذا يدفعه الى الأمام سنوات .. انا ضد القتـال ومع السلام .. ففى ظل السـلام يتقدم الناس ، وفى ظل القتال تبـاد حضارات .. ولا أريد لحضارة مصر .. وقدرتها على التقـدم أن تتوقف بسبب الحرب فى اليمن ..

الخبز اشتد سوادا فى مصر كأيامها ..

الأرز لا نجده فى الأسواق حتى لو كنت تملك ثمنه ..

وقد قال الرئيس جمال عبد النـــاصر حلا لهذه المشكلة ان سـكان **الصعيد** عليهم أن يأكلوا « الفريك » . وسكان وجه بحرى يأكلون المكرونة !!

نحن نتعاقد على « تراب الشاى » ليقدم فى اكياس قذرة للنـاس .. وبأسعار خيالية ..

نحن الذين عشـنا التاريخ فى تقـدم ورفاهية ، نعيش اليـوم أسرى ترضى عنه السلطة ، السلطة حاقدة لا ترضى لهذا الشعب الرفاهية .

استمر فى القتـــال زوجى العزيز .. فلو عدت منتصرا لن اقول انك بطل ... ولو عدت منهزما لن أقول انك هزمت .. وان لم تعد فهذه كل

المأساة .. أريدك بطلا شـــهيدا على التراب الفلسطينى .. أريدك تدفع عملية التقدم فى مصر .. ولا أريدك جثة فى اليمن .

انا .. كزوجة فى حاجـة اليك .. وتشتد حاجتى لك وانت فى اليمن .. لأنك لو عدت أو حتى اسـتمر قتالك فى اليمن .. فلن يعود بفـــائدة عليك او على أسرتك . وقبل كل ذلك بلدك .

انا اعرف أن هناك عدة آلاف فى السجون اعترضوا على حرب اليمن .
انا أعرف أن القيادة العامة فى مصر قد أعدت أهدافا فى المملكة العربية السعودية لضربهـا .. وهذه الأهداف هى الاذاعة فى جـدة والرياض .. معسكرات الجيش السعودى ، والقصور الملكية .. وانهم جادون فى ذلك .. وعندما جاءت ساعة الصفر .. عرفت المخابرات الأمريكية .. فأرسل جون كينيدى رسالة شديدة اللهجة للرئيس جمال عبد الناصر ، وحذره من التدخل الأمريكى لحمـاية المملكة العربيـة السـعودية من الطـائرات المصرية ..

واعلم ما لا تريد أن تقوله لى عن « حرب الطيران » فى اليمن ، أعلم ــ زوجى العزيز ــ ان الطائرات طويلة المدى تقلع يوميا من القاهرة وتضرب نجران وجيزان فى السعودية ، وتضرب بعض القرى الجنوبية للسعودية ، وتضرب قرى اليمن وتعود .

وأعلم ان البحرية تضرب بقسوة السـاحل الجنوبى للمملكة العربيـة السـعودية ..

وانت قد اخفيت فى رسالتك ، « حرب الطيران » .
هل تعلم عدد الجنـود الذين رحـلوا الى اليمن ، انهم الآن ، فى بداية هذا العام قد وصلوا الى ٣٠ ألف من شـــبابنا ، لم يحاربوا من قبل فى الجبال لقد كنت فى المطار مع زوجة مقاتل متجه الى اليمن ، وشاهدتهم ، شاهدت شباب مصر المخدوعين وهم يتجهون الى الطائرات .. انهم سعداء لانهم لا يعلمون .. سعداء بما قيل لهم عن المبادىء وحماية ثورة ، وتقدم شعب ، ولكنهم لا يعلمون حـكاية الأجســـاد بلا رؤوس ، لا يعلمون من يحاربون ، سـعداء بانهم سيسافرون الى الخارج لشراء بعض مما حرموا منه ، وكانوا يصنعونه بأيديهم من قبل .

وعندما شاهدت هؤلاء .. تذكرت مشـهدا آخر .. طابور صندوق المعاشات فى وزارة الحربية .. لأرامل الشـهداء .. أنه طابور طويل ..

نســـاء فى عمــر الزهور يرتدين السواد .. ويقفون فى طابور لاســـتلام معاشاتهم ..

شهداء عام ١٩٥٦ ..

شهداء الجزائر .. وهم قلة ..

شهداء اليمن .. وهم الى الآن قلة .

وأشعر بأننى قد أكون واحدة من الواقفات فى هذا الطابور ..

تقول فى رسالتك ــ وهذا قد أحزننى ــ اننا ننتمى لمجتمعين مختلفين انت ناصرى ، وأنا بقايا مجتمع سقط بالناصرية ..

أبدا ــ زوجى ــ والدى كان موظفا كبيرا ، يملك بيتا من ثلاث طــوابق يدر عليه هذا البيت ٨٠ جنيها فى الشهر بالاضافة الى مرتبه ، فيجعلنــا نعيش فى « بحبوحة » ، من هذا كان والدى لا يعترض على العمل الناجح الذى تقوم به ثورة مصر ، وكان ينتقد بشدة أى فســـاد ، لأنه كان يريد لهذه الثورة أن تحقق أهداف قيامهـــا ، كان يبـــدى الراى فى مجالس خاصة ، لأنه شجاع ، ولأنه من المثقفين ، ولأنه يستطيع أن يعيش بمعاشه ودخل هذا البيت الصغير ، فوالدى ــ ان كنت لا تعلم ــ ليس اقطــاعيا ، ولا رأسماليا ، ولا مستغلا .. انما له دخل « ٨٠ جنيها » كل شـــهر من بيت صغير .. ووصل الى الأجهزة انتقـــادات والدى .. فوضع البيت تحت الحراسة ، وفصل من عمله ، وحقق معـــه ساعات طويلة فى مبنى المخابرات العامة بالقرب من القصر الجمهورى بالقبة . وخرج مندهشا ، أنه لم يعـد لانقــلاب ، وانه لم يشترك فى مؤامرة ، انه فقط أبدى رأيه فى امر ما .. أنه تكلم فى جلسة مغلقة .. انه رفع قامتـه قليــلا .. فأصبح الآن مراقب .. وأصبحت انت تقول انه ينتمى لمجتمع سقط .

ان والدى يوم قامت الثـــورة ، وكان لا يعلم ما اذا كانت ستنجح او تفشل أرسل رسالة تأييد لها ، ولكنه كان يناقش الأمور من قاعدة الثورة نفسها وليس انقلابا عليها ، فنكلت به المخابرات ، ووصل الأمر الى حــد قطع لقمة الخــبز ..

ليس والدى هو الوحيـــد فى مصر ، انه مثل آلاف يحدث لهم اليوم ذلك ، ان الرئيس جمال عبد الناصر كما سمعت يريد أن يخرج من اليمن ولكن كيف ؟ ..

هذا هو السؤال .

أنا لا أذيع لك سرا جديدا ، فان الرئيس جمال عبد الناصر قد التقى بالسيد محمــد أحمد محجوب الوزير الســوداني ، وقال له انه تورط في هذه الحرب ، وانه يريد ان يخرج منهـــا بشيء من الكرامة ، وطلب منه التوسط لدى المملكة العربية السعودية للتوصل لصيغة للخروج ..

ولكن الدكتور محمود فوزى له رأى آخر ، لقد قاله فى جلسة خاصة حول الخــروج من اليمن ، بأن السعودية لن توافق على صيغة للخروج ، لأن مصر سوف يتم تدميرها اقتصاديا واجتماعيا وسياســـيا فى اليمن ، القتــال فى هذا المكان لمدة سنوات ، وعبد النـــاصر لن يستطيع الخروج مهزوما تماما من اليمن ، وهذه هى المعادلة الصعبة .

أمريكا تقدم للسعودية السلاح الحديث الذى تحارب به القوات المصرية فى اليمــن ..

بريطانيـــا .. جعلت من الجنوب العربى ممرا للملكيين الذين يهاجمون القوات المصرية .

ومصر ترسل كل يوم رجالها للموت على هضاب الجبال ..

والأزمات الاقتصادية بدأت تدق أبواب مصر بعنف .. والناس ارتدوا اقنعة من الجبس .. لادماء فيها ولا موافقة ولا اعتراض ..

كل ما أرجوه .. أن تعود .. تعود ورأسك فوق جسدك .. لا يهمنى ما اذا كانت مرفوعة .. أو منخفضــــة الى الأرض .. فالأمران عنــدى بستويان .. المهم لى أن تعود .. تعود الى بيتك .. وابنك وزوجتك .. ووالدك .. تعود ولا تدفن فى اليمن .

لى راى فى حربنا فى اليمن ، أو فى حربنـــا خارج مصر .. لا مانع من الحروب فى سبيل المبــادىء .. ولكن انطلاقا من قاعدة قوية .. أن نبنى مصر ونجعل منها قاعدة ثم ننطلق منها .

ان العالم كله لا يرضى لمصر القوة ، انه يريدها أن تستيقظ يوميـــا تبحث عن لقمة خبزها فقط . ان علينا أن نظل نبنى ذاتنـــا وبذاتنـــا ولا نضيع شبابنا وأموالنا فى اليمن أو غير اليمن .

زوجتك



محاكم ثورة اليمن : مشهد كوميدي في مسرحية هزيلة



صنعاء ــ أول ابريل عام ١٩٦٣ م

زوجتى ..

آسف عن التوقف طول هذه المدة فى عدم الكتابة اليك ، لأن الأحداث هنا كانت متلاحقة ، لقد كانت صنعاء محاصرة ، وكنـــا فى موقف صعب فالقوات الملكيـــة كانت تسيطر على المواقع الرئيســية التى تصل صنعاء بالمدن الأخرى ، والقوات اليمنية هربت من الخــدمة العسكرية ولا نعرف لهم طريقا والقوات الملكية تســـاندها السعودية والأردن ، ان بين القوات الملكيـــة عددا كبيرا من خبراء الجيش الأردنى ، ومعونات عسكرية سخية وصلت من الباكســتان وهؤلاء ــ بالاضافة الى بعض المرتزقة من بقـــايا الجيش الفرنسى فى الجزائر قد وضعوا هجوما شاملا على صنعاء ..

وفى الشهر الماضى ، قابل السيد عبد الرحمن البيضانى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغه أن اليمن لن تسكت عن التهديدات السعودية الأردنيـــة ، وان اليمن سوف تضطر لضرب الأردن والسعودية .

ويبدو أن الملك سعود والأمير فيصل قد اتخذوا هذا التهـــديد بعين الاعتبار وقد علمت من القادمين من السعودية أن الأمير فيصل تعاقد على شبكة صواريخ مضادة للطائرات لحمـــاية السعودية من غارات الطائرات المصرية ان بعض الطائرات الأمريكية تقوم بحماية سماء جــدة والرياض ، وان الأسطول الأمريكى موجود فى جــدة لحماية المدينة من غارات البحرية المصرية .



وكانت زيارة السيد أنور السادات والسيد كمال رفعت لنا هامة للغاية . حيث علما بكثير من الامور التى تحدث فى اليمن ولقد تأثر أنور السادات مما سمعه عن ما يجرى لنا فى اليمن . وأسعدنا حديثه الاخوى معنا .

ورغم ذلك رغم التحرك العسكرى خارج صنعاء ، الا اننا عشنا اياما قاسية من الحصار ، واستطاعت القوات الملكية أن تبيد الآلاف من القوات المصرية فى مواقع متفرقة خارج العاصمة .

الا أن المشير عبد الحكيم عامر قد وصل الى صنعاء ، وبوصوله تجدد لدينا الأمل ، فهو رجل عظيم ، وفى نهاية هذه الرسالة سوف أتحدث معك عنه ، أو عن اللقاء الذى تم بينى وبينه .

بوصول المشير ، كما ذكرت تجدد الأمل ، لقد جمع قياداته ، واخبرهم أن قوات هائلة فى طريقها الى اليمن بعضها سينزل فى الحديدة . والآخر سيصل بالطائرات الى مطار صنعاء ، وهذا المطار لم يسقط فى أيدى الملكيين رغم أنه خارج المدينة .

ووضع المشير عامر مع قائة العملية ٩٠٠٠ خطة اسماها ، الهجوم الكبير وهذا الهجوم يقضى بفتح الطريق الى الحديدة ، وفتح الطريق الى تعز كمرحلة أولى .

ثم تدعم القوات الموجودة فى صنعاء وتتجه شمالا لتأمين الطريق الى صعدا .

ثم قوات اخرى تتجه من صنعاء الى مأرب وصرواح وحريب وقيادتها الخرم .

وقوات تحاصر القوات الملكية الموجودة فى جحانة .

واذا تمكنت القوات المصرية من تنفيذ خطة المشير عامر ، فان اليمن كلها تصبح فى قبضة الجمهوريين .

وبدأت القوات تصل تباعا وبكثافة لا نظير لها ، وقامت القوات الجوية بجهد ضخم فى تمهيد الطريق أمام القوات البرية لتصل الى أهدافها ، ثم بدأ الهجوم الكبير ، وبدات القوات فى الزحف الى مواقعها ، واستطاعت القوات المصرية بقيادة المشير عبد الحكيم عامر أن تصل الى المواقع التى حددت لها بكثير من الخسائر .

واستطيع أن أقول لك أن القوات المصرية تحارب فى ظروف غير طبيعية .. ولولا طبيعة المقاتل المصرى لما تمكنت من الوصول الى هذه الأهداف .

لقد عشنا فى حرب غريبة ، اسمها حرب الكهوف ، ان اليمنى يأخذ معه طلقات من الرصاص ، وبندقية قد تكون قديمة جدا ، وبعض عيدان

القات وقليل من الطحين ، وبعض الزيت الذى يزخر به اليمن ، ويصعد الى الجبل حتى يجد احد الكهوف ويجلس فيها .

وعندما يشاهد جنــدى مصرى ، يخرج من الكهف ، ويصوب طلقــة واحدة الى الجندى تصيبه دائما فى جبهته فيسقط شــهيدا ، وقد تأتى القاذفة لضرب الجبل ، فماذا يفعل ؟ عندما يسمع صوت الطــائرة يدخل الكهف وينتظر حتى تسقط حمولتها من القنابل ، وهى دائما تحمل أربع قنابل . وبعد أن يعد أربع انفجارات يخرج مرة أخرى من الكهف ويضوب هذه البندقية العتيقة نحو الطائرة ، ونادرا ما يصيبها ، ولكن احتمــــال الاصابة وارد عند الطيــــار مما يجعل من مهمة الطيــــار مهمة محفوفة بالمخــاطر .

امر آخر فى قتال اليمن ، اننا نسير الى مواقعنـــا بالدبابات ، وأحيانا يقف الجندى على مدفع الدبابة وعنــدما يصل طابور الدبابات الى طريق ضيق لا يسمح حتى بدوران الدبابة ، يخرج اليمنيين من فوق الجبــــال ويمطرون الدبابات بالرصاص مما يؤدى بالجنــــدى الحارس للدخول فى الدبــابة .

ثم ينزلون الى الأرض يحاولون اصطياد الدبابة بالخناجر ، ولكن هذا من المستحيل ، فاخترعوا طريقة غريبة ، يلقون على حديد الدبابة بترولا ويشعلون البترول ، وهذا يؤدى الى زيادة الحرارة داخل الدبابة ، وخاصة ان الدبابات الروسية غير مكيفــة ، ويصبح داخل الدبابة جحيم لا يطــاق مما يجبر طاقم الدبابة الى الخروج منها ، وهنا تكون الخناجر فى انتظارهم لنزع رؤوسهم عن أجسادهم ، وتتوقف الدبابة ، ويتوقف من خلفها طابور الدبابات .

فى هذا المناخ استطاعت قواتنا أن تنفذ الخطة ، واذا كان هناك انتصار فى اليمن ، فان المشير عبد الحكيم عامر استطاع خلال شهر مارس ١٩٦٣ أن يقود القوات المصرية للتمكن من كل انحاء اليمن .

يبدو ــ زوجتى ــ بعد هذا الهجوم اننا سوف نستريح قليلا ، فلقــد اجتمعت مع المشــــير عبد الحكيم عامــر ، وهو رجل حريص على الــدم المصرى ، وقال نحن العسكريين لا بد ان ننفذ قرارات القيادة السياســية ولقد وصلتنا قبل وبعد الثورة تقارير خاطئــة وعلى ضوء هذه التقــارير مرنا الخطوة الأولى نحو اليمن ، ووجدنا أن العجلة قد دارت وانه لا بد من انجاز الخطوة الثانية والثالثة الى أخر ما وصلنا اليه .

وسوف أخبرك بخبر هام ، انني سوف احضر الى القـــاهرة لأقضي عدة أسابيع فان المشير قد أمر بتنظيم الأجازات للقاهرة . كما أن المشـــير قد أخطرنا بأن مكتب العلاقات العامة التابع لسيادته شخصيا قرر أن يقوم بحل مشاكل المقـــاتلين فى اليمن ، فمن يحتاج الى شـــقة سيقوم المكتب بتقديمها له . ومن يريد ادخال تليفون فى منزله ، ايضـــا سيقوم المكتب بتوفيره له ، ومن يريد ســـيارة نصر ١١٠٠ ، يستطيع أن يتسلمها فورا بعد دفع الثمن مباشرة ، ومن يريد أن يشترى أى شيء من اليمن يستطيع أن يدخل به مصر بدون جمارك . وقرر المشير زيادة بدل السفر للمقاتلين فى اليمـــن .

ورحل المشير بعد أن قام بتأمين الموقف العسكرى تماما فى اليمن ، الا أنه لم يتمكن من تأمين الموقف السياسى ، نحن نقاتل ونستشهد على هذا التراب ، والخلافات طاحنة بين الفريق الجمهورى والفساد يشتد يوما بعد يوم فى جهاز الحكومة اليمنية ، وأرى أن هذا الموقف خطير .

مثلا .. كافة صغار الموظفـين لا يقبضون رواتبهم ، لأنه لا يوجـــد ما يكفى لرغبة كبار المسؤولين فى الثراء السريع ، وبين المرتبـات لصـغار الموظفـين .

ومثلا .. طلبت حكومة الجمهورية من اليمنيين فى الخارج العودة الى اليمن الجديد ، ويوجد من اليمنيين فى الخارج الآلاف على درجة كبيرة من الثقـــافة ، بعضهم يحمل الدكتوراه ، وبعضهم يحتل مراكز مرموقة فى بلدان أخرى . وعاد البعض وعرض خدماته للنهوض ببلده ، وهنا حـدث تناقض بين الذين قاموا بالثورة وبين هؤلاء العائدين بأفكار تقدمية للنهوض بالبلد ، وظل بعضهم شهورا لا يجد ما يفعـــله ، مما ادى الى عودتهم من حيث جاءوا ..

ومثلا .. ارسلت احـدى الدول الاشتراكية مستشفى هدية منهـــا لحكومة الجمهورية اليمنية ، ووصل المستشفى الى ميناء عدن ولا بد أن تكون باسم الوزير المسؤول وابلغ بوصول المستشفى ، وفعـلا ذهب الى عدن ، واستلم المستشفى ثم جمع تجـار عدن ، وأعلن عن بيع المستشفى فى المزاد العلنى ، وتم البيـــع ، وقبض ثمن المستشفى وعاد الى صنعاء ، وعندما سئل . قال : انها هدية خاصة لى .



وقائد الثورة عبد الله السلال ، على خلاف كبير مع عبد الرحمن البيضانى ومحسن العينى

لو أن هذا الحادث قد وقع فى بلد اخر ، لاهتز الكرسى من تحته ، الا انه يعلم أن الجميع قد صنعوا أكثر منه .

وقائد الثورة السلال .. على خلاف مع الكثير ، الا ان اكبر خلافه مع اثنين هما عبد الرحمن البيضانى ومحسن العينى .

ومحسن العينى غير مرغوب من القيادة السياسية لمصر ، لأنه يميل الى البعثيين ، والبعثيين هنا قد قاموا بتوزيع منشورات ضد الرئيس جمال عبد الناصر . وضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، لذلك كان لا بد أن يشغل منصبا خارج اليمن ، فأسند اليه منصب المندوب الدائم للجمهورية العربية اليمنية فى الأمم المتحدة ، وغادر صنعاء ووصل الى نيويورك وحدثت معركة بينه وبين مندوب الامام ، ولكن المنظمة الدولية اعترفت بالنظام الجمهورى خاصة بعد اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام الجمهورى فى اليمن .

لى ـ زوجتى ـ معك وقفة قصيرة ، هذه ليست أول مرة يعين فيها سفير عربى ، لا لأنه أصلح من يكون لهذا المنصب ، ولكن لابعاده عن البلاد ، أليس غريب أمر الساسة العرب ، اذا أرادوا عزل رفيق السلاح ارسلوه سفيرا فى الخارج ، بحيث تكاد تكون معظم البعثات الدبلوماسية العربية فى الخارج لا تمثل النظام ، أليس هذا الأمر يحتاج الى دراسة ؟ !

عودة الى الحديث ـ زوجتى ـ هنا ايضا خلاف كبير بين الرئيس السلال ، وبين عبد الرحمن البيضانى وقد أشيع فى اليمن أن البيضانى قد استولى على أموال الامام وذهبه ، وانه استطاع أن يهرب هذه الأموال الى أحد البنوك فى عدن ومنها الى بنك فى روما . يقال أن هذا سبب الخلاف ، وأعتقد أن البيضانى سيترك اليمن فى طريقه الى القاهرة .

.. لا أدرى تماما ما اذا كانت هذه الواقعة صحيحة ام كاذبة ، ولكن الذى أعلمه أن هناك تحفظات على السياسة التى ينتهجها الرئيس السلال ، والقاهرة تريد أن تقف بجانب البيضانى الا أنها لا تريد أن تخسر السلال .

والآن .. اليك تحليل لشخصية الرئيس السلال على ضوء مقربتى منه فترة من الزمن .

للسلال بيت متواضع جدا فى صنعاء ، له باب خشبى ، يغلق من الداخل بمزلاج من الخشب ، لا أثاث فيه بالمعنى العصرى للأثاث ، الا أن

القيادة المصرية قد أحضرت له اثاث فخم من محلات الصيرفي في مصر ، ولصاحب هذه المحلات علاقة وطيدة ، ومصالح مشتركة مع العقيد على شفيق مدير مكتب سيادة المشير عبد الحكيم عامر لشؤون الخدمات ، وقام المقاول المعروف عثمان أحمد عثمان بتحسين بيت السلال ، فاقيم طابق ثانى ، ونزع الباب الخشبى بالمزلاج ، ووضع باب حديدى وكشكين وحرس ، ونافورة في الداخل ، وسور وانوار .

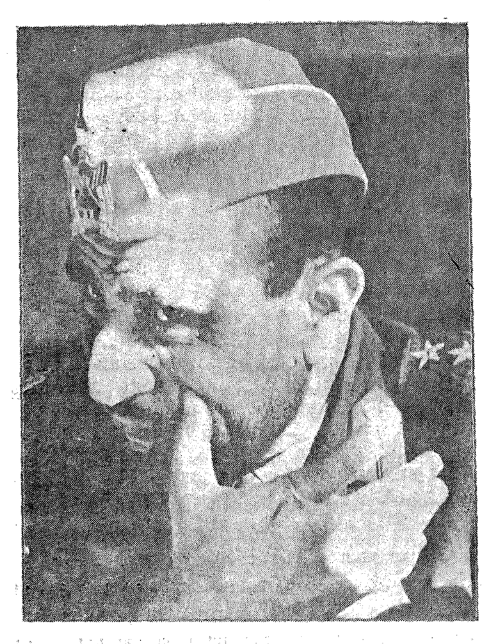
ويوجد للسلال صالة للضيافة ، نصفها مفروشات عصرية ، والنصف الآخر سجادة ووسادات ، وهو يحب الوسادات الا أنه يضع بدلته العسكرية في هذه الصالة الواسعة معلقة على مسمار .

والسلال ليس بالرجل المثقف ، وليس بالرجل الطيب القلب كما يبدو وهو مريض من انهاك سنوات الظلام ، لذلك سمعت أنه سيغادر صنعاء قريبا الى القاهرة لعمل فحوصات طبية وليس له مزاج خاص ، ولكن في نفس الوقت ليس تافهــا ، انه من أحسن الذين يتآمرون في اليمن ، ولا تستطيعين معرفة في أى جانب هو ، بالاضافة الى أنه ــ من شدة حرصه ــ لا يثق في اليمنيين كثيرا ، لذلك فان حرسه بناء على طلبه من المشير عامر من جنود الصاعقة المصريين ، وحرس السلال سعداء بهذا العمل ، فهو انسان بسيط ، يأكل معهم ، ويشرب معهم ويتحدث معهم طويلا .. فالحرس أصدقاء الرئيس .

والسلال يعشق القاعدة الجوية في صنعاء ، ويعشق بيت الطيارين ، ويكاد يكون له برنامج يومى ..

في الصباح يذهب الى القاعدة الجوية ، تكون الطائرات قد وصلت من القاهرة ، وعليها الغذاء اليومى للطيارين ، وهو عبارة عن كل ما تتخيله من محلات جروبى في القاهرة ، والطماطم والأسكالوب ، والسوتية والخبز والحليب ، والفواكه ..

ويقوم الطباخون ، باعداد طاولة طعام الافطار ، ويجلس السلال مع الطيارين يتناول الافطار ، ثم يبدأ أقسى عمل ممكن أن يقوم به انسان .. يعطى أوامره للطيارين بمسح بعض القرى اليمنية من على الوجود ، في البداية رفض الطيارون تنفيذ أوامره وبعد يومين جاءت لهم الأوامر من الفريق صدقى محمود مباشرة بتنفيذ أوامر الرئيس السلال لأنه أدرى منهم باليمن .



والسلال ليس بالرجل المثقف ، وليس بالرجل الطيب القلب كما يبدو ، وهو مريض من انهاك سنوات الظـلام ، ولكنه فى نفس الوقت ليس تافها ، انه من احسن الذين يتآمرون فى اليمن ، ولا تستطيعين معرفة فى اى جانب هو ! !

وتخرج طائرات الموت والدمار ، وتنقض على القرى تنفيــــذا لأوامر الرئيس الســـلال ..

يعود السلال بعد ذلك لتناول طعام الغداء في منزله الذى كان متواضعا وبعد الغداء يتناول عيدان القات ، وفى المساء يذهب الى بيت الطيارين ، وهنالك يتناول طعام العشاء ، ويشاهد بعض الأفلام العربية التى تعرض فى بيت الطيارين ، وخاصــة أفلام اسماعيل ياسين ، ويضحك كثيرا على اسماعيل ياسين الا أنه يسعد سعادة منقطعة النظير اذا عرض الطيــارون الأفلام الزرقاء القادمة من عدن .

بعد ذلك يعطى أوامر لطلعات الصباح لضرب القرى اليمنية ..

ذات مرة .. قال له أحد الطيارين ..

ــ هذه القرية مجمهرة ..

فرد الســــلال :

ــ لا .. لقد قلبت ..

وكلمة « جمهرت » أى انها أعلنت الولاء للجمهورية ، يقول لى صديقى الطيــــار ، أخــذت الطائرة وذهبت الى القرية ، وكانت الشمس فى بداية بزوغها ، الناس بدأت الخروج من بيوتها لعملها اليــومى فى الزراعة ، القرية هادئة ووديعة .. أربعة أطفال ينظرون الى السماء لمشاهدة الطائرة .. والطائرة تحمل الدمار والموت وهم لا يعلمون .. وانخفضت بالطــائرة لألقى على القرية قنابلى .. وتذكرت ابنى فى القـــاهرة .. وزوجتى .. وأمى .. وارتفعت دون ما ألقى بشحنة الموت على القرية الآمنة فى أحضان الجبـــال وقلت جمهوريين كانوا أم ملكيين ، الا انهم لا يستحقوق الموت فهم لا يعلمون حتى الفرق بين الاثنين ، انهم مخدوعون من الطرفين .

ارتفعت ــ يقول الصديق الطيار ــ وذهبت الى الجبال الخاوية ، وما أكثرها فى شمال اليمن وألقيت بالشحنة ، وعدت الى صنعاء .. وكذبت وابلغت القيادة بأننى نفــذت الأوامر ، وبعد يومين جاء الرئيس الســـلال غاضبا ، واخطر القائد اننى لم انفذ المهمة ، وكدت أحاكم ، ولم أكن خائفا من المحاكمـــة ، كنت أخــاف الله أكثر من أى شىء .. ولذلك نقلت الى القاهرة ، وكان هذا وحده توفيق من عند الله ..

انتهى حديث الطيار الصديق .. وأحيانا – زوجتى – اسأل نفسى .. هل هؤلاء يستحقون أن ندفن فى اليمن زهرة شبابنا ؟ .. لقد عشت مرحلة الشك هذه وخاصة أنهم لا يشتركون معنا فى حماية ثورتهم ، وكأننا جيش من الغزاة ، ولكن اذا تعمقت فى تاريخ الشعب اليمنى ، فى قديم الزمان ، أعطوا الكثير للحضارة الانسانية ، وأعطوا الكثير للحضارة الاسلامية ، وبرجالهم انتشر الاسلام فى كثير من بقاع العالم . ثم أسدل الستار ، ستار كثيف من النسيان واستطاعت هذه الحواجز أن تقطع جذور الشعب اليمنى وبما قدمه من حضارات ، ومع مرور القرون عاش الشعب حياة القهر والذل وتعود عليها ، حاول كثيرا التمرد ، وقدم الضحايا ، الا ان السلطة كانت أذكى وأقوى منه ، اننى أسمع كل يوم حكايات عن بطش الأئمة ، حكايات تفوق التصور والخيال ، وكلما أسمع هذه الحكايات أشعر أن القوات المصرية تقوم بعمل انسانى وحضارى فى نفس الوقت فى اليمن .

يكفى أن تعلمى – انه قبل الثورة – كانت أبواب المدن تغلق بعد غروب الشمس وتفتح بعد شروق الشمس ، وفى الليل الطويل ، يقتل بشر ، ويساق آخرون الى السجون ، وفى السجن قد ينسى السجين مدى الحياة .

والآن .. هناك محاولات جادة لتحطيم كل هذه الأسوار .. لتحطيم الأبواب المغلقة ، ليرتبط شعب اليمن بشعوب العالم ، ان سكان الشمال الكثير منهم ، يعتقدون أن العالم ينتهى بعد جبال صعدا وان لا بشر فى هذه الأرض غيرهم .

والآن – أيضا – ملكيين كانوا ام جمهوريين ، يعلمون أن هناك دولا أخرى غير اليمن ، وان هناك حضارات وشعوب ، وان هذه الشعوب تعيش فى قرن اسمه القرن العشرين .

بل عرف سكان الشمال أن هناك غذاءا غير الدقيق والقات والزبيب ، وعرفوا أيضا أن أسرة حميد الدين ليست منزلة عن عند الله ..

وانهم أيضا بشر مثلنا .

هنا ــ زوجتى ــ محاولات جـادة للاصـلاح ، ولولا الحـرب لشمل الاصلاح كل مكان ، هنا تستعد بعثة تعليميـة مصرية الوصول الى اليمن هنا بعض مشايخ من الأزهر يعلمون الناس الدين الاسلامى ، فالكثير نسوا اركان دينهم ، هنا عشرات المهندسـين المصريين يبنون المدارس ويشقون الطرق ويرصفون الشوارع ويقيمون المساكن ذات الطوابق العالية فلعلمك لم يكن مسموحا لأن يبنى احد بيتا أكثر من طابق .. فلا علو الا للامام ، هنا أقيمت المكتبات ودخلت ملايين الكتب ، ومئـات الصحف لمن يريد أن يعـرف .

واصبح هنـاك طريق تجارى ضخم بين صنعاء وعدن ، صحيح أن الأسواق قد فتحت لنهم المستهلك المصرى من قواتنا ، الا أنهـا فى نفس الوقت مفتوحة للجميع ، بحيث أصبح الآن فى بيت كل يمنى تقريبا ثلاجة ، وجهاز راديو ، بعد دخول الكهرباء البيوت .

واليمنيين ، حاليا ليسوا فقراء كالسابق ، ان الحرب هذه جعلت من بعضهم أثرياء فان الأموال المصرية التى اعطيت للقبائل ، والأموال السعودية التى اعطيت أيضا للقبائل ، قد جعلت هناك رواجا .

والآن . السمت معى أن ما يقوم به الجندى المصرى فى اليمن ، عمـل تاريخى ، وموقف انسانى ، مهما كانت التضحيات ؟ .

زوجـك



الرسالة الثالثة

القاهرة فى أول مايو ١٩٦٣ م

زوجى العزيز ..

أنتظرك ، وطال الانتظار ، أتصور أن أيام فتوحات الاســـلام ، كان الجندى يعود الى بيته بعد ستة أشـــهر قتال ، ولم يكن هنـــاك طائرات سريعة تنقلك من صنعاء الى القاهرة فى ساعات تعـــد على أصابع اليـــد الواحدة والآن مضى على وجودك فى هذا المكان ثمانيـــة اشهر ، ولكن ما يعزينى فى ذلك اننى أعرف ما يدور فى اليمن من خلال رسائلك لى .

لقد شعرت من رسالتك الأخيرة لى أن هنـــاك فى اليمن « حالة ركود قتالى » وهذا أســـعدنى ، فأنا لا أريدك أن تدفن فى اليمن وأسعدنى أكثر لقائك بالمشير عبد الحكيم عامر والتسهيلات التى قرر أن يمنحها لكم ..

ولهذا .. فانى اريد ان انتقل من سكننا المتواضع فى مصر الجديدة ، ونحصل على شقة من الحراسة فى جاردن سيتى ، وأنا أعرف عمارة غاية فى الروعة ، بالقرب من فيـــلا مصطفى النحـــاس وفؤاد سراج الدين وبالقرب من السفارة الأمريكية ، كان من بين أمالى أن أسكن فى حى كحى جاردن سيتى وليس كثيرا علينا أن تحجز لنا ســـيارة أنتقل بها والولد فى القاهرة حتى تعود كما أرجو ان ترسل لى ما حرمت منـــه سنوات طويلة واعتقد انه أصبح متيسرا فى اسواق صنعاء ، وانت تعلم ما حرمنا منه . زوجى ..

اليست مهزلة أن نطل على صناعات العالم من اسواق صنعاء ؟ ولاننا فى مهزلة لا أريدك تعترض ولا أريد قضية المبادىء أن تركب رأسك ، فهذا

اقل ما يجب أن يتوفر لأسرة مقاتل فى اليمن ، ولكى انزع من راسك بعض الافكار الخاطئة سأقول لك أن السيدة حرم الرئيس قد طلبت من السيد محمد أحمد أن يوفر لها بعض ما يحتاجه البيت من « مكسرات » رمضان . فارسل الرجل الى سفارتنا فى قبرص ، وكلف الملحق العسكرى هنـــاك بشراء «مكسرات» لبيت الرئيس ، وارســل الفى كيلو غرام فى صـندوق كبير حملتـه طائرة اليوشن ، ووصل الصندوق الى مكتب المشير عبـــد الحكيم عامر . وتصور مستلمه انه هدية من الملحق العسكرى فى نيقوسيا فقام بتوزيعه على الأصدقاء ، ولم يرسل لبيت الرئيس منه شيئا ، ومرت الأيام وارسل السيد محمد أحمد الى الســـفارة مرة أخرى مستفسرا ، وجاء الرد ، وعرف القضية وطلب صندوقا آخر فأرسل الملحق العسكرى صندوقين ، فى هذا الوقت فان مصر تعانى من أزمات تموينيـــة حادة ، فلقد اختفت المواد التموينية الأساسية ويقال انها ترسل لليمن .

أنا آسفة ، لأن ابدأ خطابى بمطالب ، ولكن عذرى فى ذلك أنها فرصة يجب أن تستفيد منها ، وتستفيد معك اسرتك لأننى أتصور أن هنـاك فى الكواليس السياسية بحثا عن حل لمشكلة اليمن ،واتصور انكم ستنسحبون من اليمن . فلقد علمت هنا أن الرئيس جمال عبد الناصر قد قام بتكليف بعض الرجال ببحث امكانية الانقلاب فى المملكة العربيـــة السعودية وعلى اســاس وجود قوات مصرية فى اليمن تستطيع أن تقوم بحماية الانقلاب ، وسافر الرجال الى المملكة العربيـة السعودية وقضوا شـهرا ، وأمكنهم الاتصال ببعض العنـاصر الوطنية واليســارية وعادوا بتقرير قدموه الى الرئيس جمال عبد الناصر وان هذا التقرير يؤكد عدم امكانيـــة قيام أى انقلاب فى السعودية للأسباب الآتيـة :

١ ــ أن المسيطرين على كافة أمور المملكة هم ابناء اسرة واحدة ، وهم فى حد ذاتهم يشكلون نسبة غير بسيطة من عدد السكان .

٢ ــ ان الانقلاب اذا نجح فى جـدة ، سقط فى الرياض وذلك للمسافات البعيدة ، الهائلة بين مدن المملكة العربية السعودية .

واقترح الرجال أن يكون العمل للضغط على المملكة العربية السعودية باخذ طريقين :

الأول : ارسال متفجرات لاشاعة الرعب فى المدن السعودية .

الثانى : الضغط السياسى بواسطة بعض الأطراف ومحاولة قيام حوار حول المشكلة اليمنية .

والتقرير يؤكد أن السعودية غير راغبة فى استمرار وجود القوات المصرية أو انها يمكن أن تقدم لها خروجا كريما من اليمن ، ومصر التى انهكت بشكل لا تتصوره فى اليمن خلال الشهور الماضية ، فانها مستعدة للدخول مع السعودية فى مفاوضات من أجل الخروج من اليمن .

اذن ارى ان الطرفين الرئيسيين فى هذا الصراع الدامى لديهما الاستعداد للاتفاق لذلك فانى أتصور سرعة وسهولة الاتفاق .

من هنا أقول لك انك ربما تسمع عن انفجارات فى المملكة العربية السعودية وسوف تسند هذه الانفجارات الى « منظمة » سيبحث لها عن اسم فيما بعد ..

وسوف تسمع خلال الأيام القادمة حملة اعلامية ضد النظام فى المملكة العربية السعودية ، لقد بدأت الحملة بالفعل ، لقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر والقى خطبة هاجم فيها السعودية بعنف ، خطبة أرضت الجماهير التى نادت من خلف المنصة « احكى .. احكى .. على المكشوف بدنا نسمع بدنا نشوف » . وانت كما تعلم عبد الناصر عبد الشارع . وحكى كثيرا و « وعلى المكشوف وأسمع الناس وأرضى من يريد ان يشوف » .

والآن .. انت تريد أن تعرف أخبار مصر ، وسوف أخبرك ببعض منها .

الأخبار ..

ما زالت قرى مصر مظلمة ..

وما زالت الأمية بنفس النسبة التى كانت عليها عام ١٩٥٢ ..

وما زالت الناس منتظرة نهاية للحرب التى بدأت منذ ثمانية أشهر ..

وما زالت الناس فى حالة انتظار لشىء ما ، لا تعرفه ، ولكنها تأمل فيه انها تنتظر دون معرفة لموعد أو لأى شىء ..

جلست مع احد خبراء السد العالى الذى انتهى العمل فيه ، واسمه الدكتور أحمد كمال ، وهو خبير الكهرباء فى السد العالى ، وأخبرنى بخبر هزنى بعنف ، قال ان الكهرباء التى تستخرج من السد العالى تضيع هباء ، لان حرب اليمن أوقفت بعض المصانع التى كنا قررنا اقامتها لتعمل بالطاقة الكهربائية ، وكهربة الريف المصرى ، توقفت بسبب الانفاقات فى اليمن ، وخطة بناء المدارس الجديدة توقفت بسبب انفاقات حرب اليمن وسوف يشهد العام الدراسى القادم ٦٠ تلميذا فى كل فصل ، لان مصر التى تحارب فى اليمن لا تستطيع أن تبنى مدرسة جديدة لاطفالها .

والناس هنا ، من كثرة الحزن واللامبالاة يضـــحكون .. هل تريد ان تسمع آخر ضحكاتهم عن حرب اليمن اليك بعض ما يضحك الى حد البكاء

الأولى تقول ان باخرة قد ثقبت فى عرض البحر ، وكان لا بد من تخفيف حمولتها ، واقترح قائد الباخرة أن تجتمع كل جنسية وتختار واحدا يلقى بنفسه فى البحر وتم الاختيار ، ووقف الأول وكان مصريا ، وقال فى ســبيل مصر ، والقى بنفسه فى البحر ، والثانى فى ســـبيل بريطانيا العظمى والقى بنفسه ، ومواطن يمنى وقف وقال فى سبيل الجمهورية العربية اليمنيـــة ودفع الى البحر بشاب مصرى يقف بجواره .

واليك الثانية .. بعد استمرار الحرب فى اليمن ، والعــلاقات الثورية بين كوبا ومصر ، قرر الرئيس جمال عبد الناصر اقامة اتحــاد بين الدول الثلاث ، واختار اسما لهذه الدولة وهو « مصر يمن كوبا » !

هنا ، من شـــدة القهر يضحكون ، ان الخطة الخمسية توقفت تماما بسبب حرب اليمن وثروة الكهرباء تبدو كأنه من المستحيل الاحتفاظ بهـــا لعدم وجود عشر ما ينفق فى اليمن للاستفادة من هذه الثروة لبناء المصـــانع أو كهربة الريف .

وبدأت الصحافة تتحدث عن انتصاراتكم على جبال اليمن وفى سهولها أى انتصار هذا .

كل ما تنتصرون ، وكلما يدفن مصرى فى اليمن فانها الهزيمة بعينها ، هزيمة تهز مصر حتى العظام .

أى عدو تحاربون ؟..

أمريكا تريد أن تخرج من فيتنام . ونحن فى وحل اليمن .

تعالوا حاربوا عشرات الأعداء فى الداخل ..

تعالوا حاربوا الفقر والجهل والمرض .

تعالوا هنا أقيموا العدل والثراء والرفاهية والحرية .. ثم صـــدورها للخـــارج .

تعالوا أبناء مصر .. الى أرض مصر . فهى فى حاجة اليكم ، كمـــا لم تكن فى حاجة اليكم من قبل .

« زوجتك »



صنعاء ... أول يونيو ١٩٦٣ م .

زوجتى ..

لا أدرى من سيصل أولا ، هذه الرسالة أم كاتبها ؟ مقربة من عام على فراقنا .. وأشعر بحنين الى نسمات النيل وضحكات الناس .. والزوجة ... والبيت الهادىء .. وملابس أدمية وأسمع الموسيقى ، ولكن علينا أن نؤدى الرسالة مهما كلفنا من تضحيات ..

قرأت رسالتك الأخيرة ولو انى أعرف خطك جيدا ، لتصورت أن انسانة أخرى هى التى كتبت هذه الرسالة .. رسالتك متناقضة حرصك على الناس فى مصر .. ومطالب خاصة بك وبأسرتك .

تطالبين بالعودة وانا اريد ذلك لا خوفا من القتال ولكن عندى شعور ما يؤكد اننا فى طريق مسدود ، لم يعد الموت يهز شعرة واحدة فى رأسى ، فاليوم جلست أفكر فى ذلك المكان الذى أبيت فيه عندما أكون فى صنعاء ، انها صالة كبيرة بها خمسة أسرة ، أنا وأربعة نبيت فى هذه الغرفة منذ وصولى الى صنعاء .. ويختفى أحدنا ، يدفن فى كل مكان ، وأى مكان فى اليمن ويأتى مقاتل جديد ويختفى اثنان ، ويأتى غيرهما وعملية الموت تدور فى هذه الغرفة وحتى اليوم كم من الرجال دفنوا فى اليمن الله أعلم بهم .

ويعود القتال من جديد وتعود عجلة الموت تحصد فى الجانبين ، لقد بدأت المحاولة برسالة من الرئيس الأميركى جون كيندى للرئيس جمال عبد الناصر والأمير فيصل والرئيس السلال ، يطلب منهم وقف القتال ، وبعد أيام من

هذه الرسالة وصل الى صنعاء المشير عبد الحكيم عامر واجتمع بالقيـــادة للعملية ٩٠٠ واخطرهم بأن رالف بانش السكرتير العام المساعد للأمم المتحدة سوف يصل الى صنعاء وعليه يجب أن تكون كافة المدن الرئيسية فى اليمن فى أيدى القوات المصرية مهما كلفنا ذلك من عتاد وأرواح .

كانت مأرب هى المدينة الرئيسية التى سقطت من ايدينا وذبح كل الرجال الذين كانوا بها ، وبناء على تعليمات المشير اعدت خطة لاستعادة مأرب وكنت ضمن القوات الزاحفة الى هناك لتحرير مأرب .

واستطعنا تحريرها بعد ان فقدنا فى الطريق مئات من القتلى ، وجاء فى مارس المــاضى رالف بانش وقابل الرئيس السلال وقابل المشير عبد الحكيم عامر وقال له المشير أن جميع مدن اليمن فى أيدى الجمهوريين وقال له رالف بانش :

ــ حتى مأرب ؟

يعرض عليه المشير عبــــد الحكيم عامر ان تحمله طائرة هيلوكوبتر الى مأرب ، وفعلا وصل بانش الى مأرب ، وسألناه اسئلة حول وجودنا ، والى متى نتوقع ان نبقى فى اليمن ، وهل نحن مؤمنين بما نؤديه فى اليمن .

وقال لنا :

ــ ايها الرجال بصدق انا اشفق عليكم الا انكم تقومون بعمل تاريخى وانسانى فى سبيل هذا الشعب الذى لا يوجد معاناة فى العالم مثل ما عاناه .

وقال احد المقاتلين .. ممن يعرفهم المشير :

انه ــ كما قيل ــ التاريخ مشجب نعلق عليه اللوحات ، قد يأتى مؤرخ ويقول فترة الاستعمار المصرى فى اليمن ، هنا ندفن يا سيدى بلا معالم ، ومشكلة اليمن أكبر من أن تتحملها مصر تاريخيا ، انها وصمة عار فى جبين الحضارة الانسانية كلها .

وسكت رالف بانش ..

وركب الطائرة الهليوكوبتر ، كاد الرجل أن يبكى حزنا على ما شـــاهده فى اليمن ، ويبدو انه ايضا حزين على ما علمه من عدد الضحايا فى شـــهداء قواتنــا .

ثم سافر الرجل الى عدن وهناك عقد مؤتمرا صحفيا تحدث عن الموقف فى اليمن مؤكد سيطرة الجمهوريين على كافة مدن اليمن .

وقد أدى المؤتمر الصحفى الذى عقده الى انه حرم من دخـــول المملكة العربية السعودية فلقد اعتبرته السعودية منحازا للجمهورية .

وكما قرأت فى الصحف فان رالف بانش قد قابل الرئيس جمال عبـد الناصر بينما الرئيس كنيدى قد أرسل سفيره السابق فى الهند مستر بانكر الى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل الى القاهرة وقابل الرئيس جمـال عبد الناصر ليبحث صيغة للانسحاب من اليمن مع الحفاظ عـلى النظام الجمهـورى .

لقد تسربت هنا أنباء عن احتمال اتفاق . كانت بشرى لمواطنى مصر ، وهو وقف المساعدات تماما عن الملكيين من جانب السعودية واعطاء الدليل على ذلك باخراج الامام البدر من السعودية .

وكانت شروط السـعودية هو الانسحاب من اليمن . وكان موقف السعودية يتمشى مع رغبتها فلقد وافقت على الشروط المصرية وطلبت فعلا من الامام محمد البدر مغادرة السعودية ، هنا حـدث ما كان متوقع ، أن الطرف الجمهورى والطرف الملكى غير راغب فى الاتفاق ، بل ان هناك بعض القيادات المصرية غير راغبة فى مثل هذا الاتفاق .

ان حرب اليمن كانت كنزا عظيما لأطراف كثيرة ، أن الرئيس السلال مثلا رجل ذكى وقد صرح فى جلسته الخاصة بأنه يرفض جلاء القـوات المصرية من اليمن وسيعمل على ايقاف الاتفاق والامام البدر صرح علنا بأنه لن يأمر قواته بالتوقف عن القتال ، وشيوخ القبائل ترفض وقف القتـال اليوم مع الجمهوريين طالما أن مصر تدفع ، وأكثر من قائد عسكرى مصرى ضد هذا الاتفاق أيضا .

مثلا .. لواء .. قائد محور فى اليمن عندما سمع نبأ قرب الاتفاق ، كان الرجل واضحا لقد ضرب كفا على كف وقال .. وكيف انتهى من بناء الفيلا ؟

فحرب اليمن ــ زوجتى ــ قد شكلت من كافة الأطراف طبقة مستفيدة ومستعدة للتآمر ، للاغتيال ، حتى لا يتوقف القتال ، أو بالأصح لا يتوقف سيل الذهب القادم من السعودية وسيل الفضة القادمة من مصر .

أقول لك ان الرئيس جمال عبد الناصر صادق فى الانسحاب .. وأقول لك أن الأمير فيصل صادق فى وقف المساعدات عن الملكيـين وأقول لك أن الولايات المتحدة تريد انهاء الصراع ، رغم أن بعض الساسة الأمريكيـين

لا يريدون .. واقول لك أن رالف بانش ويوثانت والأمم المتحـــدة ، كلهم يرغبون فى وقف القتال وانسحاب القوات المصرية .

الا اننى أقول لك أن هذا لن يحدث ، فان الذين يأمرون بالضغط عـلى الزناد لا يرغبون . ان السعودية قد وافقت ـ كما اعلن الراديو ـ عـلى السلام . ومصر أعلنت الموافقة أيضا . والأمم المتحدة قررت ارسال قوات الطوارىء بقيادة كارن فان هورن ، ولعلمك لقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر من السكرتير العام للامم المتحدة ارسال هذه القوات بالسرعة الممكنة لذلك فلقد شكلت هذه القوات من قوات الطوارىء الموجودة فى غزة وشرم الشيخ ، الحدود المصرية الفلسطينية حتى تصل على وجه السرعة وقررت مصر والسعودية تحمل نفقات هذه القوات أثناء وجودها فى اليمن ، وذهب السفير الأمريكى السابق بخريطة لوضع قوات الجانبين وايجاد الشـــريط لتعسكر فيه قوات الطوارىء الدولية .

وجمعنا الجنود المصريين وأصدرنا اليهم اوامر بعدم الاحتكاك بقـوات الطوارىء الدولية وتقديم كافة المساعدات لهم فى حالة طلبها كما طلبنا منهم المحافظة على حياتهم فى حالة حدوث أى اشتباك ، فهم رسل السلام ولا ذنب لهم فى هذا الصراع الدامى ، على جبال اليمن ، ولأن جنودنا فقراء شددنا عليهم بعدم طلب أى شىء منهم ، وأخبرناهم انهم فى اليمن بناء على طلبنـا وبأموالنا ، وهمس فى أذنى أحد الاصدقاء قائلا :

أموالنا .. ماذا تكفى ؟.

نعم .. هم عندنا هنا بأموال هذا الشعب المصرى الصبور ، صحيح أنها مناصفة ولكنها قسمة غير عادلة .

وهبطت فى مطار صنعاء أول قوة من قوات الطوارىء التى شكلت من الكونغـــو وغزة ، ثم تبعها قوات أخرى وهى قوات كندية ويوغســـلافية وسويدية ونرويجية واسترالية ونمساوية أيضا ومن نيوزلاندا .

وبدأت هذه القوات تتخذ مواقعها وسط توتر شديد ، وكان جنـودنا يشاهدون جنود القبعات الزرقاء بدهشة شديدة ، وكان نفس الجنـــود التابعين لقوات الطوارىء الدولية فى دهشة من أمر اليمن .

كانوا يشعرون بخيبة الأمل ، وبالحظ الأسود الذى رماهم من السويد الى جبال اليمن الشمالية وكانت قيـــادتهم تحاول الترفيه عنهم بشتى الوسائل حتى أن أحد جنودنا جاء يسألنى ...

ـــ طالما أنهم هنا بأموالنا .. فلماذا لا نعيش نحن أيضا في اليمن مثلهم ؟

ولم أعرف الاجابة على هذا السؤال وكل ما استطعت أن أقول : اذهب الى وحدتك ..

قوات الطوارىء الدولية تعيش في رعب بعد أن سمعت حكايات اليمن والرصاص الدمدم .. وهو رصاص يستخدمه رجال القبائل ــ القناصين منهم ــ وهو ممنوع دوليا ، فاذا أصاب أحد ، فانه لا بد وأن يموت ، كما مات بهذا الرصاص كثير من جنودنا ، كما أن قوات الطوارىء الدولية تخاف الخناجر أكثر من خوفها من أى سلاح آخر لأنه السلاح الوحيد الذى يمكن أن يفصل الرأس عن الجسد .

زوجتى ...

أحيانا أنظر لهؤلاء واقول ما ذنبهم ؟ ؟

ولكن أراه صراعا مريرا فى كل أنحاء العالم ، على كل العالم أن يتحمله ، وعلى البشرية كلها أن تشارك فى أخطاء وغرائز وشذوذ حكام هذا الكوكب اللعين .

وأحيانا أخشى على هؤلاء الجنود من الموت فى اليمن . فان القبائل لا ترغب فى وجودهم ، لقد تعودوا القتال ، تعودوا المكاسب من القتال ، ولا فرق عندهم بين سويدى أو امريكى أو مصرى ، أو حتى يمنى المهم أن تظل اليمن مشتعلة أو أن تظل الخزنتان السعودية والمصرية مفتوحتين لحرب اليمن .

نحن لنا موقف سياسى والسعودية لها أيضا موقف سياسى آخر !

وهؤلاء الرجال من القبائل يقاتلون ويقتلون ويقتلون ــ ما هو موقفهم السياسى .. لا شىء .. لذلك فهم يحاربون كل يوم فى اتجاه ، ولن يوقفوا القتال ، فهو بالنسبة لهم هواية واحتراف ، مال وملء فراغ لن يخسروا شيئا ، اذا كسبوا الحرب سيخسرون الكثير اذا توقف القتال ، انى آسف لهذه الرسالة الحزينة ، أكتبها بعد فترة هدوء نسبية ، فلقد علمت

خبرا مؤلما اليوم ، ان عدد الشهداء من جنودنا قد بلغ حتى الآن ثمانية آلاف شهيد ، ثمانية آلاف دفنوا فى اليمن وأسرهم فى مصر لا تعرف عنهم شيئا ، ان مشهد الصباح كان فوق ما تحتمله عواطفى ، لقد جاءت الخطابات من القاهرة للجنود ، وضعتها امامى على منضدة وبدات أوزعها ، وتجمع الجنود وبدات أنادى على صاحب الرسالة الأولى وبسرعة الريح كان قد خرج من الصف وخطف من يدى الخطاب ، واخذت أنظر اليه وهو يقرأ الخطاب خارج الصف أو الطابور ، واذ بدموع غزيرة تنساب من عينيه ، لا أدرى حتى هذه اللحظة لماذا ؟.. ربما يكون الحنين ، ربما يكون خبر سيىء ، ربما أى شىء ولكنه بكى ، ونظرت الى الطابور الواقف امامى فوجدته مائلا استعدادا للركض لخطف الخطاب ، وناديت على الثانى وركض وبدأ يقرأ الخطاب ، واذا به ينهار ويبكى بصوت عال لقد مات ابنه الذى ودعه وكان عمره عامين ، ثم ناديت على الثالث ، وأعطيته رسالته ، فوضعها فى جيبه دون أن يقرأها ، وعندما سألته عن السبب قال لا اريد أن انهار كما انهار اصدقائى لا يمكن ان تكون هناك اخبار سارة من القاهرة اننى أرعى أسرة كبيرة ، وهذه الاسرة تضيع عندما اغيب عنها وناديت على الرابع .. ولم يرد أحد .. ونظرت فى وجوه الحاضرين .. ورفعت صوتى أين العسكرى محمد .. محمد استشهد محمد استشهد .. كان مرحا .. ضاحكا .. وكان قد كيف ظروفه على هذه الحياة القاسية ، كان فى العشرين من عمره .. زهرة ناضرة .. اختطفت وتماسكت .. الرسالة الخامسة .. استشهد يا أفندم .. والسادسة نزل أمس الى القاهرة بعد ان فقد بصره وساقه اليمنى .

نعم .. نزل الى القاهرة بعد أن فقد بصره وساقه اليمنى .. ولم أتمكن من توزيع الرسائل وطلبت أحد الجنود ليوزع الرسائل ، لقد شاهدته صباح امس وسأقول لك بصراحة ، كان المفروض أن أكون اليوم فى القاهرة استطعت أن أحصل على تصريح من القائد لمهمة فى القاهرة ، لم تكن المهمة سوى انزال بعض ما اشتراه القائد من عدن عن طريق احد التجار ، وقبلت هذه المهمة لاراك وارى ولدى واسرتى وذهبت الى مطار الرحبة وجاءت السيارة الروسية تحمل جهاز اللاسلكى لانزال الطائرة الأولى ووصلت

الطائرة ، واندفع بعض الضباط داخل الطائرة ، وجاء الجرحى ، لم يكن لهم مكانا على هذه الطائرة ثم اقلعت فى طريقها الى القاهرة وجاءت الثانية وكان هناك عشرات من الجرحى فى طريقهم على غير اقدامهم الى بلدهم ، كان من الممكن أن أركب هذه الطائرة ، الا اننى كنت أمام اختيارين ، أما أن أحد الجرحى لا يركب الطائرة أو أنا ، وفضلت ان يركب مكانى جريح فى حالة خطرة ، الكل فى حالة خطرة بعضهم يصل الى مستشفيات القاهرة وبعضهم يموت فى الطريق ولكنهم جميعا سعداء لأنهم سوف يدفنون فى تراب مصر وجاءت الثالثة ، وقال القائد لن أسمح بركاب معى . أنا فى طريقى الى الحديدة والطائرة مليئة بالمفرقعات ولن أجازف بأى راكب من صنعاء . وعدت الى حيث كنت ، وما أن رآنى القائد حتى سألنى عن عدم سفرى واخبرته القصة كاملة ، قصة الجرحى ، والمفرقعات ، وكان سؤاله .. واين الصندوق ؟..

ـــ سيدى كان هناك عشرات التوصيات ، الصندوق فى السماء ، على اول طائرة فى طريقه الآن للقاهرة ..

وقال .. لقد حاولت أن اخدمك ، تذهب وترى أسرتك وتوصل الصندوق لبيتى .

ـــ وما الحل ؟.

قال القائد :

ـــ سأتصل باللاسلكى لينتظره غيرك ، ثم اضاف ..

ـــ وعليك الآن الذهاب الى وحدتك .

وذهبت الى وحدتى .. اجمع رسائلك ورسائل أسرتى وأعيد قراءتها واسترجع كل ما كتبته لك ، حتى كان الصباح ، حيث جاء أحد ضباط الأمن ، وجلس معى ، واخبرنى بالرقم المذهب لشهداء ثمانية اشهر كل شهر الف شهيد ، ولا أحد يعرف متى يتوقف نزيف الدم على هذه الجبال اللعينة انها قصة بلا نهاية ، ومحيط بلا شاطىء .. اننى لا أعرف الى اى مدى انتصرنا والى اى مدى انهزمنا انى لا اعرف والى أى مدى سيكون انتصارنا، والى أى مدى ستكون هزيمتنا .

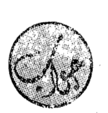
نحن نحارب الآن الغيب ، وفى الغيب ، لا يستطيع أن نحدد لنا عدوا واضحا كما لا نستطيع أن نحدد لنا صديقا واضحا ، الكل يخشى الكل ، والكل يترقب الكل .. والذين ملكوا شن الحرب لا يملكون اليوم وقفها ،

والذين يملكون وقفها يزيدون لها الدوام والاستمرار ، ويريدون بحور الدماء لكى تستمر بحور الذهب والفضة ، اننى فى حالة من الشك ، اننى أريد مهمة محددة المعالم ومعروفة الأهداف ، لها نهاية كما كانت لها البداية ..

وانت ــ يا زوجتى ــ وسط كل هذا تريدين بيتا فى جاردن سيتى ، وسيارة ، وبعض ما حرمت منه ، واخيرا ــ زوجتى ــ أنت تريدنى أن أحارب من أجل شقة من الحراسة ، والانسلاخ من طبقتى ، وشعبى يجد قوته اليومى بصعوبة ، أنا لن تهون مصر على بكل تاريخها ، أنا لن تهون على نفسى ترابها ، وفتيانها ، والذين يدفنون بالجملة فى هذه الأرض ، لن تهون من أجل سيارة او طائرة او بيت على النيل ، والا ما الفرق بينى وبين البدر ولواء الصندوق . وما الفرق بينى وبين رجل قبيلة لا يعرف لماذا يحارب ؟.

لا .. لن أتحول الى تاجر حرب ، أو ثرى حرب ، سأظل أنا ، مقاتلا مصريا ، يدافع عن مصر ، وترابها ومبادئها فى أى مكان وفى كل مكان .

زوجك



الرسالة الرابعة

القاهرة فى يوليو ١٩٦٣

آه يا زوجى من رسالتك الماضية ، أحزنتنى وأرضيتنى فى نفس الوقت . احزنتنى وأنا أراكم تتساقطون كأوراق الخريف بينما أنتم فى الربيــــع . أحزننى المشهد المؤلم لتوزيع الرسائل ، وانتظار وصولك ، وأنت واقف أمام الطــائرة .

وأرضيتنى لأننا بدأنا نقترب من التفكير فى حرب اليمن ، فأنا كنت أراها استنزاف لطاقات مصر بغير فائدة على مصر ، وكنت تراها معركة مبــادىء فى سبيل مصر ، أنا لا أعارض التضحية من أجل شعب عربى مسلم له تاريخ وحضارة كشعب اليمن ، ولكنى اعترض بشدة أن نموت فى اليمن ، انهــا أشبه برب أسرة قتل نفسه لمرض أصاب ابنه فالابن سيشفى يوما ما ، ولكن سيظل دائما فى احتياج الى والده .

لسنا امريكا ذات المصادر والموارد المــالية والبشرية اللامنتهية ، نحن دولة خرج الاستعمار من ديارها منذ سنوات قليلة ..

لو تأتى الى القــاهرة لتشهد آثار حــرب اليمن فى كل بيت ، او تأتى لتشهد الطوابير التى تبحث على كسرة خبز ولا تجدها ، لأن مصر فى أزمة اقتصادية حقيقية . وتصور المهزلة الكبرى ، سأل أحد الصحفيين مسئول مصرى عن الأزمة الاقتصادية فى مصر . فبدلا من أن يجيبه ، سأله :

— أين تقيم ؟

فقال فى الهيلتون ..

— وماذا تناولت فى العشاء أمس ؟.

فقال الصحفى :

— دجاجة .. وبعض السلاطا .

فقال المسئول :

— كيف تكون هناك أزمة اقتصادية وقد تناولت دجاجة « وسلاطا »

بهذه البساطة ينظر المسئول للازمة الاقتصادية التى تمر بها البلاد ، والناس لا تجد البيضة التى تأتى من هذه الدجاجة .

والناس هنا من شدة الأزمة يريدون السفر الى اليمن ، وكافة وسائل الاعلام تحجب الحقيقة عن الناس فى مصر ، والناس هنا قانعون بما تقدمه لهم أجهزة الاعلام ، والبعض « يفلسف » الأمور ويقول اذا كانت هنا أزمة ، فان أولادنا فى اليمن فى بحبوحة وهم لا يعلمون أن أولادهم يدفنون فى اليمن، وتفصل رءوسهم عن أجسادهم .

والعائد من اليمن ، كأنه العائد من « الجنة » ان جريحا كان عائدا من اليمن وخرج من المستشفى بعد علاجه ، ولم ينسى أن يأتى معه من اليمن شابا فاخرا وكان معه ٥٠٠ جنيه مصرى وفى طريقه الى قريته التى تقع على بعد عدة كيلو مترات من شبين القناطر ، نزل من الأتوبيس فى المحطة الرئيسية للمدينة ، وبدأ السير على الأقدام فى طريقه الى القرية ، وشاهد سيارة لشرطة النجدة فأوقفها ، وركب معهم لتوصيله الى بيته ومن شدة سعادته بالعودة والسلامة معا ، ومن شدة سعادته بما جمعه من أموال فى اليمن ، أخبر الشرطى والسائق فحاولا أخذ كل شىء منه .. فقاوم .. وقاوم .. وقتلوه وأخذوا منه كل شىء .. واكتشفت الشرطة الجريمة الشنيعة ولم تنشر ولكنها كانت حديث مصر كلها ، واعدم الشرطى والسائق فالناس لا تدرى ماذا يحدث فى اليمن ، وشعبنا لم يكن تصدر عنه مثل هذه الأفعال حتى الخارجين على القانون كان لديهم الرحمة .

زوجى ...

لا تفكر فيما كتبته فى الرسالة السابقة ، فأنا آسفة ، فلا تهمنى السيارة ولا جاردن سيتى ، ولا شىء فقط يهمنى أن تعود سالما من اليمن ، فأنت كل ما أرجوه .

ان الدافع وراء هذه المطالب أن كل من يجد فرصة ينتهزها ، وكأننا فى سفينة تغرق ، لا تصدق ما يحدث هنا . ولن تصدق . لقد وصل أمر المشير مثلا لشركة نصر للسيارات لتسهيل حصولكم على السيارات وخرجت من هذه الشركة مئات السيارات بأسماء ضباط فى اليمن ، وهؤلاء الضباط هم أصدقاء مدير مكتب المشير ، وهؤلاء الضباط هم كل من فى الوسط الفنى ، المطرب المغمور أصبح رائدا والراقصة أصبحت ملازما ويأخذون هذه السيارات ويقومون ببيعها فى السوق السوداء بضعف ثمنها .

وحرب اليمن ، والقتال على الجبال ، بعيدة كل البعد عن تفكيرهم ، المهم أن « تنتهز الفرصة » والا انتهزها غيرك .

فى قاموس اللهجة المصرية ، دخلت كلمات جديدة لم نسمع عنها الا اثناء هذه الحرب ، وكلها تشير الى ما وصلت اليه الحالة الداخلية من فساد ، وما وصل اليه الناس من نفاق ، أن اخطر ما قد يقتل هذه الامة العظيمة هو اختفاء كلمة الحق .

زوجى العزيز ..

ان لديك حس سياسى تحسد عليه ، اننى أسمع هنا على أن قوات الطوارىء الدولية سوف تغادر صنعاء لانها لن تستطيع ان تحل المشكلة وان العالم لا يريد أن يساهم فى حل هذه المشكلة ، والناس فى دهشة من أمر مصر التى تنفق على قواتها وقوات الطوارىء الدولية والقوات اليمنية وعلى الجانبين .

أن العالم لو أراد أن يحل هذه المشكلة لامكنه حلها ، ولكن لا احد يريد حلها .. الكل يريد أن تستمر مصر فى التورط حتى تنتهى تماما .

الاتحاد السوفياتى لا يريد حلا لهذه المشكلة ، فان الوجود المصرى فى اليمن هو أعظم انتصار له ، كان ذات يوم يريد أن يصل الى المياه الدافئة واليوم وصل الى المياه الدافئة والحارة ، ولو خرجت القوات المصرية ، خرج السوفيات من اليمن .

أن الولايات المتحدة الامريكية تريد أن تظل مصر فى وحل اليمن ، تنفق كل ما لديها من مال وقوة ، حتى يتوقف نبض القاهرة الذى أعطى الولايات المتحدة الامريكية اكثر من صفعة فى اكثر من مكان فى العالم .

ان الدول العربية ، على حد سواء ، تريد أن تستمر مصر فى حربها فى اليمن ، حتى تأمن شر التـدخل فى شؤونها الداخليـة ، سواء كانت هذه الدول يسارية أو ملكية ، أو حتى بين بين .

زوجى ..

اليمن .. ثقل كبير على اكتاف هذا الشعب ، ومدخل خطير لمسـيرة لا يحمد عقباها ، يكفى انها افسدت الأخلاق ، وقد تسأل ما علاقة الاخلاق بحرب اليمن ، وهناك علاقة وطيـدة بين الاثنين ، وسأحكى لك ما حدث فى منزلنا فى الاسبوع الماضى .

جاء والدى كعادته للسؤال عنى ، وجاء والدك بعده واجتمع النقيضان، الرافض والمؤيد ، ودارت مناقشة بين الاثنين حول حرب اليمن . لماذا نحن هنـا ؟ وما نهاية هذه الحرب ؟ .. واستمر النقاش ، ولم يتمكن والدى من الدفاع ..

وقال له والدى مداعبا .

ـ اما انك منســاق .. واما انك مستفيد ماليـا من وجود ابنك فى اليمـن .

وقد تكون دعابة ثقيلة من أبى .. ولكن والدك ـ سامحه الله ـ ابلغ اجهزة الامن عن رجل من الثورة المضـاد ورأسـمالى مسـتغل ، وانت تعلم انه منذ أن وضعوه تحت الحراسة وهو لا يكاد يجد قوته الضرورى .. واعتقل والدى فى فجر اليوم التالى .. وشعرت أن هـذه مسؤوليتى ، فأنا القاتل والقتيل ، وعجبت من أمر دنيـا حرب اليمن ، عجبت كيف يمكن لرجل أن يشى برجل وهو يعلم انه فى طريقـه الى المعتقل لكلام فى الهواء لن يؤثر .. لرأى .. لمجرد رأى . !

وقررت الافـراج عن والدى مهما كلفنى ذلك من جهـد ، وأنا اعرف صديقة لى زوجها رجل هام فى أجهزة الامن هذه ، واخذت ما معى مـن أمـوال وذهبت الى أحسن « جواهـرجى » فى القاهرة واشـتريت لهـا هدية ثمينة ، وزرتها ، وتحدثنا فى كل شىء ، ثم تركت لها الهدية ، وكانت مندهشة لتقديمى لها هدية بهذا السعر ..

فسألتنى :

ـ هل لك أحد فى المعتقل ؟

فقلت لها ..

ـ والدى ..

ـ ولماذا ؟ ..

ـ أبدى رأى .. مجرد رأى .. عن وجودنا فى اليمن ..

وقالت بثقة :

ـ سيدق عليك الباب فى الصباح ..

ودق والدى الباب فى الصباح ..

والان .. أريدك أنت ان تدق الباب .. فى الصباح .. فى المساء ـ فى أى وقت .. فانى أريد أن القاك .

زوجتك



صنعاء فى نوفمبر عام ١٩٦٣ م

زوجتى ..

لو انى املك الاختيار ، لاخترت البقاء فى القاهرة لمدة طويلة ، ولكنى مقاتل ، وعلى أن أعود الى حيث يجب القتال ، شهرا ممتعا بين الاهل والاصدقاء ، بين نسمات الهواء الندية ، وبين الناس البسطاء الذين يعيشون فى هذه المدينة الحلوة .

زوجتى ..

هل أهمس فى أنك ، لقد أفسدنى كثيرا هذا الشهر ، حتى أن الطائرة عندما بدأت تهبط فى مطار صنعاء ، شعرت وكأنها تدخل أجنحتها فى جسدها وتتحول الى شبه صاروخ يغوص فى قناة مظلمة تصل الى مركز الارض .

بلادى ــ زوجتى ــ ما اجملها ، وما ارقها ، وسكانها ، وما اكرمهم ، وما ابسطهم .

ونزلت من الطائرة ، ووجدت المشهد القاتل امامى جرحى ، ومقاتلين فى انتظار السفر الى القاهرة ، وركبت السيارة الى صنعاء ، وهناك الى الغرفة التى يسيطر عليها شبح الموت ، غرفة تخرج رجالا يدفنون فى اليمن .

ها قد قدت الى الغرفة اللعينة ، واليوم تبدأ حياتى التعيشة ، بين العدو والمجهول والحرب والبارود .

وتركت الغرفة ، بعد أن وضعت امتعتى ، وبدأت السير فى شوارع صنعاء ، اشاهد جنود بلادى وهم فى الاسواق يشترون أى شىء ، ولا احد

يعلم ما اذا كانوا سيعودون الى بلادهم ومعهم هذه المشتريات ، أو ستهلب منهم فى المواقع أثناء القتال .

كدت أختنق فى هذه الشوارع فيقال أن نسبة الاوكسجين فى صنعاء اقل بكثير من نسبة الاوكسجين فى القاهرة ، ورئتى ما زالت متعودة على نسمات القاهرة الغنية بكل شىء حتى الأوكسجين .

ثم ــ بعد هذه الجولة ــ فى المدينة التعيسة ذهبت الى مقر القيادة مشيا على الأقدام ، ووجدت مشاهد غريبة فى هذه القيادة ، الرجال هنا مستريحون ، يتحدثون فى أمور خطيرة تكاد تقتلنى بلا انفعال ، وكأنهم فقدوا ردة الفعل ، أو تجمدت أعصابهم .

كان هنا الفريق أنور القاضى ، وكان الحديث عن قوات الطوارىء الدولية ، وعن شهداء الجبل الأسود ثم جاء صلاح قبضايا الصحفى المعروف لعمل مقابلة مع الفريق أنور القاضى ، وسأذكر لك أهم ما قاله الفريق أنور القاضى . سأله الصحفى :

ــ ما هى الفوائد العسكرية لحرب اليمن ؟

وقال له الفريق القاضى :

ــ اذا اعتبرنا حرب اليمن مشروع قتالى فانه لا يعلم القتال الا القتال ولذلك فان هذه الحرب سوف تصقل المقاتل المصرى ليحارب فى أقسى الظروف فى المستقبل .

زوجتى ..

المشروع باللغة العسكرية هو مناورة ، أو تدريب شاق للجنود ، ثم بعد هذا السؤال سأله الصحفى ..

ــ وما هو الموقف العسكرى الان ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

ــ أن رجالنا يسيطرون على اليمن ، والحالة هادئة الا من بعض المناوشات من هنا وهناك ، وجنودنا يقفون بحزم ضدها .

ــ والى متى ستستمر حرب اليمن ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

ــ حتى يتوقف الطرف الآخر عن القتال ..

وسأله الصحفى :



الفريق انور القاضى ، رجل مقاتل وقائد ممتاز وله رأى يخالف راى القيادة فى حـــرب اليمن ، الا ان عليه ان يسمع الاوامر ، جرىء كان على رأس قواته التى اقتحمت ذات يوم مدن شمال اليمن .

ــ كم تكلف قواتنا فى العام الواحد فى اليمن ؟..

وضحك الفريق انور القاضى وسأله :

ــ الست مصريا ؟

ــ نعم ..

ــ وأين ستنشر هذا ؟ ..

ــ فى الصحافة .

ــ اى صحافة ؟ .

ــ سيدى .. سأنشره على ورق مطبوع ، يوزع على الناس ، فى يوم ما من الايام . قد يكون غدا ، وقد يكون بعد أعوام ، ولكننى يا سيدى لا بد ان أنشره ، وأوزعه لكل قراء العربية ..

وضحك الفريق .. وانتهى الحديث .. وخرج الصحفى .. وبدانا التعقيب ،

وسأصف لك أطراف الحديث ، الفريق انور القاضى ، رجل مقاتل ، وقائد ممتاز ، وله رأى يخالف القيادة فى حرب اليمن ، الا أن عليه أن يسمع الاوامر ، جرىء ، كان على راس قوات اقتحمت ذات يوم مدن شمال اليمن ، متزوجا وبلا أبناء ، بعد هذه الحرب سيحصل على أجازة طويلة يقضيها هو وزوجته فى رحلة حول العالم ، يحلم بهذه الرحلة ، ويعد لها ، اشترى ماكينات للسينما ، وبعض الافلام ، وحقائب ، واعد نفسه لهذه الرحلة ، أمله أن تنتهى هذه الحرب ويعود الى القاهرة ليقود ذات يوم القوات المتجهة الى فلسطين المحتلة ، يريد أن ينهى حياته العسكرية بانتصار كبير على الاسرائيليين ، بعدها يترك الحياة العسكرية ويعيش حياة مدنية هادئة .

اللواء عبد المنعم خليل ، وقد رقى لهذه الرتبة ويطلقون عليه « رجل الاستراتيجية » هادىء ، يستطيع ان يضع خطة عسكرية لا يضعها الاكبار العسكريين فى العالم ، لا يتحدث كثيرا ، واذا تحدث ابتسم حتى فى احلك الاوقات ، متزوج من سيدة مثقفة فاضلة وله أسرة صغيرة مكونة من ثلاثة أفراد ، رغم صغر سنه ، الا أنه يشعر انه أب لكثير من أفراد هذه القوات المنتشرة فى اليمن .

ضابط ، لا أذكر اسمه حاليا ، فى الاربعين من عمره ، مهمته أرسال الجواسيس من عملاء القوات المسلحة المصرية الى مراكز اليمنيين ليأتوا بأخبار عن تحركاتهم ، أثرت فيه حرب اليمن ، فهو لا يقاتل ، ولكنه يتلقى الكثير من المعلومات ، وهو أول من أطلق على هذه الحرب ، حرب« تـح » اى حرب تحسين حالة ، أى أنهـا الحرب التى يأتى اليها يحسن حالته المالية .

العميد محمد أحمد قاسم رجل خفيف الظل ، لم يتزوج ، أشقر ، ورغم ذلك كأنه ولد فى اليمن ، وهو ضابط القبـائل ، يذهب الى القبائل ليتعاهم معهم ، ويعيش حياتهم ويعرف اسرارهم ، يقدم لهم «هدايا المشير» وهى عبارة عن آلاف الريالات من الفضـة حتى لا يهاجموا القوات المصرية أو يحصلون الرؤوس عن الأحياء .. متى تنتهى حرب اليمن ، أو حتى لماذا نحارب فى اليمن ، ولقد أدى هذا الرجل خدمات جليلة للقوات بما له من صلات مع رجال القبائل ..

والطرف الاخير فى هـذه الاطراف .. انا .. كما تعلمين زوجتى .. مقاتل فى اليمن .. لا يهمك من أمر رتبى شيئا . قد أكون جنديا .. وقد أكون قائدا .. لا أنا ــ كما تعلمين ــ لست قائدا ، أنا مثلى ، مثل هؤلاء الآلاف المنتشرين على جبال اليمن ، أنا مصرى ناصرى ، ترك زوجته وولده وجاء الى اليمن ، ليحقق مبـادىء يؤمن بها ، وعاش شـهورا فى اليمن يقاتل ، ولم يفقد ايمانه بالمبادىء ، مرت عليه حالات شك فيما يؤمن الا انه يبحث فى هذه القرية عن مبرر دائما لوجوده فى أكثر من الشك ، انه يؤمن بالوجود فى اليمن .

وبدا الحوار بعد خروج الصحفى .. وكان أول من تحدث الفريق ..

ــ ماذا يحدث فى مصر .. لو علم الناس مجريات الامور فى اليمن ؟.

ورد أحد الحاضرين :

ــ لن يحدث شىء .

وعندما سئل لماذا ؟ قال :

ــ شعبنا قانع .. بكل شىء .. وأى شىء ..

فرد أحد الحاضرين :

ــ لا .. لقد تحمل شعبنا كثيرا .. وقاوم كثيرا .. الا ان الاجهزة كانت أقوى منه .. والانسان .. أى انسان لديه قدرة تحمل .

وقال آخر :

ــ تحمل الى درجة انه اصبح جالية داخل بلده ..

ان آخر نكتة تقول .. نحن الجالية المصرية فى الجمهورية العربية المتحدة تؤيد حرب اليمن ..

وحسم الفريق أنور القاضى النقاش .. بسؤال عن الشيخ الغادر للعميد محمد أحمد قاسم ..

سوف تذهب اليه فى الجبل الاسود بعد غد ..

زوجتى ..

وكت مع العميد قاسم فى الرحلة الى الشيخ الغادر ، طبعا لم يذكر اسمه فى صحف القاهرة ، ان كل مقاتل هنا يعرف الشيخ الغادر ، أنه فى نظرى حقيقة اليمن الوحيدة . فهو وحده أكد أن الصراع فى اليمن ، هو صراع بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وأن المسرح هو أرض اليمن ، وهذه القوات تحارب فى البداية فى صفوف الملكيين نظرا للعطاء السخى الذى يقدم اليهم من السعودية وفى نفس الوقت عندما تتوقف السعودية عن العطاء يبدأ الشيخ الغادر معنا .

والشيخ على الغادر من أخطر رجال القبائل ، بل انه أخطرهم على الاطلاق وان مجرد ذكر اسمه بين القوات قد يثير الرعب ، وكثيرا ما كان فى أيدينا ولكننا لا نستطيع ان نقول له شيئا ، فانه ذكى ، وأنه أحيانا ما يكون همزة الوصل بين الملكيين والجمهوريين ، وكثيرا ما باعنا لهم ، وكثيرا يضم ما باعهم لنا ، واستطاع ذات مرة أن يقيم فى بيته ضابط مصرى موفد من المشير وان يضم الأمير عبد الله الحسن ، ولا أحد يدرى منهما بوجود الآخر ، كان يفاوض الاثنين فى وقت واحد .

وبدأنا الرحلة بعد الغداء .

القافلة مكونة من سيارة نصف لورى ، نجلس ثلاثة فى المقدمة ، العميد محمد أحمد قاسم ، والسائق وانا ، وتتقدمنا سيارة مصفحة لحمايتنا من

« ركاب الجبال » وسيارتنا بها فى الاسفل حمولة ثقيلة هذه الحمولة هى « الهدية » .. وهى عبارة عن ريالات يمنية فضية سيقوم العميد قاسم واللواء عثمان نصار قائد المحور الشمالى يأخذها اليه فى صباح اليوم التالى واهدائها للشيخ على الغادر .

وسألت العميد ..

ــ وكم تبلغ قمية الحمولة التى نحملها ..

وقال الرجل .. بعد أن تنفس تنفسا عميقا ..

ــ ٢٥٠ ألف ريال ..

ــ وكم تبلغ قيمة الريال .

ــ له سعران .. السوق السوداء وصل الريال بجنيه .. وسبب ارتفاع سعره أن اليهود فى عدن يشترون الريال اليمنى لأنه من الفضة الخالصة ، استعدادا للرحيل من عدن .. ولكن السعر الرسمى فان الجنيه ريالين ونصف ..

ــ الست معى ان المبلغ كبير ..

وقال العميد محمد أحمد قاسم ..

ــ كبير .. انه جزء ..

ان الغادر شيخ قبائل بكيل ، انه ساحر ، يأمر قواته أن تقاتل فتقاتل ، لا يهم من تقاتل ، يستطيع أن يوجه هذه القبائل كيفما يريد .. يعتبر هذا المبلغ وسط اتفاقات اليمن مبلغا زهيدا جدا ..

ــ وكيف تم الاتصال به ؟

ــ عند الجبل الاسود .. رجل اسمه الشيخ طلوعى وهو يلتقى باللواء عثمان نصار وبينهم صداقات ، والشيخ طلوعى يرتب هذه المقابلات .

ــ ومتى سيكون الموعد ؟ .

ــ نحن سنقضى الليلة فى الجبل الأسود .. مع اللواء عثمان نصار ..

ــ الى اى مدى انت مؤمن بالحرب فى اليمن ..

ــ يا سيدى ..

ــ ومتى ستنتهى ..

ــ يا سيدى ..

ــ وكم قتل من شبابنا .

ــ اسمع . لا اريدك ان تلقى على الكثير من الاسئلة ، دعنى لا أفكر بان الفكر فى هذا الزمان هو آفة البشر .. المهم اننى فى طريقى الى رحلة ،

ومعى هذه الاموال ، وعلى أن اقدمها للشيخ الغادر ثم أعود الى صنعاء ، يكون الغادر قد انضم الى الجمهوريين ، أو جمهر بالتعبير الشائع هنا ، أو على الاقل أوقف هجماته عن قواتنـا فى اليمن ، فلا يدفن من شبـابنا الكثير ..

وساد صمت طويل .. ولا أدرى زوجتى ما اذا كان يفكر فيما طرحته من أسئلة .. أم ماذا ؟.. ولكنه قطع فترة الصمت قائلا :

ـ تصور اننى اخشى على نفسى بقيـة حياتى .. لقد انقذنى الله فى اليمن ثلاث مرات .. ولكى انسى أيامى أعود الى القاهرة سـأشرب حتى الثمالة ، واقامر ، وأعيش فى غيبوبة كالموت ..

ـ لكننا تعرضنـا هنا للموت .. وانقذنا الله ..

ـ لا .. موتى كان من نوع آخر . لقد كان بالسم .

ـ بالسم .. كيف ؟

ـ نعم بالسم .. هى عادة قبلية .. لأنى ضابط شؤون القبائل . فلا بد أن اقبـل دعوتهم على العشـاء .. ومن كثرة عملى اصبحت معروفا لدى الملكيين ، وارادوا قتـلى .. وفى احدى العزائم دسوا السم لى فى الطعـام وعدت الى صـنعاء .. وحرارتى مرتفعة .. وبعـد دقائق تحول جسدى كله الى حبيبات حمراء وكاننى قـد اصبت بالحصـبة ، ولو أن الاطباء فى صنعاء قد مرت عليهم هذه الحالة لكنت فى عداد الشهداء غسلوا لى المعدة ، ونقلوا لى الدم ، واعطونى اكوام من الادوية ، ونقلت الى المستشفى وعدت لوظيفتى اللعينة كضابط شئون القبائل .. وتكررت المأساة أكثر من مرة .. ولكنى كنت أشفى أسرع ، ربما لأن جرعة السم الأولى قد جعلت عندى مناعة . وربما اصبحت خبيرا فى طعم السم .

اشفقت عليه ، انه يسرد الحكاية بشكل روتينى . وكان الموت فى اليمن أصبح بالنسبة له كالطعام والشراب والتنفس .. ورغبت فى تغيير الحديث .

ـ لماذا انت الضابط الوحيد الذى يحمل عصا دائما معه .

ـ هل أقول لك ولا تخبر احدا ..

ـ نعم ..

لأننى اتحدث معها كل مســاء .. يا عصـاتى .. والى أين انتسـير ؟ يا عصاتى العمر قصير .. والقتـال فى اليمن مرير والعـدو فى مصر على السرير وضحكت .. وضحكت طويلا . وضحك معى ..

ـــ أنت تقول شعر .

ـــ أنا لا أعرف الشعر .. ان رجلا آخر في الجبل الأسود هو الذى كان ينشدها ويضع ما يريد من بدل .. يا عصاتى .

غريب أمر هذا السائق الذى يقودنا الى الجبل الأسـود ، لا يضحك ولا يتكلم ،ولا يبتسم ، ولا ينظر الى اليسار أو اليمين ، آلة تقود السيارة وحاولت ان أخرجه من صمته ..

ـــ ما اسمك ؟ .

ـــ محمود ..

ـــ من أين ؟

ـــ من أسـيوط ..

ـــ متى تعود الى اسيوط يا محمود ..

ـــ غير واضـح ..

ـــ هل تحب البقاء فى اليمن ؟ ..

ـــ لا .. فى أسيوط .

ـــ هل لديك مشاكل ؟ .

ـــ ...

ـــ لا شيء يهم ..

ووصلنا الى الجبل الأسـود .. ويبدو أن اللواء عثمان نصـار كان يرصدنا من بعيد ، اذ انه كان فى انتظـارنا على باب موقع قيادة المحور الشمالى .. وقال على الفور ..

ـــ لماذا تأخرت يا قاسم ؟

واللواء عثمان نصار شخصية نادرة الوجود ، انه لا يكف عن الضحك انك تستلقى على قفـاك من الضحك من كثرة نوادره ، وكل نوادره عن القتال فى اليمن ..وأمر الجنود بتفريغ الأموال الفضية الثقيلة التى وضعت فى اكياس وحمل كل اثنين كيسـا واحدا ووضعوها كأكياس الأسمنت فى غرفة القائد ، ثم امر احد الضباط وقال له :

ـــ اذهب واحضر الشيخ طلوعى ..

ـــ اليـوم انتم محظوظين .. فان الألغـام قد أتت بثـلاث عنزات .. وسنأكل العنزات الثلاث حتى نموت .. ان الموقع محاط بالألغـام ،

وكثيرا ما تشرد العنزات وتسقط فى حقل الالغام ، فيخرجون منهـا الشظايا وتكون وليمة فى المواقع البعيدة عن صنعاء ، لأن ولائم صنعاء من القاهرة بالطائرة رأسا .

وجاء الشيخ طلوعى ، رجل طاعن فى العمـر ، نحيف القوام ، صلب العود ، أبيض اللحية ، له ابتسامة ثعلب ، وعينى صقر . وقال له اللواء عثمان نصار :

ـــ لقد وصلت الفضة .

فقال الشيخ طلوعى :

ـــ غدا سيأتى رسول من الغادر .. ولا بد أن نتناول الغـداء فى دارى تكريما للعميد قاسم ..

وقال لى العميد قاسم :

ـــ ان شاء الله .

فرد اللواء عثمان نصار :

ـــ وأين الذهب ؟ ..

ـــ موجود ..

واخرج الشيخ طلوعى كيسين بداخلها جنيهات من الذهب .. ووضع امامنا هذه الجنيهات الذهبية وبدأ يعد الفين من الجنيهات ..

ووضعهما جانبا ثم بدأ يعد أكياس الفضة ، واخذ الشيخ طلوعى المبلغ هذا حامله فوق ظهره وذهب بالفضة ..

وبدأنا العشاء .. عنزات بالألغام ..

وذهبت أخلد للنوم فلقد كانت رحلة شاقة فى كل شىء ..

وجاء الصباح ، وسألنى اللواء عثمان نصار :

ـــ هل أستطعت أن تنام ليلة البارحة ؟ ..

ـــ نعم ..

ـــ لقد حدثت معركة استمرت طول الليل ..

ـــ من كثرة ما حضرت من معـارك اصبح لدى القـدرة على النوم رغم أنغام البارود ..

واستمر الحديث حتى اقترب موعد الغـداء عند الشيخ طلوعى ..

وركبنا سيارات الجيب فى الطريق الى الجبل الذى يقيم فيه الشيخ طلوعى .. كان بانتظارنا عند سفح الجبل .. وصعد الرجل امامنا بسرعة لم اتمكن انا الشاب من مجاراته فيها ، ووصلنا الى قمة الجبل حيث يوجد مسكنا .. ودخلنا ..

وجاءت صنية عليها قطع من اللحم وتحت اللحم شيء ما لا أدرى حتى هذه اللحظة ما هو ، تقدم الشيخ طلوعى وضرب يده فى كل قطعة لحم يذوقها ، ثم وضع يده تحت قطع اللحم وأدارها فى كل الغذاء ثم ذاق الطعام ..

وقال لى العميد قاسم :

ــ انه يأكل أولا من كل مكان ، ومن كل قطعة لحم ليؤكد لنا انه لا يوجد سم فى الطعام ــ آه ــ يا زوجتى ــ السم .. وتذكرت حديث العميد قاسم ، وسألت نفسى ، وما شأنى بهذا كله .. لماذا قبلنا الغذاء ، لماذا نضع السم فى أفواهنا كارهين وبأيدينا ؟ .

.. وبدات فى تناول طعام مشكوك فى انه ممزوج بالسم .. وحاولت أن ابلعه ، الا أننى لم أتمكن رغما عنى .. بل وكدت أن أعيد الى الخارج كل ما يحتويه جسدى .. وشعرت بعرق بارد يتصبب من جبينى لماذا لا نموت فى اليمن الا بالسم والخنجر أو رصاص الدمدم ، لماذا نضرب دائما من ظهورنا ، ثم لماذا نقبل الاستمرار فى هذه الحلقة المفرغة ؟

وانتهت حفلة « السم » .. وبعد أن انتهينا من الغداء .. قال الشيخ طلوعى .. الآن الغادر فى انتظارنا ..

ــ أين ؟ .

ــ على مقربة من هنا ..

وامر عثمان نضار بعض الضباط الذين حضروا الحفل أن يذهبوا والعميد قاسم لاحضار شحنة الفضة ، وانتظرنا فى سفح الجبل .. وعلى الفور قام الضباط ، وجلسنا قليلا ، ثم بدانا نهبط الجبل فى الطريق الى السفح فى انتظار سيارة الفضة . وجاءت السيارة بعد قليل وبدات القافلة تسير ، والقافلة مكونة من مدرعة ، ثم سيارة اللواء ، ثم سيارتنا ثم سيارة الفضة ، ومدرعة أخرى للحراسة . سرنا خمس كيلو مترات فى طريق وعر ، ثم همس فى اذنى العميد قاسم قائلا :

ــ نحن الآن فى عرين قبائل بكيل .. ان طلقة واحدة تكفى لأن تشتعل هذه المنطقة كلها بالنيران ، لقد أعد الشيخ طلوعى هذا اللقاء ، وكان

اللقاء فى عرينهم ، انهم يخشون دائما الغـــدر ، انظر حولك على قمم هذه الجبال لتعلم أين نحن الآن ..

ونظرت الى الجبال حولى انها أشـــبه بأشجار الخريف التى امتلأت بالغربان السود آلاف يقفون فوق القمم ، يحملون البنـــادق فى أيديهم ، ونحن نسير فى الوادى تحت رحمة نيرانهم ..

سرنا حوالى ساعة .. ثم وقفت المدرعة ، ووقفنـا ونزل الجميع .. واذا بنا فى العراء ، أو فى دائرة سهلة تحيط بها الجبـال من كل اتجـاه ، لا يوجد سوى حائط من الحجارة ، ولا أدرى ما هو هذا الحائط .

ووقفنا جميعا تحت رحمـة نيرانهم ، وبعد دقائق طويلة وجـدنا من يهبط الجبال ، واقترب الهابطون ، رجل نحيف ، متوسط الطول ، رجل ذو ذقن رمادية ، حافى القـــدمين ، يربط فى خصره خنجـــرا ، وفى يده اليسرى بندقية ، وخلفه ما لا يقل عن خمسين رجلا .. واقترب أكثر .. وقال لى العميد قاسم .. ها هو الغادر ؟ ..

واقترب الرجل أكثر .. وها هو أمامنا ، رجل غير عادى ، وأكثر ما يميزه عينين صغيرتين صـــادقتين وحادتين فى نفس الوقت ، هـــادىء الأعصـــاب ، كأنه يعيش حالة ثأر دائمـــة .. وصافحنا وحـــده ، ولم يصافحنا أحد .. ثم اخذ اللواء عثمان نصـــار الى ناحيـــة بقايا الحائط الحجرى .. ثم دار همس طويل .. ثم طلب منا اللواء المشـــاركة ..

قال عثمان نصار :

هل تعلم أن لدينا طائرات ، ومدافع ، وقنابل ، ومتفجرات ، ورجالا لا يفنون ..

وقال الغادر :

— أعلم .. ولكن رجالى لا يعلمون ..

وقال اللواء ..

— وهل تعلم اننا نستطيع أن نحارب الى ما لا نهاية هنا فى اليمن ..

وقال الغادر :

— ورجالى لا عمل لهم الا الحرب ..

وقال اللواء عثمان نصار ..

— لماذا لا نبنى بما ننفقه المدارس والمستشفيات ..

وقال الغادر :

ـــ أنا أعلم معنى ما تقول .. ورجالى لا يعلمون معنى مدرسة انهم يحاربون « الجمهورية » لأنها فى نظرهم امرأة ..

وقال اللواء عثمان نصار :

ـــ ألم تحاربوا الامام من قبل ؟

قال الغادر كثيرا

قال اللواء :

ـــ اذن لماذا تشنون الحرب اليوم على الذين يحاربون الامام ؟

قال الغادر :

ـــ لاننا نريد ذلك .

قال اللواء :

ـــ ومتى تتوقفون ؟

قال الغادر

ـــ ومتى تلبى جميع طلباتى واقابل عامر ..

ثم اضاف الغادر :

ـــ سوف يتوقف القتال شهرا أقابل فيه عامر وتكون مطالبتى قد تحققت وصافحنا .. وذهب مع الرجال الى قمة الجبل .. وتركنا له الفضة واتجهنا الى الجبل الأسود . ولقد كان للرجال مطالب مالية ومطالب سياسية ، وقضينا الليلة فى الجبل الأسود ، وعدنا الى صنعاء فى الصباح.

وكانت هذه الرحلة ، هى نقطة تحول فى كل افكارى .. نقطة تحول خطيرة ..

وقبل أن أقول لك الى اللقاء ، ارجو أن ترسلى كل ما ترغبين فيه من اليمن ، وأسواق اليمن حاليا ، أصبحت عامرة الى حد بعيد .

زوجك



الرسالة الخامسة

القاهرة فى أول فبراير عام ١٩٦٤

زوجى العزيز ..

وصلتنى رسالتك وكنت افكر فى اعياد راس السنة ، وتذكرت انه منذ سنوات لم نقض سويا هذه الاعياد ، تمنيت ان تبقى حتى نقضيها سويا ، لاننى سئمت رؤيتها فى الافلام والتليفزيون والصحافة ونسيت ممارستها الا ان هذا العام سوف أذهب فى منزل احدى صديقاتى لأقضى هذا العيد .

رسالتك هذه تنقلنى بحق الى مناخ اليمن ، والآن عرفت ما معنى الغادر وحاشد وباكيل ، والقتل بالسم والخنجر ، وتحسين الحالة ، والجبل الأسود ، وأكاد اكون صديقة لكل ما ذكرتهم لى فى رسالتك وهذا قدرنا أن يكون اللقاء فيما بيننا دائما على ورق وعلى بعد مسافات طويلة . .

ولقد سعدت بأنك قررت أن تلبى لى مطالبى من اليمن ، أخيرا أصبحت « رجل من رجال العصر » ، فأنا ما أريده سبق وكتبت لك عنه ، فلو انك تذكر رسالتى ، تذكرت ما أريده ، وسأضعك فى هذا الامتحان .

واريد ان اقول لك كم يكون ابننا سعيدا وهو بجانبى فى سيارتنا الجديدة تطوف سويا شوارع القاهرة نذهب الى افخم النوادى ، نذكر هذا جيدا وانت تحقق لى ما اريده . وتطل هذه الاسرة على مصنوعات القرن العشرين فى أسواق اليمن ! ..

شــهرا جميلا رائعا قضيته معك فى بلادنا المســالمة الحالمــة الهادئة الصبورة التى لا تعرف الكثير ، شــهرا سأحلم به حتى تعود مرة اخرى ونعيشه بعيدا عن الجبال والقتال ، وبين أسرة صغيرة ، وعالم جميل .

زوجى ..

أعلم أنك تريد دائما أن أكتب لك عن اليمن فى القاهرة ، كان بودى أن تكون رسالتى لك عن غير هذا الموضوع ، الا اننى اعلم انه كل حياتك، وما يحدث فى القاهرة يؤثرتأثيرا مباشرا على طلقات الرصاص فى جبالكم اللعينة .

فى ديسمبر الماضى ، وصلت الى ميناء الطور فى سيناء اول قوات عائدة من اليمن على ثلاث بواخر مدنية تابعة لشركة الملاحة البحرية التى اصبحت تعمل على خط الأدبية الحديدية فقط . وذهبت مع آلاف ، بل ملايين المصريين الى مدن القنــاة لاستقبالهم ، فهم سيسيرون فى القنــاة حتى بور سعيد حيث يقام لهم احتفال كبير ..

وبين الكتل البشرية وقفت انظر الى البواخر الثلاث وهى تعبر القناة ، والناس تهتف لها ، تهتف لهؤلاء الذين انقذهم الله من الموت فوق جبــال اليمن .

لقد شاهدت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٣ مصر وهى تحتضن برفق أبنائها العائدين من حرب قاسية لقد شاهدت مصر وهى تبكى وكنت ابكى معها ، فرحة بعودة هؤلاء وحزنا على استشهاد الآخرين .

خرج الفقراء البسطاء فى قوارب صغيرة ، يلقون على الجنود بالفواكه والورود على طول الطريق من مدينــة السويس الى الاسماعيلية والقنطرة حتى بور سعيد ..

وفى بور سعيد ، كان الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبالهم ، وكان لقاء حارا بين الزعيم والجنود العائدين ، وكنت على مقــربة من هــذا المشــهد .

ليس سرا اننى أشعر بحب شديد لهذا الرجل عندما اراه ، وارفض الكثير من أعماله عندما أناقشها ..

لن تصدق أن قلت لك اننى كنت أنظر له باعجاب شديد رغم اننى اعرف خفايا اليمن .



لقد شاهدت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٣ مصر وهى تحتضن برفق ابنــائها العائدين من حرب قاســية ..

وفى المساء وقف الرجل يخطب فى الجماهير ، وشـــعرت انه يفقــد السيطرة على نفسه عندما يرى هذه الجماهير لقد تحدث طويلا ، تحدث عن اليمن ، وثورة اليمن ، وانجازات ثورة اليمن ، ثم تحدث عن فلسطين ، ومحاولة اسرائيل تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، وقال انه لا بد من منع اسرائيل من تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، أيضا وفى سبيل ذلك ، لابد من انعقاد مؤتمر للقمة .

ولم نكن نتصور أن القادة العرب سيقبلون اجتماعا للقمة ، وأخذت أرسم صورة لشكل هذا اللقاء ..

كيف يلتقى عبد الناصر والرئيس السورى أمين الحافظ ؟ ولقاء السلال بسعود ؟ ولقاء الملك حسين بعبد السلام عارف ؟ ..

وتمت الموافقة على قمة عربية فى القاهرة ، وخرج الشعب المصرى ، ربما ليشهد هذا اللقاء المثير ، أكثر من ترحيبه بزعماء الدول العربية ..

كان الرئيس جمال عبد الناصر بالأمس فقط يؤكد « اننا لن نحكم من خلف أسوار الحريم » مستمرا فى معركته الساخنة مع الملك سعود ، ونزل الملك من الطائرة يمسك عصـــا فى يده ، ويكاد لا يرى أمامه ، وأشفق يومها الشعب المصرى على هذا الملك ، فهذا الشعب ـ زوجى العزيز ـ يصفق عندما يرى عزيز قوم ذل .

وجاء الملك حسين ، وأثار اعجـاب الناس لا أحـد يدرى لماذا أثار اعجابهم ..

ونزل أمين الحافظ .. وكان مشهدا مضحكا حقا ، لقد دفع بصره الى أعلى ليصافح عبد الناصر ..

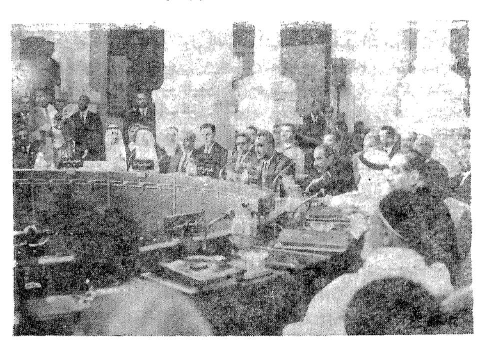
كان الملك سعود قد فقد فى المملكة السعودية سلطاته ، فقد كل شئ هناك الا الاسم وأصبحت كافة الأمور فى يد الأمير فيصل .

والملك حسين جاء ليفتح صفحة جديدة فى القاهرة مع الرئيس جمال عبد الناصر .

وأمين الحافظ قالوا له ان جمال عبد الناصر يصافح بطريقة معينة يبدو فيها المصافح انه ينحنى له ، وسمعت بعد ذلك انه قام بهـــذه التجربة



لم نكن نتصور أن القادة العرب سيقبلون اجتماعا للقمة



واجتمع الملوك والرؤساء فى القاعة المستديرة الحمراء فى الجامعة العربية

عشرات المرات قبل حضوره الى القاهرة وكانت القمة مهمة لكل ملك . ولكل رئيس كانت القمة للسلال ــ مثلا ــ الحصول على الشرعية العربية ، وكانت القمة لعبد الناصر محاولة لانسحاب كريم من اليمن ، وكانت القمة للملك سعود محاولة لاستعادة قوته فى السعودية ، وكل هذا تحت مظلة الاستعداد لمعركة عسكرية ضد القوات الاسرائيلية .

واجتمع الملوك فى القاعة المستديرة الحمراء فى الجامعة العربية تحت جدول أعمال ، وجاء الخبراء ، المهندس أحمد سويلم يتحدث عن تحويل نهر الأردن . الفريق على على عامر يتحدث عن القوات المسلحة العربية وامكاناتها ، ولكن المحادثات الثنائية يحاول كل انسان ان يحقق ما يريد دعما لوجوده ودعما لسياسته .

ولكن . مصر لم تجد من تحاوره فى القمة الأولى الملك سعود لا يملك أن يتحدث حتى باسمه شخصيا ، لا يستطيع أن يوقف أو يستمر فى حرب اليمن .

وانتهى الاجتمـــاع .. وذهب كل ملك ورئيس الى حيث جاء .. واستمرت حرب اليمن .

زوجى ..

هل تصدقنى عندما اقول لك انى اشفق على عبد الناصر ، اشفق عليه من كل شىء ، انه يتصور انه يصنع الصحيح ، وانه يريد وقف الدم فى اليمن وانه يريد لشعب اليمن كل حرية واستقرار .. ولكن دائما تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .

آه .. لو أخذ الرأى .. آه لو سمع النصيحة .. آه لو انتظر حتى يعلم ما يدور فى اليمن .. آه لو علم طبيعة قبائل اليمن .. وجبالها .. آه لو قرأ تاريخ اليمن .. لما دفعنا فى اليمن .. نبيل الوقاد وعلى مراد ، وسليمان ، وعبد الله ، ومحمد وعوضين وكل هؤلاء الشباب .. ولمـا كانت اليوم مقبرة لزهرة شباب مصر ..

آه لو علم قبل أن يقدم .. وآه لو تراجع قبل أن يتورط .. ولكن هذا هو قدرنا .

زوجتك



صنعاء : فى ١٩٦٤

زوجتى ..

لقد حاولت خلال الأسابيع الماضية الا اكتب لك حرفا عما رايته ، لأنك فى الموقف الأكثر خطأ ولأنك فى الموقف المعارض دائما ، ولا اريد أن اناقش معك هذا الموقف ، فلديك الأسباب المقنعة ، وهى أسباب خاصة ولكنى انظر للموقف من وجهة نظر اكثر اتساعا ، وسأعطى لك مثلا بسيطا ، وهو انك اذا رغبت فى تناول « البيض » لا بد أن تكسريه ، فما بالك بحماية ثورة ؟ .

ولقد توقفت عن الكتابة لأن ما رايته كان بشعا الى ابعد حدود البشاعة ، ولكن نظرة أكثر اتساعا قد نجده عملا ضروريا لحماية الرئيس السلال ، واليك ـ زوجتى ـ الحكاية من بدايتها ..

كما أخبرتك فى رسائل سابقة ، فاننا لم نجد شكلا حقيقيا من أشكال الحكومة ، وساعد على عدم ظهور قوة الحكومة وجود القوات المصرية فى اليمن .

رغم ان قائد القوات العربية ـ وهو أعلى سلطة عسكرية ـ لا يتدخل فى الشئون الداخلية الا فيما يتعلق بامن القوات المسلحة المصرية .

واهم الكثير من الأحداث الداخلية ، قرار الرئيس عبد الله السلال تشكيل « جهاز حكومى عصرى » ، انا اتصورك الآن تبتسمين عندما قلت لك « جهاز حكومى عصرى » .. ولهذا وقبل ان ادخل فى الموضوع ارجو ان اهمس فى اذنك ، انت تتصورين انى اعمى لا ارى ، وانى منساق وراء الزعيم ، واحيانا تشككينى فى كل شىء .. واننى ادافع عن قضية خاسرة ..

سأردد لك ما سبق أن ذكرته فى رسائلى السابقة .. واذا كان من بين سطورها شك فان مردوده اننى أكتب لك ..

اليمن ــ زوجتى ــ كانت فى حاجة الى ثورة .. والثورة كانت فى حاجة الى حماية .. والحماية لا تتوفر الا لدينا .. فهل نترك ثورة دون حمايتها .. مهما كلفنا ذلك من جهد ومال .. وشباب ..

الخلاف بيننا كالتالى :

زوجة اقليمية التفكير وزوج قومى الأمل والتفكير ..

زوجة تنظر للمستقبل القريب ..

وزوج ينظر للاجيال القادمة ..

زوجة تكره الرئيس جمال عبد الناصر دون ابداء الأسباب ..

وزوج ناصرى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وعمل وأهداف ..

زوجة متطلعة الى طبقة أعلى ..

وزوج مؤمن بالطبقة التى ينتمى اليها ..

زوجتى ..

هذا التناقض لا أريده . حتى لا اخفى عليك حقيقة واحدة ، ولا تبثى فى روح الانهزامية ، ولا تجعلينى اتصور اننى ادافع عن قضية خاسرة . أعود معك الى أحداث اليمن .. والى « الجهاز الحكومى العصرى » .. فمنذ فترة وفى ١٣ ابريل ١٩٦٣ اجتمع فى العاصمة ممثلون عن معظم انحاء اليمن لمناقشة وضع دستور دائم بدلا من الدستور المؤقت ، وفى نفس الوقت تم تشكيل المجلس الجمهورى برئاسة اللواء عبد الله السلال ، وتشكيل المجلس التنفيذى برئاسة عبد اللطيف ضيف الله ، كما تقرر اقامة برلمان ، ويتكون هذا البرلمان من ٢٥ عضوا يمثلون كافة الأطراف فى اليمن ، ولكن يبدو أن كل هذا مجرد حبر على ورق ، وما اراه أن لا احد يحكمه أحد فى اليمن ، ولا أحد محكوم لأحد فى اليمن ، والكثير لا تعنيه أمور اليمن كوطن ، فى كثير أو قليل ، وانا ــ المصرى ــ أحزن لكل ما أراه فى اليمن لأن اليمن يمكنها أن تكون غير الذى نراه الآن ، انها تحتاج الى اخلاص قليل ، فتأتى بثمار عظيمة ، ان ثروات اليمن فى كل مكان تقول انا هنا ، ثروات زراعية ، وثروات طبيعية ، وثروات معدنية ، بل يقال هنا بترول ، لقد حدثتك فى رسالة سابقة عن المستشفى الذى جاء ، هكذا اليمن .



اجتمع السلال برجال القبائل لتشكيل « جهاز حكومى عصرى فى اليمن

بعد هذا الشكل العصرى للحكومة سافر السلال الى الخارج واسند الى الرجل القوى حسن العمرى مسئولية قيادة الدولة فى غياب السلال .

واثناء سفر السلال . اعلن حسن العمرى عن اكتشاب مؤامرة لقلب نظام الحكم .

زوجتى .. لا ادرى لماذا اشك فى مثل هذه المؤامرة فلا يعقل ان تحاك مؤامرة ويتصور مخططوها انها يمكن ان تنجح فى ظل هذه الألوف من القوات المصرية .

وبدأت الفوضى تعم صنعاء ، عشرات تم اعتقالهم ، واتصور ان العداء الشخصى لعب دورا فى الاعتقال ، فربما كان هناك من يعترض على الأسلوب، ولكن لا اتصور من يعترض على النظام ويفكر فى تغيير بالقوة ، وأطلق الرصاص من يمنيين على يمنيين فى شوارع صنعاء ولم نتدخل فى هذا النزاع الداخلى ، كل ما فعله الفريق انور القاضى انه طلع على بعض التقارير عن هذه المؤامرة لمعرفة مدى خطورتها على أمن القوات المسلحة المصرية .

وعاد السلال الى اليمن .. وبدات المحاكمات .. وانتهت المحاكمة باعدام تسعة من الأفراد والسجن مدى الحياة لاثنى عشر ..

آه .. الأعدام ! ..

وألف آه .. على !! السجن !!

لا شىء تغير كثيرا فى الوسائل من حكم الامام الى الحكم الجمهورى ..

قد تكون عادة يمنية .. ولكنها ـ مهما كانت ـ فهى حتى ضد الانسانية

هل لديك ـ زوجتى ـ القدرة لتحمل مشهد الاعدام فى اليمن .. لا اتصور .. ولكنى ساحاول أن اخفف من حدة الصورة .. واننى اكتب لك لأننى اشعر اننى احمل اثقالا .

انت تعلمين مدى قدسية الجسد لدينا ، وقد يكون هذا التقديس تقليد مصرى قديم ، لذلك فمشاهدة الاعدام بالنسبة لى ، رغم اننى أرى القتل بالجملة ، أمر ليس سهلا على نفسى ، وبالأمس شاهدت الاعدام فى اليمن فى ساحة من ساحات اليمن ، تجمع عدد من الجنود فى شكل دائرة ، ثم فجاة تجمع الناس لمشاهدة « يوم الاعدام » ثم جاءت سيارة بها المتآمرين على الرئيس السلال . ودهشت ، فانهم يرتدون ملابسهم العادية ، ونزل الأول فى وسط هذه الساحة ، وعجبت ، فهو لا يرتدى سلاسل . وعينيه

مفتوحتين ، وينظر الى النـاس بعينين لا تحمـل أى معنى ، لا احـد يقف بجواره ، فى مركز الدائرة وقف ، ثم ركع ، ثم خفض راسه الى اسفل ، لم يطلب منه أحد ذلك ، وكأنه أعدم قبل ذلك . وظهر رجل طويل ، يحمل سيفا ، وتمتم السياف ببعض كلمات ثم رفع السيف بيديه الى أعلى وفى لحظة كان السيف ينزل على رقبة الرجل ليفصل رأسه عن جسده ، ثم يأتى آخر ليأخذ رأسه ، واثنين لحمل جسد القتيل ، ثم يدخل المتآمر الثاني وتدور اللعبة .

آه .. كم تحملت من مشقة انسانية ونفسية وانا أشهد هذه الرؤوس وهى تنفصل عن الجسد بهذه السهولة .. وكدت العن الثورة والثوار .

الا ان اليمنى يفضل الاعدام عن السجن ، لأن السجن هو إقسى سجون العالم .. سجن بلا غرف ولا اسـوار .. انها « فن العـذاب والتعذيب »، ان السجن عبارة عن حفرة متر ، فى نهايتها وتد مدقوق ثم ينزل السجين هـذه الحفرة ويربط من يديه ورجليه فى هـذا « الوتد » ، ويظل هكذا سنوات ، يقدم له الدقيق والماء كالكلاب ، يقضي حاجته وهو مربوط فى هذا الوتد ، لا يهم اذا كانت الشمس حارة ، أو اذا كان هناك مطرا ..

ويظل هكذا سنوات ومعظمهم ماتوا فى هذه الحفرة اللعينة .

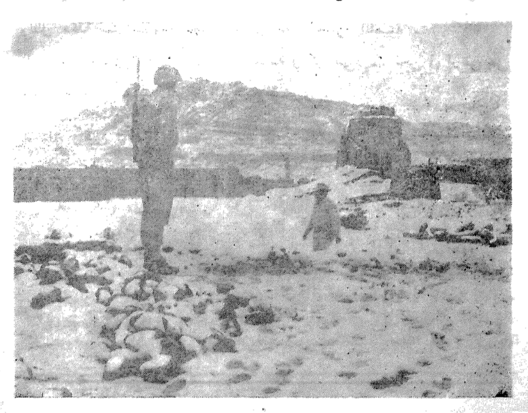
ونحن هنا فى أرض عجيبة .. عجيبة فى كل شىء .. نحن فى أرض هى عار فى جبين الانسـانية .. كل المجتمع البشرى .

والى اللقاء

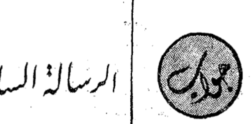
زوجك



اقول لك ان مصر فى حاجة الى ابنائها الذين يقاتلون فى اليمن ، فان الاعداء فى الداخل اضعاف أضعاف الاعداء فى الخارج ..



عودوا من اليمن لكى نبنى مصرنا .. وان لم نقضى على اعداء الداخل .. فسوف يلعننا كل جيـــل قادم ..



القـاهرة : سبتمبر ١٩٦٤

زوجى العزيز ..

وجاءت الرسالة .. وقرأتها .. وما زلت أقرأها .. ولقد انتابنى مشاعر شتى .. شعور بالخوف . فأتصور أحيانا جسدي بلا راس ، وشعور بالأسى وانا اسمع منك هذا التقرير عنى .. وشعور بالحاجة .. الحاجة اليك لمهام أكبر من هذه المهمة .. وقبل أن أواصل حديثى معك عن القاهرة .. لا بد وان أدافع عن نفسى كمواطنة مصرية .. تعيش مع زوج على اقل تقدير يجب الا يكون هذا التناقض بينهما ..

آسفة اذا قلت لك أنك أعطيت مختارا لفكرك وتفكيرك أجازة ، لقـد ضربت عرض الحائط بالمنطق ، واندفعت بلا تفكير وراء « خلود الفرد » وأنا عندما أفكر ، وأفكر مع زوجى فلقد حدث التناقض .. ارجوك أن نناقش قضايانا بعقل سليم .. وبفكر منفصل ..

تقول فى حديثك عنى اننى اقليمية التفكير .. بل العكس صحيح .. انت أجبرت على أن تكون أقليميا .. لأنك اخترت اما أن تكون كل الأقاليم فى هذه الأمة تفكر بفكرك ، وتنشد نشيدك ، وتبرر اخطاءك ، وأما فهذه الأقاليم عدوة ، ولم يعد لك سوى حدود هذا الاقليم للتعامل والتعاون والتقارب ، والدليل ان مصر الآن لا تتعامل الا مع اليمن وبقوة السلاح . فأنت الاقليمى المجبر ..

تتهمنى بأننى انظـر للمستقبل القريب « أى قصر نظـر » .. واقول ليتنى قد ولدت بلا راس يفكر ، وكنت فى نظرك الآن بعيدة التفكير .. أكرر لك أن مصر فى حاجة الى بناء .. وان الاعداء فى الداخل أضعاف أضعاف الأعداء فى الخارج .. والعدو الداخلى اخطر بكثير من العدو الخارجى .. وان لم نقضى على أعداء الداخل .. ونبنى مصرنا .. فسوف يلعننا كل جيل قادم ، لأن بناء مصر لهذا الجيل .. وكل جيل قادم ..

تقول اننى اكره الرئيس جمال عبد الناصر .. اطلاقا لا اكرهه .. بل ان نظـرتى اليـه تختلف عن نظرتك له .. انت تعتبره معصـوما عن الخطأ ، انت تعتبره اله .. وانا اعتبره ثائرا وزعيما .. ورئيس دولة .. وانه يجب ان يناقش .. وان اى خطأ يرتكبه يؤثر فى مصير امة وشـعب .. ولانه يرفض الحوار ، ولانه لا يقبل النقاش فان الصواب من وجهة نظره خطأ ... والخطأ صواب ، ان الناس الآن تناقش الالهة .

تقول اننى متطلعة الى طبقات اعلى ولو انى افكر هذا التفكير الضيق ؛ لما كان اعتراضى على وجودك فى اليمن فان دخلك فى اليمن أضعاف أضعاف دخلك فى القاهرة ، وبهذا الدخل ، وبغيره من الطرق السائدة فى مصر استطيع ان اتسلل الى غير طبقتى من طبقات .. ولكن نظرتى للامور ارحب بكثير .. انها نظرة مصرية ترى اموال بلدها تهدر كل يوم فى اليمن ، وشباب بلادها تدفن كل يوم فى اليمن ، وبلادها لم يبق فيها ما تدفعه فاستدانت لتدفع ، وسيسدد هذه الديون الأجيال القادمة التى تتحدث انت عنها ..

وكم بودى أن يحمل البريد رسالة منك تجيب على هذه الأسئلة :

١ ــ هل وافق الشعب على ارسال القوات الى اليمن ؟

٢ ــ هل يعرف الشعب حقيقة ما يجرى فى اليمن ؟

٣ ــ هل تستطيع ان تدلنى عن مكان الذين اعترضوا على ارسال قواته الى اليمن ؟

٤ ــ هل مصر قادرة على الاستمرار فى اليمن ؟

٥ ــ هل بنينا الجيش ليحارب فى اليمن ؟

٦ ــ اذا شنت اسرائيل ــ وهى العدو الحقيقى والأوحد ــ على مصر هجوما .. فهل نطلب منها مهلة حتى نسحب قواتنا من اليمن ؟

معـذرة زوجى فى هذه الجملة الاعتراضية الطويلة .. معـذرة بمشهد الاعدام فى اليمن .. ومحاولتك ان تقول لى ان هذا حماية للسـلال .. واحداث مصر .. .. وفراقك عنى .. كل هذا وضعنى فى حالة انتحارية .. لا اتصور أن يحدث كل هذا لشعب فى السلام بنى حضارات ، وفى الحروب التى هددت وجوده حقق انتصارات ، اخشى على هذا الشعب من حرب غير مقنعة هى حرب اليمن .

زوجي ..

بعد عودتك من مصر .. ورأيت فيها ما رأيت . كتبت لي رسـالة رائحتها ذكية ، كانت اشبه أنين مستتر لوجودكم في اليمن ، واليوم تكتب عن اقتناع ، فهل مشهد الاعدام اقنعك ؟ أم حالة مصر المتدهورة اقنعتك ؟ ام بيوت الضباط في مصر التي تحولت الى متاجر من بضائع اليمن قـد جعلتك تؤمن بأن جيشنا في اليمن محارب ؟ ..

لا .. يا زوجي ..

سأظل أقول أن حرب اليمن تنهك قوانا ، وان انهاك قوى مصر ليس لصالح مصر .. ولا لصالح اليمن نفسها ، انى اتصور ان الثورة قد قامت لأسباب كثيرة ، ولكن السبب الرئيسي لما حدث لها في فلسطين اثناء حرب عام ١٩٤٨ ، وان من الأهداف الستة للثورة ، او اهم الأهداف على الاطلاق « بناء جيش قوي » ، واتصور أن بناء هذا الجيش لمواجهة اسرائيل ، ولا يمكن أن اتصوره فوق جبـال اليمن يحارب عدوا أنت بنفسك قلت عنـه « انه الغيب » وانكم تحاربون الغيب بالغيب ! ..

سأسألك زوجي العزيز ..

هل تدرب طياورنا على ضرب مطارات اسرائيل ؟

هل تدرب رجالنا على اقتحام النقب والوصول الى بير السبع ؟

بل هل تدرب رجالنا على حماية الممرات ؟ ..

هل يعلم أفراد القوات المسلحـة اين شرم الشيخ ، وعلى اى سـاحل تقع نهاريا ، وماذا في حيفا ، وكيف الهجوم على يافا ؟ ..

انى أسـمع صرواح ، والجبل الأسـود ، وصعدا ، والحـديدة ، ونجران ، وجيزان ، والجوف ومأرب ، كلها أسـماء مدن لسكنى اشـقاء حتى لو اختلفنا معهم ..

زوجي .. انا لا أطيقكم تقاتلون في مدن تحمل هذه الأسماء .. فالاعداء لا يسكنون الجبل الأسود ، ولا مدينة صرواح ، ولا حتى مأرب ، انهم في يافا ، وحيفا ، وتل أبيب ، وبير السبع والمرشراش ..

زوجي ..

ناقشني .. واقنعني .. أو اقتنع مني ..

سأخطرك في هذه الرسالة الى ما وصل اليه الشعور العـام في مصر بالنسبة للقوات المسلحة ، هنا ، من كثرة الضغط ، والفقر ، والتردي الاقتصادي ، تحول الشعب داخل بلاده الى جالية ، كالجالية اليونانية والجيش كأي جيش احتلال ، يخشون منه ، لا يتعاطفون معه ، وأنت

تعلم انه حتى فى الظلام يكتب هذا الشعب رأيه بالنكتة ، والنكتة التى تقال الآن ان مدنيا تشاجر فى الطريق العام مع ضابط بسبب خلاف حقيقى، وانضم الى المدنى ثلاثة مدنيين آخرين ، وساقت الشرطة الجميع للتحقيق، فأبدى المدنى الأول سببا وجيها للخلاف وكذلك الثاني ، وسأل الشرطى المدنى الثالث : وأنت لماذا ضربت الضابط ..

فرد عليه : تصورت أن الثورة انتهت .. فنزلت فيه ضربا مبرحا ..

وهذه النكتة تحولت الى حقيقة فى حادثة سأرويها لك :

انت تعلم أن كل من قال « لا » وكان يملك شيئا بسيطا وضع تحت الحراسة كوالدى مثلا ، وأصبح هناك عمارات الحراسة كثيرة ، واصبح من حق المحاربين فى اليمن الحصول على شقة خالية من شقق الحراسة ، واحد من الضباط طلب شقة من هذه الشقق ، فأرسل له السيد على صبرى خطابا يقول له أن هناك شقة سوف تخلو فى شارع الجمهورية وذهب الضابط ومعه الخطابات الى العمارة هذه واقتحم شقة هو واثنان مدنيان ، وابلغ السكان الشرطة وجاءت شرطة النجدة على الفور ، وكان نصف العفش بالداخل والنصف الآخر فى الخارج ، واغلقت الشقة على هذا الوضع ، ووضعت عليها « الشمع الأحمر » ، وساقوا الجميع الى الشرطة ، وفى الشرطة كان هناك العداء واضحا بين القوات المسلحة ورجال الشرطة ، كما كان العداء واضحا بين سكان العمارة والرجل المقتحم ، واهين الضابط فى قسم الشرطة ، ولكن فى الصباح بعد الاتصالات احسنت معاملته بالأوامر .. المهم انه حصل على شقة الرجل الغائب .. غياب القانون فى بلدى ..

حتى انا عندما رويت لى هذه القصة لم أكن متعاطفة مع رجل القوات المسلحة وزميلك ، وتصور اقتحام البيت وأخذه ! ..

والآن اين القضاء ؟

والآن .. اين أمن المواطن ؟ ..

وبهذه المناسبة ، فان الطلب الذى قدمته ، قد نجح ، وسوف اتحرك من مصر الجديدة الى شقة رائعة فى جاردن سيتى ، حتى استطيع أن اقول ذات يوم اننى استفدت كونى زوجة رجل من القوات المسلحة ، وليس من افراد الجالية .

وبعد أيام سأذهب الى حلوان لاستلم السيارة نصر ١١٠٠ ، وسوف آخذ وحيدى وادور به كل مكان فى القاهرة ، وسأكون نصف سعيدة لأنك لن تكون بجوارى .

زوجتك



صنعاء : ١٩٦٤

زوجتي ..

هل تسمحين لى فى بداية هذه الرسالة أن أرد على فقرة فى رسالتك تتهميننى بالتناقض ، بين مؤيد ومعارض لحربنا فى اليمن ، وتتهميننى بالتناقض بين الحب والكراهية لزعيم هذه الأمة ، لك الحق ، كل الحق فى هذا الاتهام ، فلقد كنت أرفض حوارا دائما بينى وبين نفسى ، كنت لا اريد ان أرفض الحرب فى اليمن ، ولا أريد أن أرفض أى خطوة يخطوها الزعيم ، كنت أركض فى طريق واحد ، لا أرى ما على يمينى ، او على يسارى كل ما أريد أن أراه أو أصل اليه نقطة نهاية السباق ، ورغم اننى لا أراها ، كنت لا أريد ان أشك فى ذلك الرجل الذى تحدى الاستعمار البريطانى ،وهز عروش ، ومزق أحلافا عسكرية ، وقضى فى مصر على الاقطاع وغير فى خريطة المنطقة السياسية .. وكنت أريد أن أغفر له حربنا فى اليمن ، لذلك كنت أحارب بدون نقاش ، وكلما رأيت الخطأ حاولت أن أبرره ، وأخلق له الف تبرير ، وأكرر ذلك حتى أصدق نفسى ، فمن الصعب أن أرى العملاق يخطىء ..

ثم اننى احب هذا الرجل ، فليس من السهولة أن أبدل مشاعرى كما أبدل ثيابى ولكن حكايتنا فى اليمن جعلتنى أعيش فى فترة تناقض رهيبة ، كرحلة مرهقة بين الشك واليقين ، وبدأت الحوار العقلانى ، ونظرت حولى فى هذه الجبال ، ونظرت بامعان الى زملائى فى اليمن ، وبدأت أفكر ، وكلما « فكرت » تسرب الخوف الى قلبى ، وشعرت لأول مرة بالمطلوب منا ، كجنود فى اليمن ، وكشعب فى مصر مطلوب الا « نفكر » .. لأننا لو فكرنا » .. لأننا لو تأملنا لو « وقفنا » .. قد نكتشف ما لا يجب أن

نكشفه ، ونصـــل الى قناعات غير مطلوبة .. فالفـرق بينى وبينك انك فكرت ، وانا رفضت الفكر والتأمل والمناقشة ، ولكن وجودى فى اليمن كان أكبر من أن تخفيــه أجهزة الاعلام التى تفكر بدلا منـا ، واضخم من التبريرات ، وسوف يذكر التاريخ ان اكبر خطأ وخطيئة للزعيم هو الدخول فى هذه الأرض المجهولة .

زوجتى ..

اقول لك هذا بعــد أن انتهيت من معــارك مستمرة وطويلة ، ومريرة ، كانت دفاعية ثم هجومية ، لقد أعدوا الهجوم على صنعاء بشكل كبير ودقيق اتصور أن هــذه هى أكبر محاولاتهم وآخرها ، انهـا قد نظمت بطـريقة عسكرية لا أتصور أن أحدا من اليمن قادرا عليها .

فى بداية الهجوم الملكى الكبير ، استطاعت هذه القوات أن تقطع الطريق على القوات المتمركزة ، وكانت تنشد بذلك امرين :

* تحييدها عن الدخول فى معارك .
* حصارها وتثبيتها فى مكانها .
* تصفيتها بعد الدخول الى صنعاء .

وتمكنت القوات الملكية من تنفيذ البند الأول والثانى ، وتم حصــــار مواقع كثيرة من قواتنا فى كافة المحاور ، بل عادت صنعاء محاصرة للمرة الثانية .

فى هذا الهجوم الكبير منهم ، ثم الهجوم الكبير منا ، سقط « أبنـــاء الأمة الواحدة » فى أخطاء تاريخية كلانا يريد ان يحرز النصر على الآخر ، كلانا يريد أن يدمر الآخر ..

وما حدث فى اليمن خلال الشهور الماضية ، لن يغفره التاريخ الانسانى لنا ولهم ، ولقد القوا من المدافع ذخيرة تحمل جرثومة الكبد والوبائى على قواتنا ، وبدأ هذا المرض اللعين ينتشر بين قواتنا ، واصبحت الطائرات لا عمل لها الا حمل المصابين بهذا الوباء من صنعاء الى القاهرة ، لقـد فشلت البعثات الطبية العسكرية من السيطرة على هذا الوباء الذى انتشر بشكل خرافى بين الجنود ، وكاد هذا الوباء أن يشل حركة قواتنا فى اليمن .

واجتمع قادة القيادة العسكرية فى صنعاء لمناقشة هذا الأمر الخطير ، الخطير حقا ، واكدت سرايا الاستطلاع أن هذه القذائف مقدمة الى قذائف جرثومية اخرى اشد فتكا ، واعلن فى هذا الاجتماع أن الملكيين يستعدون

لتفجير قنابل تحمل جرثومة « الطاعون » ، وخيم الحزن على الجميع من هذا الخبر الأسود فلقد وصلنا فى الحرب فى اليمن الى ابشـــع أنواع الحروب « حرب الجراثيم » ، بل واختار العدو ابشع أنواع الجراثيم فى حربه ضد قواتنــــا المصرية فى اليمن ، صحيح أن الجراثيم ســوف تنشر فى كل اليمن ، ولكن ليس هذا الأمر هاما الى درجة كبيرة بالنســـبة لأطراف الصراع .

والحل .. أرسلت القيادة العربية فى صنعاء تقريرا عاجلا الى القاهرة تطلب المشورة ، وجاء الرد .. استخدموا الغاز السام على مواقع الملكيين بشكل محدود ، والقيادة السياسية سوف تتصرف ..

واجتمع قائد القوات العربية فى اليمن بالطيارين ، يعرض عليهم أمر الحرب الوقائية التى تراها القاهرة ردا على بداية حرب الجرائيم ..

وكان راى الطيارين انه لا يجب أن ننساق وراء هذه الحروب ، فسوف تكون وثيقة عار فى جبين القوات المسلحة المصرية ، ورأى الطيارين تكثيف الغارات الجوية على الحدود الشمالية لليمن حيث معاقل الملكيين فى جيزان ونجران ، والاتصال بالسلطات السعودية للتدخل لدى الملكيين لوقف حرب الجراثيم ..

ولا أدرى تماما ماذا حدث بعد ذلك ، الا اننى أؤكد أن الجراثيم توقفت فى اليمن بعد أسابيع من هذا الاجتماع ، وقامت الطائرات بالاغارة بشكل كبير على جيزان ونجران وكل أماكن وجود الملكيين ..

لقد كان الطيران هو البطل فى اليمن ، فهو الذى ساهم فى رفع الحصار عن صنعاء ، وهو الذى طهر أماكن كثيرة من قواعد اليمنيين فى كل انحاء اليمن .

لقد قاست قواتنا الكثير خلال الشهور الماضية وهى تفك الحصار عن القوات الاستراتيجية الموجودة فى اليمن .

لقد تم تقسيم اليمن عسكريا الى عدة محاور ، وان اهم المحور الذى ابتلع آلاف المصريين وهو المحور الشرقى الذى يبدا من صنعاء الى جيحانة، العرقوب ، صرواح ، مأرب .

فان مدينة مأرب ، بوجود قواتنا تســتطيع أن تغلق الطـريق أمام الامدادات العسكرية التى تأتى من السعودية الى بيحان (احدى امارات الجنوب العربى) تصل هذه الامدادات الى بيحان ثم الى حريب ، ومنها الى مأرب وصرواح والعرقوب وجيحانه الى القوات التى تحاصر صنعاء .

وهذا المحور من أوعر وأقسى المحاور أنهـا سلسلة جبلية عالية ، والسيطرة على هذه الجبال تحتاج الى شهور من القتال ، ثم التسلق ، وبعد التسلق يحتاج من فى قمة الجبال الى امدادات مستمرة ، وحراسة دائمة فى ظروف من أقسى الظروف ، وفى طبيعة من اقسى ما يمكن أن يتخيله انسان ، فيبدو ان الجبال هنا مختلفة أيضا .

استطاعت قواتنا أن تشق طريقهـا الى صرواح ، وقد اشتبكت مع القوات الملكية فى قتال عنيف استمر أسابيع تكبدنا خلاله آلاف الشهداء . فان هذه القوات تسير فى هذه الطرق لأول مرة وحاولت القوات أن تتجه من صرواح الى مأرب الا أنهـا لم تتمكن من ذلك ، وسقطت فى عشرات الكمـائن ، وقتل الكثير فى محاولة الوصول الى مأرب ، الا أن القـوات الموجودة فى مأرب ترسل لها الامدادات والتموين بواسطة الطائرات ورغم أنها تعـانى مشـاكل قتالية الا انها لا تعانى مثل القـوات الموجـودة فى صرواح وجيحانة .

المحور الثانى ، تقدمت قوات من صنعاء فى حماية الطيران فى طريقها الى عمران ، ومن عمران اتجهت شرقا الى مدينة اسمها « الخراب » المطحة ثم اتجهت جنوبا من الحزم الى مأرب حيث استطاعت أن تفك الحصار عن هذه المدينة .

وخلال القتال ، استشهد الآلاف فى هذا المحور الوعر الصعب ، ولكن أمكن فك الحصار عن قوات كثيرة محاصرة فى مواقع فوق الجبال .

ثم المحور الثالث : وهو المحور الشمالى الذى يصل صنعاء بصعدا ، وكان اجتيازه مثالا رائعا للعسكرية المصرية .

المحور الرابع : وهو المحور الساحلى لتأمين القوات من الساحل ، ومن الحديدة الى ميدى (نقطة التقاء الحدود السعودية باليمن) .

والآن .. اصبحت قواتنا الآن فوق الجبال ، وفى المدن ، وعلى الطرقات جيش كامل محارب ، نحتـاج فى كل يوم ما لا يقل عن اثنين مليون من الجنيهات انفاقات ، وطبعا تسمعون فى القاهرة من وقت لآخر أسماء تسمع لأول مرة فى اذانكم ، وقد تتساءلون ما هذه الأسماء ، أسماء المعارك ، « معركة الجبل الأسود » « معركة الجبل المعكوف » « معركة الجبـل المخروم » .. ففى اليمن جبال قاسية لها أسماء ، وكان للسيطرة على هذه الجبال بقوات نظامية ، وأسلحة ثقيلة شهادة خارقة للقوات المصرية .

والآن .. هل انتهت المعارك فى اليمن ؟

ابدا .. ما انتهت .. انهم الآن يبنون أسلوبا جديدا في القتال .. يمكن أن نسميه عسكريا « القبضة الحديدية » ، يجمعون كل ما لديهم من قوة ، ويحاولون السيطرة على موقع ما ، ويبدأ القتال ، وقد يستمر اياما ، وقد يتم حصار .. وبالتالى يحتاج الى قوات لفك الحصار ، ويتم فك الحصار ، ويهرب الملكيون ، ثم يعاودون الكرة مرة أخرى فى موقع آخر .

ونجد أنفسنا فى حرب جديدة ، وغريبة ، لا نهاية لها يريدون انهاك قوانا الاقتصادية ، وانهاك قوانا البشرية وكل هذا يتم فى السر .

بودى أن أكتب لك عن « المقاتل الجديد فى اليمن » .. أو « أثر حرب اليمن على المقاتل العربى » .. أو « مرض حرب اليمن » .. عناوين كثيرة لقصة حزينة ، أليمة تبدو بلا نهاية ..

وينقسم المقاتلون اليمن الى قسمين :

ـــ القيادات الموجودة فى المدن المستقرة الى حد ما ، كالقيادات الموجودة فى صنعاء ، وتعز والحديدة ، وهم الى حد كبير فى راحة كبيرة ، بعيدين عن ساحة القتال ، وسط أسواق صنعاء ، وهبوط الطائرات القادمة من القاهرة تحمل لهم بقايا خيرات مصر ، ويستقبلون القادمين من القاهرة ، وعلى مرمى حجر من المسئولين لتلبية كافة مطالبهم .

ـــ القسم الثانى : رجل الجبال والمحاور والقتال ، المحاصرون بقوات ملكية ، المعرضون كل لحظة للموت ، العازمون على الثورة ضد كل هذه الأوضاع ، فلقد وصل بهم الحال انهم يقاتلون لكى يبقوا أحياء ، لأن القضية لم تعد مقنعة لهم . الذين يشهدون جثث زملائهم وقد مثل بها .

مثال ذلك .. قوة من ٤٠ فردا تحتل جبلا فى المحور الشمالى ، لا تستطيع أن تتركه ، يحتاج الجبل الى صعوده ثمانى ساعات على الأقدام، ويحتاج هبوطه ساعتين ، ووجدت القوة انها ليست بحاجة للهبوط أو الصعود واستمرت على هذا الحال أربعة أشهر ينتظرون الطائرة التى تسقط لهم الغذاء والماء ، أحد أفراد هذه القوات فقد عقله تماما ، فأرسل الى القاهرة ، ولم يكن وحده الذى يحتاج الى « عودة العقل » بل كان هناك مئات غيره ، اعتقد أنهم منتشرون الآن فى مصحات القاهرة .

هذههى قواتنا التى أعدت ، وانفق عليها الشعب ما يملك لتحارب اسرائيل وها هى هذه القوات على بعد آلاف الأميال من الجبهة الحقيقية فوق الجبل الأسود وجبال صرواح وجيحانة .

هذا هو الكمين الذى أعد لمصر كلها شعبا وجيشا ولا نريد أن نخرج منه ..



وصل الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٣ ابريل عام ١٩٦٤ الى اليمن بعد اعداد لهـــذه الزيارة وكان معه المشير عبد الحكيم عامر وفى انتظاره المشير ـ أيضا ـ عبد الله السلال ..

هذه قناعتى ولن أحيد عنها حتى الموت .

هنا على جبال اليمن ، وبين شعبها ، وعندما يشهد الانســان بأمعينيه « مأساتنا فى اليمن » ، يكفر بكل شىء ..

عندما تشاهدين جثث المصريين الممثل بها أبشع تمثيل .. تفضرين ! !
عندما تشهدين جيشــا كاملا يقاتل قتــالا عنيفا .. بلا هدف مقنع .. تفكرين !

عندما تشهدين بين قادة جيش لأمة فقيرة وقد تحولوا الى تجار حرب .. تكفرين !!

عندما تشهدين « القيادات العسكرية » وهى مختلفة على كل شىء .. تفكرين !

عندما تشهدين مصر .. كل تاريخها .. وكل حضارتها .. وكل تراثها .. وكل شبابها يغوصون فى وحل اليمن المتحرك بلا منقذ ..
واذا كان الانسان لا يريد أن يكفر بشىء عليه الا يكفر .. فالكفر كفر كما تعلمين !! ..

والآ .. قواتنا شبه مستقرة فى مواقعها الشائكة فى كل أنحاء اليمن ..
والآن .. قواتنا تبسط نفوذها على اهم المدن والمواقع فى اليمن ..

والآن .. انتصرت قواتنا فى اليمن .. ولكن على من كان الانتصار ؟ .. ولماذا كان الانتصار والهزيمة ؟ ..

والآن .. لم يبق شىء سوى الزيارة .. زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للجمهورية العربية اليمنية .. وبدأنا الاعداد للزيارة ..

وصلت قوات خاصة اضافية الى صنعاء وصدر أمر بعدم دخول يمنيين صنعاء ومعهم السلاح ، سواء كانوا جمهوريين أو ملكيين ..

وفى الثالث والعشرين من أبريل عــام ١٩٦٤ وصــل الرئيس جمال عبد الناصر الى صنعاء ، يرافقه المشير عبد الحكيم عامر .. ووصــل من المطار الى العاصمة فى سيارة غير مكشوفة طبعا فنحن هنا فى اليمن ولسنا فى دمشق أو القاهرة ..

واتجه الى بيت المشــير ، فللمشير بيت فى صنعاء ، وكنت بين القــلة التى كانت فى استقباله فى بيت المشير ..

وكان هذا هو اللقاء الثانى لى بالرئيس جمال عبد الناصر ، كان اللقاء الأول فى يوليو عام ١٩٥٨ فى دمشق ، فى تلك الفترة كنت عند ضابط مخابرات مصرى اسمه نبيل ، ثم دق جرس التليفون وتحدث قصيرا ..



لقد أشفقت على الرئيس جمال عبد الناصر .. كل ما أخشاه أن تكون نهايته فى هـــذه البـلاد التعيسـة ..

وكانت علامات الفرحة والدهشة والسرور ترتسم على وجهه .. وقال لى :

ـــ يوم العمر .. ستجلس مع الرئيس جمال عبد الناصر .. وركبنا سيارة الرئيس واندفعنا الى قصر الضيافة في دمشق ، فى ذلك الوقت كان فى بغداد ثورة ، وفى دمشق وحدة ،والقاهرة أمل ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر فى بيوجراد عندما قامت ثورة العراق ، فذهب الى الاتحاد السوفياتى سرا ، وعاد الى دمشق سرا أيضا ، لم يكن أحد فى العاصـمة السورية يعلم بوصول القائد الى دمشق ، وفى قصر الضيافة كان عدد الحاضرين لا يزيد على ٢٥ شخصا انا واحد منهم .. وصافحت عبد الناصر .. بل كدت أقبل يديه حبا ، هذا هو معبودى ومعبود الملايين ، وتحدث معى خلال لحظات هى أروع لحظات عمرى ، كان يبدو نضرا يمتلىء حيوية ونشاطا وجمالا وروعة .. ولقد توقف الكلام فى فمى من شـــدة الحب والفرحة والاعجاب ..

واليوم بعد مرور أكثر من ست سنوات على هذا اللقاء ، أعود فالتقى به في صنعاء ، لم تكن لهفتى عليه كالماضى ، له رهبة وكبرياء ، ولكن ليس له نضارة الماضى ونشاطه ، فى هذه المرة استطيع أن أحاوره ، وفى دمشق فقدت النطق من الحب ، أرى فيه اليوم ما لم أكن اراه بالأمس ، أرى فيه جثث الشهداء فى الســـهول والوديان ، ، أرى فيه الكبد الوقائى ، أرى فيه اقتصادنا المنهار ، أرى فيه الأمل الذى خاب ، أرى فيه هذه المرة عنيد البـــاطل .

واشفقت عليه .. فكل ما اخشاه أن ينتهى الرجل ومعه مصر فى هذه البلاد التعيسة ..

وقال له المشير :

ـــ يا ريس سمعهم صوتك في السعودية وعدن .. وسأل الرئيس :

ـــ فين عثمان نصار ..

وضحك المشير .. وفهمت فيما بعد أن الرئيس جمال عبد الناصر يحب عثمان نصار . قائد المحور الشمالى لخفة ظله المتناهية ..

ثم نظر الرئيس جمال عبد الناصر الى كل وجوه الحاضرين ، واحدا وراء الآخر ، ولم يبتسم ، وقد تملكنى الخوف .. عفوا زوجتى ، عندما أقول ذلك فلقد تصورت للحظة أنه يعرف ما بداخلى من مشاعر .



ناصر والقاضي وعامر

كان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر وكأنه ينظر الى معبودته

انني بصدق أحب المشير عامر . عنده شهامة الأب . ووفاء الصديق ، وجراة القائد ، وكان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر ، وكأنه ينظر الى معبودته ، وكان السلال فى كل هذا لا معنى له ولا محل للاعراب .

وكان السلال قد عاد من القاهرة فى يناير الماضى ١٩٦٤ ، ومعه ممرضة مصرية من المستشفى التى كان يعالج فيه ، وقيل انه تزوجها ، وقد جاء ليمسك زمام أمور اليمن بيديه ، وقد حدثت مناقشة بينه وبين القائد للقوات العربية فى اليمن اللواء مرتجى حول عدم اشتراك رجال الثورة فى هذه الحرب الا بأعداد قليلة جدا ، وبعض من هؤلاء من الجنوب العربى وقد جاؤا متطوعين . والقليل من اليمن الشمالية ، أما رجال القبائل فى اليمن ، فيوم مع الفضة ويوم مع الذهب ، يوم معك ويوم عليك .

وقرر السلال تشكيل مجلس الأمن الوطنى ، ويتكون هذا المجلس من بعض الضباط اليمنيين ، والفريق مرتجى ، وبعد تشكيل المجلس غادر صنعاء فى طريقه الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربى ، ثم عاد الى صنعاء بعد زيارة لموسكو . وقيل أن هذه الزيارة قد اقلقت الرئيس جمال عبد الناصر ، وان زيارته الحالية من أسبابها « زيارة السلال لموسكو وليس معنى ذلك أن هناك خلافات بين موسكو والقاهرة ، ولكن كل الأمور يجب أن تتم عن طريق الرئيس جمال عبد الناصر » .

كان هناك خوف شديد على حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكما فى مصر — حدث فى اليمن — تم اعتقال كل من :

أولا : من يعارض وجود القوات المصرية فى اليمن .

ثانيا : كل من لهم انتماءات بحزب البعث .

ثالثا : كل من يشك فى ولائه للجمهورية أو الرئيس السلال .

أصبحت صنعاء فى وجود الرئيس جمال عبد الناصر — مدينة نظيفة ، نصفها رجال أمن والنصف الآخر مما لا يشك فى ولائهم للرئيس جمال عبد الناصر .

وفى صنعاء ، القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا هاما يعتبر نقطة تحول فى تاريخ اليمن ، هاجم فى هذا الخطاب السعودية ، ثم بدا الهجوم على الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى .

أقول أن هذا الخطاب يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ حرب اليمن ، لأن هذا الخطاب كان مولد حرب جديدة فى جنوب الجزيرة العربية ، أو ظهور « العملية صلاح الدين » ..

لقد رحل الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة ، بعد أن أعد تفصيلات العملية « صلاح الدين » ، واختار بنفسه الرجال الذين سيتولون قيادة الحرب الجديدة فى الجنوب ضد الوجود البريطانى هناك .

ويهدف الرئيس جمال عبد الناصر من شن هذه الحرب فى الجنوب الى الآتى :

١ ــ اقلاق القوات البريطانية فى الجنوب .

٢ ــ تخفيف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى كل انحاء اليمن .

٣ ــ تشكيل قيادة من أبناء اليمن تابعة له ، مؤمنة به تتسلم مقاليد الأمور بعد رحيل الاستعمار البريطانى .

ولكن .. ان قيام العمليـــة « صلاح الدين » ، تعنى وجود اطول فى اليمن ، حقا لقد أعلنت الحكومة البريطانية الرحيل من شرق السويس ، وان أول رحيل سيكون من عدن ، وهنــا لا بد أن ننتظر حتى يخرج آخــر جندى بريطانى من هناك ليكون لنا تأثير فى عدن ، واذا نجحت خطة الرئيس جمال عبد الناصر فى ذلك ، فان هذا يعنى السيطرة على عمان وامتداد نفوذه الى الخليج العربى لاقامة حزام حول المملكة العربية السعودية .

الا أن عدة قوى ستواجه هذا الموقف بكثير من العناد والصلابة .. فان تصورى أنه فى اليمن فقط لاستنزاف قوى مصر ، ولن يحدث أن تسمح له هذه القوى ــ وهى كبيرة ــ أن يحقق أهدافه ، وان يمتد نفوذه الى باب المندب من جنوب البحر الأحمر ومن الشمال قناة السويس ، ثم مضيق الخليج العربى .

واتصــور أن هـــذه الأفكار الوردية هى التى تدفع الرئيس جمــال عبد الناصر الى الاستمرار فى اليمن رغم الزهور التى تدفن هنــا ، ورغم الافلاس الاقتصادى الذى نعانيه ، ورغم كل الأمراض التى أصابت المجتمع المصرى .



لقد وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة بعد أن أعد تفصيلات العملية « صلاح الدين »

وأتصور أن هذه الأفكار جاءت وليدة الشهور الماضية ، بعــد اعلان بريطانيا الانسحاب من شرق السويس وان هــذا الموقف الجديد سوف ينسف كل محاولات السلام فى اليمن ، وكل المفاوضات السابقة والقادمة بين القاهرة والرياض حول اليمن .

لدى احساس آخر .. ان الاعلان البريطانى أخشى أن يكون كمينــا للرئيس جمال عبد الناصر والذى كان جادا منذ فترة فى محاولة الخروج من اليمن ، وان كافة القوى المعادية لمصر تريد منا أن نتورط أكثر فأكثر حتى يسهل ضربه فى القاهرة ..

والى اللقــاء ..

زوجك



الرسالة السابعة

القاهرة : ١٩٦٥

زوجى العزيز ..

اخيرا نلتقى بعد سنوات من حرب اليمن ، وبودى أن يناقش كل الناس حرب اليمن ، فهى ليست حادثة صدام فى الطريق العام ، ولكنها حرب حقيقية وفى اليمن ، ويدفع الناس هنا من قوت يومهم ثمنا لهذه الحرب ، وتدفع الأسرة المصرية من ترابطها ومن أخلاقها ثمنا لهذه الحرب .

اننى كل يوم أرى كارثة تحل بنا ، واعرف أنها بسبب حربنا فى اليمن، ولا احد يريد أن يفكر فى ذلك ، فكما سبق أن ذكرت لك أنها حرب سرية، جانب كبير من القوات يعلم ذلك ..

بودى أن نناقش بصراحة .. عدة امور منها :

- لو أن مصر لم ترسل قواتها الى اليمن ، هل استمرت الثورة ؟
- لو فشلت ثورة اليمن ، فما مدى تأثير هذا الفشل على مصر ؟
- هل يستطيع عبد الناصر أن يحقق فى هذه الظروف امبراطورية عربية ؟
- وهل الأسلوب الذى نتبعه يقيم هذه الامبراطورية ؟
- هل الأزمة الاقتصادية المستمرة ، والفساد الادارى ، وخنق الحرية وحصار مصر ، وتوقف كافة خطط التنمية ، هل يستحق كل هذا حماية ثورة فى اليمن ؟..
- هل نصلح البيت المصرى أولا ، ونقيم منه قاعدة صلبة ، ثم ننطلق الى ما يريد أن يحققه الزعيم ، أم ندخل كل هذه المعارك بشعب أفقرته هذه الحروب ، وخربت أخلاقه واكثرت من متعطليه ؟

• هل ستحقق ثورة اليمن خطوات طويلة أكثر بمراحل من خطوات الامام البدر والذى كان صديقا للرئيس جمال عبد الناصر ؟..

شعب مصر الذى يدفع ، وشعب مصر الذى ينتحر ، وشعب مصر سيرتد ردة قومية ، لأنه يدفع كل شيء حتى أحلى الشباب .

أتصور أن مصر ، ليست الدولة الثورية الوحيدة فى المنطقة العربية ، ولكنها الدولة الوحيدة التى اتخذت على عاتقها حماية ثورة اليمن ، وعلى بقية الثوار أن يشهدوا ، ويضعوا النظريات ، يصدروا المنشورات ، وكأننا فى حلبة مصارعة ، واذا توقفت هذه اللعبة القذرة لعدم القدرة على المواصلة أو لأسباب قاهرة القوا على اللاعبين بالحجارة ..

أنا أريد لعبة مصرية ، اللاعبين والمشاهدين ، لا اريد أن يلقى على بالحجارة ، من هؤلاء الذين يشهدون ولا يشتركون ، فعندما تكون الدماء مصرية ، يصبح أيضا القرار مصريا .

اخرجوا من اليمن ، فسوف نصفق لكم فى القاهرة .

اخرجوا قبل أن يفوت الأوان، وتندم كل الندم على كل لحظة قضيتموها على هذه الجبال .

سأذكر لك حكاية ، غريبة ولكنها منطقية ، لا سأذكر لك عدة حكايات عن آثار حرب اليمن فى القاهرة ..

فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، استشهد زوجها فوق جبالكم اللعينة ، تحصل على معاش من وزارة الحربية يبلغ سبعون جنيها ، وهو رقم بلا ضرائب ، تريد الزواج ـ وهذا حقها ـ ولكنها اذا تزوجت فقدت معاش زوجها السابق ، وأى زوج فى هذا العمر دخله أقل بكثير من المعاش، وأصبحت هذه المعادلة صعبة ، تريد الاثنين ، الرجل والمعاش ، وهذه ليست فتاة واحدة ، بل آلاف الأرامل ، وعليك أن تتصرف .. والنتيجة دائما الاحتفاظ بالاثنين .. الرجل والمعاش ..

صديقنا ابراهيم باهر زغلول ، شاب يحلم بكل ما يحلم به الشباب ، شقيق وحيد لثلاث شقيقات ، استشهد على جبال اليمن ، وجاء مندوب من قيادتكم يحمل مغلفا به ثمن حياة هذا الشباب ، واستقبله والده ، واخرج الأول الثمن ، ووضعه على طاولة صغيرة ، ثم قال للوالد هذه عدة آلاف جنيه ، وابنك قد استشهد على جبال اليمن .

وحدث ما يشبه الزلزال فى البيت ، كاد الوالد ان يخنق المندوب ، ولم يتصور أن يدفن ابنه فى اليمن وضع كلتا يديه على رقبته .. وقال له .. قتلتوه يا قتلة .. قتلتوه يا قتلة .. وانهار كل من فى البيت ..

وابراهيم باهر زغلول ، واحد من الآلاف الذين يقتلون فى اليمن .

عندما علمت بموته ، ذهبت لشراء رداء أسود ، فلا يصبح أن أذهب لتقديم العزاء الا بالرداء الأسود كأيامنا ، وكانت مفاجأة قاسية ، ان هناك ازمة فى الأقمشة السوداء ولم أصدق ما سمعت وتركت القاهرة الى المحافظات للبحث عن الأقمشة السوداء فلم أجد فعلا ، ومعنى ذلك اذا استمر قتلكم فى اليمن ، فان مصر كلها سترتدى السواد .

أنا .. كزوجة مقاتل .. عندى الآن سيارة .. وبيت فى أرقى أحياء مصر .. ولكنى احتاج لرجل يقود لى السيارة ، ويحل لى مشاكل ابنى فى المدرسة ، وفى الشارع ، ونذهب سويا الى كل مكان .. ومن طول غيابك بالشهور الطويلة ، وأحيانا بالسنوات أبحث عن رجل آخر يحمينى .. قد أفضل ان اتركك ، وقد أفضل أن أخدعك .. ولكن بالتأكيد هناك آلاف الزوجات المنتظرات لعودة أزواجهن من اليمن .

هذه حكايات يومية .. ولكن ما زالت الحكايات الأساسية تقتل مصر ، وتفقدها شبابها وجمالها بسبب حرب اليمن ، وان القيادة السياسية تعمل فى اتجاهين لا ثالث لهما ..

الأول : حماية الكراسى التى يجلسون عليها ، وهناك عيون الآلاف على الناس خوفا منهم ..

الثانى : حرب اليمن ، من كل الساحات ، الساحات الاعلامية والسياسية والعسكرية .

ونسى الرئيس جمال عبد الناصر جملة كنت أتصور انها أساسية فى سياسته ، قال « لقد فشل كمال أتاتورك لأنه قام بثورة سياسية ، ولم يقوم بثورة اجتماعية » ، وأستطيع أن أقول لك ان عبد الناصر حاول القيام بثورة سياسية ، ولم يفكر بالثورة الاجتماعية ، وسيأتى اليوم ليجد نفسه مطالبا بأمور ملحة ، لن يستطيع انجازها .. سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة الأمية فى مصر ..

سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة المياه والمجارى والطرقات واستصلاح الأراضى .

سيجد نفسه مطالبا بالبحث عن مكان لكل طفل ، كل شاب فى المدرسة والجامعة ..

سيجد نفسه مطالبا البحث عن عمل لآلاف المتعطلين وانصاف المتعطلين بسبب توقف التنمية فى مصر .

سيجد نفسه مطالبا بتشغيل المصانع المتوقفة أما بسبب الاهمال الادارى او قطع الغيار ..

لا اريد أن أقول انه سيجد نفسه مطالبا باعطاء الحرية للناس ، فهو يعتبر الحرية ترف لا تستحقه الجماهير ، رايه كما أعلنه فى الحرية ، ان مخابز مصر تخرج لكل انسان ثلاثة أرغفة فى اليوم .. والحرية التى يراها هى حرية الرغيف ، ورايه فى الاقتصاد المصرى كما قاله لأحد الصحفيين الأجانب : الم تأكل دجاجة فى الهيلتون ، وسلاطا ، وهذا معناه أنه لا يوجد ازمة اقتصادية فى مصر .

سيجد نفسه زعيما لشعب فقير ، مزيض ، هربت منه كل العمالقة والكفاءات .. فكل شيء يهرب الآن ، انها رحلة الخراب من مصر .. الصحافة تهرب .. الفنون تهرب بعد أن سبقتها الحرية وسيادة القانون .

وحكاية البيضانى ليست كما ذكرتها لى ولكان البيضانى نفسه يقول فى القاهرة ، انه كان يريد ان يبنى اقتصاد اليمن بصدق ، فقرر انشاء البنك اليمنى للانشاء والتعمير ، يكون تمويله من الحكومة ومن أموال المغتربين اليمنيين ، وطرح اسهمه للاكتتاب والتى نفذت فورا ، لأن اليمن ارض بكر ، واى استثمار فيها يكون له مردود سريع وحاولت الحكومة سرقة اموال هذا البنك ، بل وأكثر من هذا قرر ابعاد البيضانى لخلافات فى الرأى السياسى والاقتصادى ، وبدأت الأموال التى دخلت اليمن تخرج ، وقرر البيضانى اقامة مشروعه فى عدن ، وسافر الى عدن وهناك تحدث فى السياسة ، وتحدث عن الأوضاع فى اليمن ، وامام الجماهير اشتد حماسه فعارض الزعيم فى بعض الآراء ، وعند عودته الى القاهرة حددت اقامته فى منزله ، ثم خرجت عشرات الاشاعات حول اعتقاله .. وما زال معتقلا حتى الآن ..

أعود الى رسالتك الأخيرة لى .. وتناقضك بين التأييد والرفض للزعيم أنا معك ، انها رحلة شاقة رحلة مؤلمة ، من اليقين به الى الشك به ،

واعلم انك فكرت مرارا الا تقيم اى حوار حول سياسة الزعيم ، وعنـدما بدات الحوار ، اقتنعت بكثير من الاخطاء ، واخطاء يذهب ضحيتها آلاف الشباب ، بل ان الضحية هنا امة بأسرها هى الأمة المصرية .

فانا لا يمكن أن اتصور مصر قد غاصت الى الأعماق بهـذا الشـكل ، الكل ينمو ، ونحن نضمر ، الكل يأخذ ونحن ندفع .. لا يمكن أن اتصور هذه الهجرة الجماعية من مصر ، هجرة العمالقة وبقاء الاقزام .

ثم .. عن حرب الجراثيم .. ازعجتنى قسوة هذه الحرب وبشاعتها ، ولا انسانيتها ..

زوجى .. للنهوض باليمن الف وسيلة ، غير حرب الجراثيم والغـاز السام ، والنابالم والقنابل الفسفورية الانسان انسان فى اى مكان وزمان ، وعلينا أن نحترم انسانيته .

زوجى .. اعلم ان عبد النـاصر سيفتح جبهة فى الجنوب ، وانه سيواصل الحرب لآخر شاب فى مصر محاولا تحقيق أحلامه ، ولكن لن تتحقق هذه الاحلام .. نعم لماذا ؟

لاننا فى فلس اقتصادى ، لاننا محاصرون من كل اتجاه ، واخشى أن يأتى اليوم الذى لا تستطيع أن تدفع فيه رواتب العاملين فى هذه الدولةالتى شاخت من كثرة الديدان .

نحن هنا فى مصر ، محاصرون ..

محاصرون بالفساد الادارى ..

محاصرون بأزمة اقتصـادية جعلتنا من افقر الدول .. محاصرون بالأعداء ..

محاصرون باسرائيل فى الشرق الأوسط ..

واتصور انه لن يترك يحقق مثل هذا النجاح ، لن يستطيع أن يحقق آمال هذه الامبراطورية ، وأريد أن أقول كلمة انصاف ، انه مؤمن بما يفعل وانه يتصور أن ما يفعله هو الصواب ، مؤمن بالدماء التى اريقت على جبال اليمن ، مؤمن بعدم معارضته لأنه يعمل لصالح الناس .. لكل الناس ..

وهذا الايمان جاء لعدم وجود من يقول له اين الصواب . وأين الخطأ ليقول له اننا قد نموت جميعا من شدة الطغيان ، ليقول له ان الحرية تلد العمالقة . وتلد الرخاء ، وتلد التقدم ، وتلد الحضارة . وانه فى غيـاب الحرية يموت كل شيء ، وأخشى أن نموت .

زوجك



الشـامى والايريانى
هنا بدأت محاولات للسلام فى اليمن واجتمع الملكيون والجمهوريون حول مائدة واحدة



زوجتى ..

لا .. لم نتفق بعد ــ كما جاء فى رسالتك السابقة لى ــ فلقد تصورت اننى أرفض الزعيم ككل ، بل فقط اننى اعتبر أن أكبر خطأ له فى اليمن ، ذلك ان لحرب اليمن آثار سيئة للغـاية على الشعب والقوات المسلحة ، فهى باختصار انهكت اقتصاد مصر ، وخلقت للجيش أسلوب قتالى لا يصلح والمعركة الحتمية القادمة مع اسرائيل ، الا ان هذا لا يعنى أننا ننسى السد العالى ، والمصانع ، والمدارس ، والأراضى التى استصلحت ، وثقل مصر السياسى فى العالم كله ، ويكفى عبد الناصر انه غرس القومية فى أرض مصر ، والتى حاول الاستعمار أن يبعدها عن الأمة العربية بكل وسيلة .

ولكن حربنا فى اليمن خطأ ، وخطيئة ، وكل ما أرجوه أن نتحـدث عن السلبيات والايجابيات ، ولا ننسى الإيجابيات فى غمرة أحزاننا فى اليمن .

الأحداث هذه الأيام ــ فى اليمن ــ سريعة ومتلاحقة ، هنـا فى اليمن محاولات للسلام فشلت ، ولهذه قصة طويلة ، هنامحاولة للبقـاء فى اليمن فترات طويلة ، ولهذه حكاية ثانية وهنا قتال من نوع آخر بدأ فى الجنوب العربى ولهذه حكاية ثالثة ، وهنا الجمهوريون مختلفون ، وهـــذه قصة رابعة ، ولكن كل هذه الحكايات هى ألوان مختلفة تشكل فى النهاية الصورة فى اليمن .

ولا أعتقد أن كل هذه الأحداث تتسع لرسالة واحدة ، وسأكتفى فى هذه الرسالة بالموقف العسكرى المصرى فى اليمن بعد زيارة الرئيس جمـال عبد الناصر الآخرة والأخيرة .

عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن ، عرضنا عليه الموقف العسكرى فى اليمن ، وكان يتلخص فى أن قوات ضخمة تواجه قوات عصابات صغيرة ، وان هذا يؤدى الى خسائر فادحة ، وقد علمنا من الرئيس جمال عبد الناصر بأن فكرة الانسحاب التى تراود بعض القادة غير واردة استراتيجيا ، واننا سنظل فى اليمن حتى خروج آخر جندى بريطانى من الجنوب العربى ، ووعد بأنه سيعقد اجتماعات مع القادة العسكريين فى القاهرة « لتقنين » الموقف العسكرى فى اليمن ، ووضع سياسة جديدة لوجود القوات ، وخاصة ان الجانب الآخر يتصور اننا نريد أن نخرج من اليمن بطريقة كريمة الى حد ما ، لذلك فهو يوجه ضربات للقوات المصرية حتى نخرج من اليمن بطريقة كريمة .

ولقد جاء الحديث وحل الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى تخنق مصر ، وخاصة ان السلاح والذخيرة ندفع ثمنه سواء نقدا بالعملة الصعبة للاتحاد السوفيتى أو بيع المصنوعات والخامات المصرية للاتحاد السوفياتى .

ثم كان رقم الذين استشهدوا فى اليمن مذهلا ، حتى للرئيس جمال عبد الناصر ، وكان يريد أن يقلل من عدد الشهداء الذين يقتلون فى الكمائن المستمرة للقوات المنتشرة فى كل اليمن .

وفى اجتماع سرى عقد فى القاهرة واشترك فيه قادة الأسلحة ، والمشير عامر واللواء مرتجى ، ظهرت استراتيجية النفس الطويل ، وهى نظرية ليست جديدة فى الساحة العسكرية ، وهى تعتمد على البقاء فى منطقة ما اطول مدة ممكنة وبأقل الخسائر ، وعسكريا مجهدة فى الخطوات الأولى لتنفيذها ، الا انها بعد ذلك تتيح للقوات الراحة ، وقد تؤدى سياسة النفس الطويل الى تحقيق الأهداف التالية :

اولا ـ تقليل حجم القوات الموجودة فى اليمن ، وبالتالى تقليل الانفاقات

ثانيا : امكانية البقاء اطول مدة فى اليمن .

ثالثا : امكانية القضاء على حرب العصابات .

رابعا : تقليل الخسائر فى الأرواح التى تتم عن طريق الكمائن ، والهجوم على الوحدات الصغيرة .

وفى بداية فبراير ١٩٦٥ بدأ تنفيذ سياسة النفس الطويل ، أو تجميع القوات ، وهذه السياسة لتؤكد للمملكة العربية السعودية بأننا سوف نبقى فى اليمن ، وبالتأكيد فان هذه السياسة سوف تنسف كل جهود السلام القادمة والتى سوف أحدثك عنها .

ولعلمك ، اننا لو رغبنا فى الخروج اليوم من اليمن ، فان آخر جندى يرحل بعد عام من الآن ، فلم يعد الامر سـهلا .. المهم الا نغرق فى رمال اليمن المتحركة .

جاءت التعليمات من القاهرة بخطوط عامة، وطلبت التعليمات من قيادة القوات المصرية فى اليمن تنفيذها ، كانت الخطوط العريضة تقول :

١ ـ تجميع القوات فى صنعاء ، الحديدة ، تعز .

٢ ـ فى حالة اشـتباك لا بد أن يحسم بكل عنف وقوة وتشـترك كافة الأسلحة فى الردع والحسم .

٣ ـ الهجوم ، على القوات المتجمعة أن تهاجم بعنف كل محاولة لتجميع قوات ملكية .

وبدات القيادة المصرية فى صنعاء تنفـذ خطة « تركيز القوات » فى المناطق الاساسية ، وبدأت الوحدات الصغيرة فى منطقة الجوف تتجمع ، حيث ان هذه القوات هى أكبر قوات منتشرة فى اليمن .

ولقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن سياسة « النفس الطويل » وقد أدى ذلك الى دفع رجال القبائل بالكثير من المقاتلين لمحاولة ضرب القوات التى بدأت تلتحم بعضها بالبعض الآخر ، كان أهم تجمع هو تجمع قوات الجوف ، فهى منتشرة ، وفى طرق وعرة ، ويسـهل القتـال معها بالشكل الذى نعيشه فى اليمن ، وبخسـائر كثيرة فى الأرواح أمكن القيـام بعملية تجميع قوات الجوف والتى اتجهت الى صنعاء .

ولقد قام بهذه العملية بنجاح اللواء سعد الدين الشاذلى ، ولقد بدأ التنفيذ فى البداية بأن طلب شيوخ القبائل فى المنطقة لمقابلته ، واجتمع بهم ، وطلب منهم عدم التعرض للقوات المصرية والتى سوف تتحرك فى طريقها الى صنعاء ، كما أخبرهم اللواء سـعد الدين الشاذلى بأن أى ضرب لهـذه القوات سيقابل بعنف شديد .

والحقيقة ، ان الرجال ـ رجال القبـائل ـ تأثروا من خروج القوات المصرية ، وتصوروا انه انسحابا كاملا من اليمن ، ولا أدرى هل كانت عاطفة أم مصلحة .

وقام اللواء سعد الدين الشاذلى تبليغهم كافة الطرق التى كان يتسللها الملكيون فى طريقهم لضرب قوات الجوف ، ونجحت عملية التجمع فى المرحلة الأولى .

وبدأ تنفيذ سياسة « النفس الطويل » وأمكن تجميع القوات فى الأماكن التى حددتها القيادة السياسية المصرية .

ويمكن أن يقال ان شمال اليمن أصبح خاليا تماما من القوات المصرية ، وقد دفع ذلك بالملكيين الى تشكيل جيش قوى لاحتلال الاماكن التى أخلاها الجيش المصرى وكان هذا الجيش بقيادة الشيخ قاسم منصر واستعد الجيش خارج صنعاء ، وهدد الشيخ باحتلال صنعاء ، وقد ارسل اللواء سعد الدين الشاذلى رسولا يطلب منه عدم المحاولة ، ولكن رسول الشاذلى أهانوه ، بل كادوا يقتلوه ، وأعادوه الى صنعاء فى حالة سيئة .

وقررنا الهجوم على جيش الشيخ قاسم ، واشترك معنا بعض القوات من الجيش اليمنى ، وتحركت القوات المتمركزة على مشارف صنعاء فى اتجاهات ثلاث لتحاصر تماما قوات الشيخ قاسم ، وقامت القوات الجوية أثناء عملية الالتفاف بالقاء قنابل مستمرة فى منطقة وجود هذه القوات ، ودارت أعنف معركة شهدتها اليمن ، قوات كثيفة من الجانبين ، كانت قواتنا تقدر بحوالى خمسة وعشرين الف مقاتل ، بالاضافة الى حوالى ألف من الجيش اليمنى ، وكانت قواتهم تقدر بحوالى ٨٠ الف مقاتل ، ولديهم كافة انواع الأسلحة ، استمرت المعركة عدة أسابيع ، ونتج عنها الاف القتلى من الجانبين ، وخاصة من الجانب الملكى ، وانتهى جيش الشيخ قاسم ، وتدخل مستر روشان مندوب الصليب الأحمر الدولى لاخلاء القتلى ، وطلب مسيو روشان من قائد القوات العربية بعض الأطباء المصريين ، وسيارات اسعاف لانقاذ المصابين من الجانب الملكى ، وأسرع رجالنا بكل حماس للقيام بهذه المهمة الانسانية ، ان طبيبا صديقا قد أجرى ٣٠ عملية جراحية فى يوم واحد ، لثلاثين من رجال القبائل التى كانت تقاتل القوات المصرية ، ان طلب مسيو شومان أظهر له مدى طيبة وصبر أطباء مصر ، لقد قال لهم بعد أن شاهد على مدى عدة ليالى العمليات الجراحية التى قاموا بها « أنتم أطباء أكفاء ، وأكثر ما يميزكم انكم اكثر من البشر ، فأنتم الملائكة .. » .

كانت هذه المعركة من أشرس المعارك ، لو جلست مع الجنود واستمعت الي القصص الخرافية لهجوم القوات المصرية ، لن تصدقين .

اننى استطيع أن اقول ان المقاتل المصرى خير من يهاجم ، ويقتحم بلا خوف ، فلقد كانت جيوب الملكيين الموجودة فى كهوف الجبال تحتاج الى

قتال مواجهة ، واقتحام ، وقد نفذ المقاتلون هذه العمليــة الكبير بشجاعة منقطعة النظير .

زوجتى ..

لقد استخدمنا فى هذه العملية عشرات الأطنان من الذخيرة ، والروس يبيعون لنا الذخيرة بشكل احتكارى كما اننا استخدمنا دبابات وسـيارات مصفحة وأسلحة متوسطة وثقيلة خرجت من المعركة لا تصلح لمعركة اخرى واذا كنا هنا فى سبيل المبادىء ، واذا كان الاتحاد السوفيـاتى يسـاعدنا لأننا نحارب حرب مبادىء ، واذا كان هناك لقاء بين مبـادئنا ومبـادئهم ، يكفى اننا نحارب الاستعمار والرجعية ، فلماذا لا تدفع موســكو — على الأقل — ثمن السلاح والذخيرة فى اليمن ؟.

وقد كان سؤالى لقائد القوات فى اليمن .. وقال القائد :

— ان الاتحاد السوفياتى قرر أن يتنازل عن نصف ثمن الذخيرة والسلاح الذى استخدم فى اليمن .

زوجتى :

اعلمى اننا هنا باقون .. ليس هناك ملامح للخروج من اليمن ، ان أهداف عبد الناصر يريد تحرير الجنوب والخليج العربى من الاستعمار البريطانى وتسليم مقاليد الحكم للقوى الوطنية .

من هنا كانت العملية « صلاح الدين » والعملية صلاح الدين تكاد تكون منفصلة عن العملية ٩٠٠٠ ، ولقد اقيمت قيادة العملية صلاح الدين فى مدينة تعز الجميلة والقريبة من حدود الجنوب العربى ، أو الجنوب اليمنى المحتل

فما هو الجنوب العربى — كما تسميه الرابطة — أو ما هو جنوب اليمن المحتل ؟

الاجابة على هذا السؤال ، هى القاعدة ، أو احدى القواعد الأساسية التى ترتكز عليها الاستراتيجية المصرية للبقاء فى اليمن .

نحن هنا باقون الى ما شـــاء الله .. لن نخرج بسرعة حتى يتم تحرير الجنوب العربى ، والعملية صلاح الدين هى دفع لتحرير الجنوب العربى ، ومن الجنوب ننطلق الى ظفار ومسقط وعمان ثم الى الامارات المتصالحة وقد كان هناك مغريات كثيرة لوجودنا فى اليمن ، منها :

١ — ان الاستعمار البريطانى قد انهكته حروب عبد النـــاصر فى الدول العربية أو فى أفريقيا أو آسيا ، وقرر الرحيل .

٢ ـ ان الانباء القادمة من السعودية تؤكد ان ظلال حرب اليمن ، لا تترك ظلالها وبصماتها على القصور الملكية فقط ، بل وعلى كل مواطن فى المملكة العربية السعودية

٣ ـ ان حرب اليمن قد أدت الى استيقاظ المواطن العربى فى عمـــان والخليج العربى ، وانه يمكنه أن يقول للاستعمار البريطانى : لا .

وأنا أعلم ان ردك سيكون .. ومصر .. وأقول لك ـ زوجتى ـ قلبى مع مصر .. مع بلادى الجميلة .. مع شبابها .. مع الأبرياء فى السجون .. مع الجوعى فى سبيل اليمن .. مع الأرامل .. مع اليتامى .. مع الفقراء من شعبنا المطحون ..

زوجتى ..

فى نهاية رسالتى .. يراودنى سؤال محير .. هل يقدر العـــالم .. والعالم العربى بصفة خاصة ما تقدمه مصر فى اليمن .. هل سينسى العالم العربى ذات يوم ان آلاف الزهور قد دفنت هنا ؟ ..

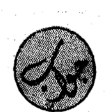
زوجتى ..

يوما ما .. سنخرج من اليمن .. لا أدرى متى ؟ وبودى ان أعود اليها بعد عشر سنوات .. بودى ان ارى شيئا غريبا .. مقابر الشهداء فى اليمن .. كيف ستكون !.. هل كمقابر شهداء الحرب العالمية الثانية فى العلمين؟.. أم انه لن يكون هناك مقابر للشهداء ؟..

زوجتى ..

ساطلب منك طلبا ، انا .. اذا دفنت هنا . فكل ما أرجوه أن تذهبى ـ ولو فى نهاية عمرك ـ لتضعى زهرة على قبرى .. وان لم يكن لى قبرا .. فانثرى فى أى مكان من اليمن الزهور على هذه الأرض .. لهؤلاء الشهداء بلا قبور .»

زوجك



الرسالة الثامنة

القاهرة : يوليو ١٩٦٦

زوجي ..

عاد الرئيس جمال عبد الناصر من جدة بعد مباحثات حول « السلام » مع الملك فيصل ، وعقب عودته علمنا بعض التفاصيل عن هذه المقابلة المثيرة .. عندما بدأت المباحثات نظر الرئيس جمال عبد الناصر ، للملك فيصل ، وقال له ..

ــ يا أخ فيصل .. تعال نناقش بصراحة .. موقفي في مصر « زى البمب » .. لا يمكن الاطاحة بالنظام في مصر .. ان الأجهزة عيونها على كل الناس .. ان الأزمة الاقتصادية لن تهز النظام في مصر .. والعائدين من اليمن ضباطا أم جنودا لن يقوموا بأى انقلاب كما قالت لك المخابرات الأمريكية ..

ثم نظر الرئيس عبد الناصر الى الملك فيصل وقال له ..

ــ ولقد اعتقلت لك في الأسابيع الماضية ١٠٠ ألف من الاخوان المسلمين . ففي خلال الشهور الماضية تحولت المدارس الى معتقلات ، وكان هناك أكثر من جهاز مستقل يعتقل الأخوان المسلمين ، ومن في عداد الاخوان المسلمين ، أو حتى من كان له صلة بالاخوان المسلمين ..

لقد بدأت « هوجة عرابى » بحديث بين الرئيس جمال عبد الناصر وعبد العظيم فهمى وزير الداخلية .

ــ كيف حال الاخوان ؟

ــ كل التقارير تؤكد انهم مستكينين ..

ــ انت نايم يا عبد العظيم .. دول معاهم سلاح .. وحيقلبوا البلد .. اصحى يا أستاذ .

ووضع الرئيس جمال عبد الناصر سماعة التليفون ..

لقد ذهب أحد السائقين يقول للمباحث العسكرية ان جماعة استأجروه لحمل سلاح من مكان الى آخر ، وانه يستطيع أن يدل على هذا المكان ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون فعلا انقلابا ضـــد حـــكم الرئيس جمال عبد الناصر ، وقيل ان قائد الانقلاب هو الأستاذ سيد قطب ، واستطاع سيد قطب أن يستقطب آلاف من الاخوان المسلمين ، وأن يشترى ســلاح من الأهالى والذى كان فى حوزتهم منذ عام ١٩٥٦ وجمع السلاح فى قرية من قرى الجيزة وكان هنا آخر شحنة من السلاح فى طريقها الى المخازن ، واستطاع سيد قطب أن يكون جيشا للاستيلاء على الحكم .. وفجأة ذهب السائق الى الشرطة العسكرية الجنائيــة ليكشف عن هذا الانقلاب ، وعن الأجهزة السرية التى استطاع سيد قطب تكوينها .

وأخطر الرئيس جمال عبد النــاصر ، وعلى الفور خرجت قوائم كافة الاخوان المسلمين ، الذين اعتقلوا قبل ذلك أم الذين لم يعتقلوا ، وفى هــذا الوقت كان يمكنك أن تدخل أى انسان السجن ، بأن تشير بأن هذا الرجل من الاخوان .

واسندت مهمة اعتقال جماعة الاخوان المسلمين لثلاثة أجهزة :

- الشرطة والأمن العام .
- الشرطة العسكرية الجنائية .
- مكتب الأمن لرئيس الجمهورية .

وكان هناك تنافس بين الأجهزة الثلاث على من يعتقل أكثر .. وكثيرا ما حدث أن ذهب قوة من الجهازين فى وقت واحــد لاعتقال شخص ما ، وتحدث بين أفراد الجهازين مشاجرة ، من يعتقل هذا الرجل .

وكثيرا ما ذهبت قـــوة الاعتقال من كان من السابق بين جماعة الاخوان المسلمين فيقال لهم .. لقد حضرتم متأخرين عدة سنوات .. لقد مات ؟؟

وكثيرا أيضا ما كانت تذهب الشرطة لاعتقال شخص ما يقولون لهم انه معتقل منذ سنوات ، فيعتقلون أى شخص فى البيت ..

ولقد استثنى من هذه الاجراءات رجال الاعلام ، وحدث ان كان أحــد الصحفيين من الذين كان لهم علاقة قديمة بالاخوان المسلمين قد حصــل على تأشيرة خروج ، وسافر الى الاسكندرية ، وأثنــاء سفره بدأت « هوجــة عرابى » ، فذهب أحد رجال الجمارك يســأل عنــه ليلغى التأشيرة حتى

لا يسافر ، وعاد الصحفى الى القاهرة وعلم من البواب أن ضابط شرطة قد سأل عليه ، وقد خشى أن يتصور انه هارب فذهب الى الشرطة وقال للضابط ان أحد الضباط قد سأل عنه .. وبدأ الضابط يبحث فى كشف المطلوبين فلم يجد اسمه ، ووقف الضابط حائرا ، اذا تركه ، قد يسألوه لماذا لم تعتقله وقد جاء لك برجليه ، واذا اعتقله ، قد يسألوه لماذا اعتقلته وهو لا اسم له بين المطلوبين ، ووجد أن أسلم حل لهذه المشكلة أن يسأل الأعلى منه ، واحتار الأعلى منه كحيرته ، فاتصل بأعلى الأعلى ، واحتار الثالث ، فيبدوا أن المسؤولين من شدة الخوف لا يستطيعون اتخاذ ، قرار ، وظل الصحفى اربعة عشر شهرا لمعرفة ما اذا كان مطلوب اعتقاله أم لا !!

بعض الاخوان من كثرة ما اعتقلوا قرروا أن يعملوا كل شيء تتناقض ومبادىء الاخوان المسلمين ، ومن كثرة ممارستهم لهذا التناقض أصبح أمرا عاديا ، ورغم ذلك اعتقل العشرات كانوا فى البارات والكابريهات وعلب الليل فى القاهرة .

من كثرة الأبرياء فى المعتقلات ، ومن عدم وجود أماكن للمعتقلين ، ولأن المدارس كانت على الأبواب لا بد من اخلائها للتلاميذ ، فلقد وضع تقليد رحيم ، من يجد كفيلا كبيرا ، يمكنه أن يخرج من السجن ، والكفيل هنا اما وزير ، أو ضابط كبير على صلة بالنظام ، وذهبت أسرة عم الأستاذ أمين هويدى تطلب منه كفالة عمه الحاج عبد الرازق الرجل العجوز ، ولكنه رفض .

زوجى ..

لقد سمعت حكايات كثيرة ، وكثيرة جدا ، كلها تشير الى أمر خطير ، ان الخوف قد فرق الأسرة ، و الأسرة اذا تمزقت ، تمزقت معها الأخلاق .

هل تعرف معنى الأخوة .. انها كانت علاقة مقدسة ، والآن ، اسمع قصة أخ ولا أصدقها ، ولكنها للاسف حقيقة تؤكد نهاية المبادىء والتقاليد، ان أخا فى القوات المسلحة بلا سبب أخذ يلفق لأخيه أى تهمة تفصله من عمله ، مرة يرسل شكوى لرئيسه بأنه يسب فيه ، ومرة أخرى يرسل لرئيسه بأنه سمسار ، ومرة أخرى بأنه يعمل عملا خارجى وهذا - فى رأيه - ضد القوانين ، ووجد « هوجة عرابى » ، فأرسل فى شقيقه يقول انه من الاخوان المسلمين فاعتقلوه .. وفى التحقيق قال انه وشقيقه كانا ينتميان الى جماعة الاخوان المسلمين وفصل شقيقه الضابط فى القوات المسلحة من عمل واعتقل هو الآخر !!

كانت مصر ــ زوجى ــ اشبه بغابة كبيرة ، ضاعت فيها القوانين ، وماتت فيها العدالة ، وانتحر الحق وتبخرت الأخلاق ، وكان الشعب كله يريد أن يلحق بسفينة نوح قبل الطوفان ، أن يوما من هذه الايام تجعلك تكفر بكل شيء ، فاننا نعيش هذه الأيام لحظات أقوى من الطوفان ، لم تبقى عاطفة نبيلة ، ولم يبق سوى اللحاق بالسفينة قبل الطوفان .. يرسلون كل الناس الى السجن الحربى ، حيث يوجد رجل أعزب رغم أنه فى رتبة لواء ، اسمه حمزة البسيونى ، أرجوك الا تنسى هذا الاسم مهما بلغ منك العمر ، وأرجوك كل الرجاء أن تبصق دائما عندما تسمع هذا الاسم اللعين ، انه ممثل النظام فى السجن الحربى ، انه سفاح تخميه القوانين ، ان امرأة فاضلة اسمها زينب الغزالى تبلغ من العمر ما فوق الخمسين ، أرسل لها جندياً ــ بالأمر ــ يضاجعها .. تصور !

حمزة البسيونى، طالما ان اسمه موجود فى مصر ، فانه علامة اللاانسانية، وعلامة التخلف ، وعلامة الظلم بلا عدل ، وعلامة اختفاء الحق والقانون ، وعلامة شريعة الغاب ، وعلامة البغاء والخلق المهدور الذى تراه فى شوارع القاهرة هذه الأيام .

حمزة البسيونى اسمه تحفظه كل أسرة فلكل أسرة سجين ، ولكل سجين حكاية نادرة وقاسية فى ذات الوقت مع حمزة البسيونى ، سفاح بدرجة لواء ، ولواء بدرجة سفاح ، وهو يتصور ، ويتصور غيره أنه يحمى النظام ، انه وحده كفيل بأن يدين النظام فى محكمة حرة ، هى محكمة التاريخ، انه وحده كفيل بأن يقال كان فى مصر رجل اسمه حمزة البسيونى يحمى النظام بأقسى من الحديد والنار ..

كان فنانا فى تعذيب البشر ، كان خالقا فى كل وسائل التعذيب .

وسط كل هذه الصور المخزية أقول لك ، أنا لا أرفض الناصرية ..

من يرفض القومية كأقوى المبادىء ؟..

من يرفض العروبة كأحلى انتماء ؟..

من يرفض الاشتراكية كأعظم أنواع العدالة ! ..

من منا لا يود أن يعيش فى مجتمع الكفاية والعدل ؟

من يقبل الاقطاع ؟

من يقبل رأس المال المستغل ؟

من يقبل العبودية ؟

من يرفض الحرية ؟

من يرفض الوحدة ؟

من يهادن الاستعمار ؟

اليست هذه الناصرية ؟.. نعم .. الناصرية هى الحرية والوحدة والاشتراكية ومحاربة الاستعمار والقضاء على الاقطاع ، والعبودية والقضاء على رأس المال المستغل ، واقامة مجتمع العدالة والكفاية .

الحرية انتحرت .

والاشتراكية الفقر .

والوحدة هتافات .. بعد اجهاضها فى سوريا .

والاقطاع استشرى ..

والعبودية طريق المناصب ..

ورأس المال فى الطبقة الجديدة السمسارة .

والعدالة فى الجهل والفقر والمرض .

وأستعمار جديد باسم جديد بدلا من الاستعمار القديم .

وقد تقول ان السبب فيمن هم حول الرئيس ، وأقول انها لغة بليدة لغة قديمة ، ليست لغة العصر فاذا أردت أن تعرف شخصا أعرف من حوله ..

هل تذكر محافظ أسيوط الذى قال فيه وامامه انه اشبه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ وقلنا انه سيفصل من عمله لشدة نفاقه ، لهذا اصبح محافظ اسيوط هو محافظ العاصمة .

زوجى ..

النفس البشرية ضعيفة ، فاذا تعودت على المديح ، رفضت كلمة حق ، كلمة نقد ، وقد يحرمك هذا الكلام ولكنها الحقيقة ، والحقيقة دائما مؤلمة .. ونحن نعيش فى الآلام .. فى آلام الحقيقة ..

زوجى ..

ان الخلاف فى الرأى قد يظهر الحقيقة ، والحكم هنا يريد الناس قوالب، لون واحد ، شكل واحد ، طابور واحد ، وبلا رؤوس ..

ومن يخرج عن الطابور ، ومن يحاور او يناقش او من ترفع هامته ، او تنبت له هامة قطع رأسه ووضع فى الطابور .. ومن كثرة هذه الممارسة ، اصبحت هواية ، وامتدت الهواية لغير المصريين ، قد تفجع ، وقد تكون

اخفيت عنى فى رسائلك الخبر ، ولكن هل تعلم ان عشرات من اليمنيين وغير اليمنيين ، الذين خالفوا الزعيم الرأى منتشرين الآن فى سجون مصر ..

- مهدى عماش « عراقى » وجدوا ان أحسن معتقل له بيت فى مصر ..
- مفين بسيسو « شاعر فلسطنى » خالف عبد الناصر فى الرأى فوضعه فى الواحات ، وذات مرة قالوا له اكتب استرحام للرئيس عبد النـــاصر وسوف نفرج عنك .. فكتب هذه القصيدة :

اركع

اركع للورقة

أغرز قلمك فى عينى طفلك

واطلب ما أمرك أن تكتب من ذبحك

بالقلم على عتبة بيتك

كوم أوراقك قدامك

واسأل جلادك .. عن عود ثقاب

- ابراهيم طوبال « مناضل تونسى » فى المعتقل بمناســبة زيارة الحبيب بورقيبة للقاهرة .

واليمن لها حكاية مع حمزة البسيونى او مع السجن الحربى ..

فى ١٦٠ سبتمبر الماضى ، حضر الى القاهرة النظام الجمورى لديك ، وكان المفروض أن يقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، واستقبلوهم فى المطار استقبالا وسميا ، وركبوا السيارات تحميهم الحصانة الدبلوماسية وبدلا من مقابلة الرئيس ، قابلوا حمزة البسيونى فى السجن الحربى .

- احمد نعمان عضو المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن والذى يرى انه يمكن التفاهم مع السعودية مع البقاء على النظام الجمهورى .
- الفريق حسن العمرى القائد العـــام للقوات المسلحة اليمنية ويرى ان القوات اليمنية تستطيع وحدها مواجهة الملكيين فى حالة خروج القوات المصرية .
- حسن مكى نائب رئيس الوزراء ، له نفس الاراء السابقة .
- العقيد حسين المسورى رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة اليمنية له نفس الآراء السابقة .

● العقيد ابراهيم الحمدى نائب القائد العام ، كان أيضـا يرى ان يجتمع الزعماء العرب لوقف الدم العربى فى اليمن ، والنهوض باليمن .

● أحمد عبده سعيد ، نفس الآراء السابقة .

● محمد الحجرى ، وهو لا يعارض القيادة المصرية ، انما يبحث عن مخرج من الأزمة .

● يحيى المتوكل ، نفس الآراء السابقة .

● محسن العينى ، نفس الرأى السابق .

● درهم أبو لحوم ، أيضا يريد حقن الدماء .

● محمد أبو لحوم ، أيضا يريد البناء .

أمين عبدالواسع عثمان وزير الزراعة ، البحث عن مخرج .

● عبد الرحمن البيضانى كان معتقلا فى بيته قبل تعيينه سفير اليمن لدى لبنان لصلة النسب بينه وبين احد المسؤولين فى مصر .

● القاضى عبد الرحمن الاريانى . نظرا لكبر سنه وخوفا من بطش السفاح حمزة البسيونى ، اعتقل فى بيته لا اتصال بالناس ، ولا للناس الحق الاتصال به .

هؤلاء كلهم فى السجون ، أدرى ، هل يعلم الرئيس بذلك ؟ .. هل هو الذى امر بذلك .. الا اننىعلمت يعض الأسباب لاعتقال ثوار اليمن ، أو زعماء اليمن ، انهم يرون حلا لمشكلة اليمن ، مخرجا للسلام فى اليمن ، وهم يرون الاتصال مباشرة بالمملكة العربية السعودية لوضع صيغة للتعاون ، ونظرا لشدة الصراع بين مصر والسعودية ، فان من رأيهم ان يراقب الطرف المصرى الحوار اليمنى السعودى .. ورفضت السلطات المصرية هذا الاقتراح وقرر العمرى والاريانى والنعمان ومكى السفر الى الدول العربية لشرح وجهة النظر ، والتوسط بين زعماء الجمهورية ، وحماة الجمهورية ، بل ان الفريق حسن العمرى قرر أن يذهب الى الأمم المتحدة ليعلن عن عدم قبوله لاستمرار الوضع الراهن .

معنى ما يريده الفريق العمرى ، أن يسحب من الرئيس جمال عبد الناصر شرعية الوجود فى اليمن ، سواء على المستوى الداخلى ، او العربى أو

الخارجى ، ويضع القيادة المصرية التى تخطط للمستقبل فى موقف حرج ،
وهنا استدعاهم الرئيس جمال عبد الناصر للحضور الى القاهرة للتفاهم على
هذا الموقف الجديد ، وادخلهم جميعا فى قلعة اللواء حمزة البسيونى الكائنة
بالقرب من استاد القاهرة الكبير .

ستقول ان اليمن تستحق كل هذا ، ستقول ان اليمن تستحق آلاف
الزهور التى دفنت هناك ، ستقول ان اليمن تستحق ان ينفق فيها أكثر من
اثنين مليون جنيه مصروفات يوميا ، ستقول ان آثار ثورة اليمن ستضرب فى
أعماق المنطقة وتقلبها الى الأمام ، ستقول ان ثورة اليمن ستدفع بشعب
الجنوب والخليج الى الامام . ستقول انها بداية النهاية للاستعمار فى الخليج
والجنوب وكل الجزيرة العربية .

لن أنكر شيئا من هذا ، بل لن أنكر انه لولا الوصول المصرى العسكرى
السريع لليمن لما بقيت الثورة ، ولاجهضت كما تم اجهاض قبلها عشرات
الثورات الكبيرة والصغيرة .

ولكن مصر ، القلعة والهدف ، البيت المصرى فى حاجة الى ترتيب من
جديد ، الانسان المصرى فى حاجة الى اطلالة على العصر ، لقد قامت
الثورة على مبادىء ستة ثلاثة اقامة ، وثلاثة قضاء .

١ ــ اقامة جيش وطنى قوى .
٢ ــ اقامة عدالة اجتماعية .
٣ ــ اقامة حرية سياسية .
٤ ــ القضاء على الاستعمار وأعوانه .
٥ ــ القضاء على الفساد .
٦ ــ القضاء على الاقطاع ورأس المال المستغل .

نعم .. أقيم الجيش الوطنى القوى ، ولكن هل أقيم ليحارب فى اليمن ،
والكنغو ويعسكر فى العراق أم أقيم لمحاربة اسرائيل ، ان قواتنا هذه اللحظة
موجودة فى ثلاث مناطق خارج مصر ، قوات فى الكنغو ، وقوات فى العراق ،
وقوات فى اليمن . ولنفترض ان اسرائيل شنت علينا هجوما ، هل ننتظر
حتى تعود قواتنا ــ وهى أحسن ما لدينا ــ من الكنغو ، أم من العراق ، أم
من اليمن ؟؟

والعدالة الاجتماعية ، بدأت بمحاولة عظيمة ، الا ان اتفاقات مصر فى
الخارج ، على المنظمات والأحزاب والصحف ، والعملاء ، والأفراد ، والقوات
المحاربة لم تبق لتحقيق هذه العدالة ، وكأن العدالة فى الفقر .

والحرية السياسية ، أن لا تفكر ، تسير كما يريدون ، لا رأى لك الا الرأى الرسمى وعليك أن تتبناه ولا تناقشه .

يا زوجى ..

بعد قيام الثورة أو قبلها بقليل ، قدمت مصر قرضا لالمانيا الغربية بمبلغ عشرة ملايين جنيه ، والآن مصر تدق كل الأبواب بحثا عن القروض ..

فى نقاشك عن خمس عشرة سنة ماضية ، وحديثك عن المصانع التى شيدت أتنس حقيقة ، تنسى انه بعد الحرب العالمية الثانية ، حدثت ثورة علمية كبرى ، هى ثورة التيكنولوجيا ، فجرت هذه الثورة ثروات ضخمة فى البلاد التى كان لديها استعداد لقبولها ، تنسى أن نصيب مصر من هذه الثورة العالمية لا شيء ، وحدث مقابل ذلك ظهور المال العربى بشكل كبير يبحث عن الاستثمارات ، وكان المفروض ان يكون مجاله الحيوى فى مصر ، ولا شيء من هذا حدث .

العالم كله يتقدم ، وكان علينا أن نضع هدفين واضحين : مواجهة اسرائيل وبناء مصر . ثم بعدها ننطلق الى العالم نعطى له الفائض ، نعطى له الدم ، نعطى له من قاعدة قوية .

هل تريد أن تحرر العالم كله ، ثم فلسطين ، أم تحرر فلسطين ثم تحرر العالم ؟..

هل تريد أن نبنى العالم كله . ثم نبنى مصر ؟

هل تريد الحرية للكونغولى ، والكوبى ، والايرانى ، ولكل انسان عربى ثم تعطى الحرية للمصرى بعد ذلك ؟

اننى ارى ان نبدا بمصر اولا ، فهى القلعة ، وهى الرائدة ، وهى القاعدة التى يمكن أن ينطلق من عليها كل الأقمار !!

لست أنانية ، ولكنى مصرية .

كلامى هذا سوف يغضب اى مواطن عربى خارج حدود مصر ، انا أعلم ما قدمه الرئيس عبد الناصر للمواطن فى سوريا ، والجزائر ، وفى المغرب والخليج ، وأنا أعلم ان عبد الناصر قد قام بحماية ثروات البلاد العربية ، أنا أعلم ان اصلاحات داخلية كثيرة ، وانفتاح كبير حدثت فى عدد

كبير من الدول العربيـة خوفا من الناصرية ، أنا أعرف هامات المواطنين فى الخليج العـربى والجنوب العربى قد ارتفعت ، وصوتهم قد قوى ضـد القوات البريطانيـة الموجودة ، أنا أعلم الثورات التى تفجر ضد الاستعمار فى آسيا وافريقيا ..

ولكن من يدفع !

المواطن المصرى ، يدفع من حيـاته ومن دخله ، ومن قوته اليومى ، والآن يدفع من دمه ، ويدفع بأعز ما يملك بزهور تدفن أو تزرع هنا وهناك المهم اننا نحتاج لهذه الزهور فى تربتها الطبيعية على أرض مصر الطيبـة ، فاننى اخشى أن نحتاج يوما فلا نجد من يقدم لنا شيئا ، بل اننى لا أريد أن احتاج لأحد ، لأننا أثرياء ، ولكن هذه الثورة تصار خارج الحدود .. وداخلى ممزق ..

زوجتك



صنعاء : ديسمبر ١٩٦٦

زوجتي ..

قبل أن أتحدث عن لعبة « السـلام » في اليمن ، أود أن أهمس لك بما يجول في خاطري ، لقد جاء لنا أحـد العملاء من المملكة العربية السعودية وتحدث عن آثار حرب اليمن في الجزيرة العربية ، ولقـد اعجبني حديثه ، على الأقل ان الزهور التي دفنت هنا لم تذهب هباء ، أخذت بعدها افكر في آثار هذه الحرب خارج مصر ، ووجدت أمامي هذه الصورة ..

✻ في المملكة العربية السعودية انفتاح داخلي ، ومشروعات ، ومدارس ، ومستشفيات ، حتى أن سكان نجران لم يعرفوا طول حياتهم المال ، وكانت حياتهم كلها بالمقايضة ، لم يذوقوا اللحم ، لم يروا سيارة ، لا يوجد طريق ، والآن هناك طرق ومطارات ، وأموال ، ورخاء .

✻ في الجنوب العربي شعور قومي لم يشهد له التاريخ مثيلا ، والاستعمار البريطاني لا بد وان يرحل عاجلا أو آجلا ، ولم يعد منطقيـا وجود العقول المتحجرة للسلاطين ، هم ايضا في الطريق الى الزوال .

✻ في الخليج العربي ، يستعد رجاله استلام مقاليد البلاد بعد قرب رحيل الاستعمار البريطاني .

✻ في الكويت تجربة ديمقراطية كانت بعض الجيران تريد ضربها لولا انشغالها بتطورات الأمور في حرب اليمن .

ولكن ..

فكرى فى مصر الحزينة ، فى الشباب الذى يدفن هنا ، فى الأموال التى تهدر هنا ، فى الأرواح التى ترهق هنا ، وكأن الدم المصرى أصبح رخيصا جدا ، وكأن المال المصرى أصبح مشاعا لكل انسان الا شعب مصر ، ومصر باستمرارها فى حرب اليمن أصبحت منهكة القوى ، واخشى أن تنتهى هذه الحرب بكارثة على مصر ، وعلى هذا الشعب الصبور .

مصر ــ زوجتى ــ تحمى ولاتهدد ، تعطى ولا تأخذ ، وتعطى الى آخر ما تملك من مال ، من تأييد ، من حب ، بل ومن دم أحمر قانى كلون القرص الأحمر فى المغيب لأنه دم الشباب ! .

وكل ما أخشاه . أن يحتاج الرئيس عبد الناصر ، جانب ولو ضئيل لما يقدمه فلا يجد الا الجحود ، ولا يجد الا الرفض .

سأحكى قصة غريبة ، أشبه الى الرق منها الى أى شىء آخر ، دولة عربية ، لا لن اذكر اسمها ، ليس لديها خبرات ، لديها القليل من المتعلمين ، هى فى حاجة اليهم والى اضعاف اضعافهم ، هذه الخبرات تصدرهم الى الخارج بأثمان مرتفعة ، ترسل للرئيس عبد الناصر تطلب خبرات مصرية ، ومصر تلبى الطلب من منطلق قومى ثم تعطى للمصريين رواتب ضئيلة وتتحمل مصر الفروق وأحيانا تتحمل مصر كل رواتب البعثة المصرية بينما ابناء هذه البلد يعملون فى الخليج والسعودية وهى فى الأساس تجارة ، وتجارة رقيق .

زوجتى ــ اذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟ .. لماذا لا نثور على هذا القدر ، لاننا بقليل وقليل جدا من الذاتية ، وعطاء ليس بهذا السخاء نستطيع أن نصنع من مصر قطعة من اوروبا ، بل منافسة لأوروبا فى شمال افريقيا .

آه لو نخرج بسلام من اليمن ، آه لو انفقنا ما انفقناه فى اليمن على قرى مصر ، وشعب مصر ، لشهد العالم دولة عظيمة وقوية ورائدة .

ولكن فى اليمن ، كانت المأساة ، وفى اليمن كانت أحلى الزهور تدفن هنا وثوار الأمة العربية كالمتفرجين فى حلبة مصارعة ، دخلوا الحلبة ببطاقات مجانية ، بل بطاقات دفعت مصر ثمنها ، ولا تأخذ منهم الا الأصوات العالية .

وقصة السلام فى اليمن ، قصة قديمة ، صنعتها الاقدار منذ مئات السنين ، فاليمن أشبه بغناء مسرح رومانى ، العالم يتفرج على أطراف كثيرة متصارعة ، كل متصارع جديد فى لعبته ، يشد المتفرجين .

ولكى نفهم السلام ، لا بد وان نفهم أطراف اليمن ، واطراف اللعبة ، أو المتباحثين عن « السلام » . .

حلبة المصارعة عليها مصريون ، وسعوديون ، ويمنيون ، وامريكيون ، وسوفيات ، وانجليز ، كل هؤلاء اتخذوا من اليمن مسرحا للصراع .

* المصريون ، لهم وجهتى نظر فى « السـلام » ، البعض يرى السلام فى رحيل القوات المصرية مهما كانت النتائج ، لأن مصر فى أمس الحاجة الى ابنائهـا واموالها التى تهـدر فى اليمن ، والآخر يرى فى استمرار الوجود فى اليمن حتى يمكن اخراج القوات البريطانية من الجنوب ثم عمان والخليج وبذلك يمكن حماية الثروة العربية من أيدى المستعمر ، وان هذا هو قدر مصر .

* السعوديون ، يريدون رحيل القوات المصرية واعادة البـدر اماما على اليمن ، رغم الخصومة التاريخية بين الأسرتين ، وفى ذلك تجميـد النمو اليمنى .

* الأمريكيون ، فى البـداية كانوا منزعجين من وجود القوات المصرية فى اليمن ، ولكنهم وجدوا أن هذه وسيلة لاضعاف مصر اقتصاديا وانهاك قواها وشغلها بمعركة واحدة ، وهى التى كانت تقود ضد امريكا عدة معارك فى اماكن مختلفة وفى وقت واحد .

* الانجليز ، يريدون رحيل القوات المصرية قبل رحيلهم ، لتظل المناطق المستعمرة بالقوات البريطانية تحت سيطرتهم بعد الرحيل .

* اليمنيون ، وهؤلاء هم المشـكلة ، وهؤلاء هم الأطراف الأساسيون فى النزاع .

فاليمنيون فى نزاع مع انفسهم منذ مئات السنين ، وأى نزاع ؟ . .

* نزاع بين القبائل ــ سكان الجبال ــ والفلاحين سكان السهول .
* نزاع بين الزيود والشوافع .
* نزاع بين الهاشميين وبقية الشعب .
* نزاع جغرافى بين اقاليم اليمن .
* نزاع بين الهاشميين وانفسهم .
* نزاع بين الذين تعلموا فى المدرسة العلمية وبين الذين تعلموا فى مدرسة الأيتـام .

* نزاع بين مرتدى العمامة والخنجر وبين مرتدى الطاقية والتى يسمونها هنا « الصمادة » وهى ملبس أبناء الشعب .
* نزاع بين الملكيين والجمهوريين .
* نزاع بين الملكيين انفسهم .
* نزاع بين الجمهوريين انفسهم .

اى اننا لسنا امام « يمن » واحد او شطرين من اليمن ، بل اننا امام عشرين يمن ، وكل يمن من هذه تريد تصفية حساب تاريخى مع يمن ثانية ، وجانب من هذه الحرب ، واستمرار هذه الحرب ، يقع أساسا على حقيقتين اساسيتين :

الأولى : ان القيادة المصرية تفتقر جدا الى دراسة علمية عن الخلافات فى اليمن .

الثانية : ان القيادة المصرية لم تتمكن من وقف المضى فى تصفية الحسابات التاريخية بين اليمنيين بعضهم البعض .

ان آلة الحرب البشعة فى اليمن لم تعطينا الفرصة لهذه الدراسة الهامة ، ولن ادعى لك انى خبير فى هذه الخلافات ، الا اننى سمعت حكايات كثيرة عن هذه الخلافات كان من الممكن ان تكون الخيوط للوصول الى « حقيقة اليمن » .. واليك القليل مما سمعته :

●● حكم اليمن أو « الامامة » حق الهاشميين وبدأ العهد المتوكلى عام ١٩١٨ ، وبدأ العهد بجمع زعماء قبائل من المتعصبين للسلالة الهاشمية ، المؤمنين بحقهم المقدس فى الاستئثار بالسلطة والحاقدين على الذين لم يتعصب أجدادهم قبل مئات السنين لحق على بن أبى طالب فى الخلافة من بعد الرسول هو وابناؤه وأحفاده وأحفاد أحفاده .. وهذه القبائل أبيح لها أن تسكن فى مساكن الأهالى بالقوة حتى لو أدى الأمر — وكثيرا ما كان يؤدى — الى اخراج رب المسكن ليحتله المجاهد فى سبيل الله ، ويفرض على الزوجة ان تتولى خدمته واطعامه ما يختار من طعام .. وكم من أكواخ هدمت أو حرقت لأن فلاحا أو فلاحة اعتذرت بالفقر على تلبية الرغبات المسعورة للجنود ، والتى لا قبل لأحد بها ، ولا تزال اليمن كلها تذكر احراق خربة « الجوبان » سنة ١٩٥٥ بفعل الجنود الذين ارادوا اغتصاب حزم الحطب من الفلاحين ، فدافعوا عنها فعاد الجنود ليقاتلوا الأهالى ويحرقوا قريتهم .

●● فى اليمن طبقة السادة وهم من الهاشميين ، وللسـادة حقوق كثيرة منها رئاسة الدولة ، وعلى كافة المواطنين أن يقبلوا أيدى السادة ، اذا كانوا من عليـة القوم ، ويقول محمد احمد نعمـان « أما المواطنون العاديون فالمفروض عليهم ان يقبلوا ركب الهاشميين ، واذا اراد الهاشمى أن يرد على هذه التحيـة ، فليس بأكثر من وضع يده على كتف المواطن المتقوس الظهر أمامه وهو يقبل ركبته » .

يقول محمد احمد نعمان فى مذكرة « لقد حاولنا القفز على الحواجز ، ثم دبرنا المكائد ، وانفجر البركان يريد أن يحطم كل شىء ويسحق كل مقاوم ثم وجدنا انفسنا بعد ذلك نواجه حقائق وجودنا صارخة مجردة ، وننظر لتناقضات حياتنا ساخرة مفزعة » .

* الحريق الدمار لأرض القبائل .
● النسف والاغتيال فى المدن .
* وقتل العساكر للفلاحين فى « ماوية » وشرعب ونهب الدكاكين فى الحديدة وتعز .
● والإعدامات للهاشميين والمعممين الكبار من القحطانيين .
* والصراع المخيف على اقتسام المراكز بين الزيود والشوافع .
● وتهامة التى تبحث عن نسب لهـا بين الفئات المختلفة كلها تشكو انصراف الجميع عنهـا وتضيق بالوافدين « الخباليـة » ، « فالحديدة » . لأبنائها أولا ، وليعود أهل البلاد الباردة الى الجبال .

زوجتى ..

هذه صورة لأطراف اليمن ، ومن هم خارج اليمن الذين يبحثون عن « السلام » ، والسـلام فى اليمن مر بمراحل كثيرة ، مرة كنا نرغب فى الخروج ، ومرة نريد أن نحقق آمالا جديدة فنتمسك بالوجود فى اليمن ، الا ان النهاية أننا فى مأزق .

ولقد عقد حتى الآن خمس مؤتمرات رئيسية بحثا عن السلام فى اليمن وغير المؤتمرات الجانبية التى عقدت هنا وهناك .

* وكان أول مؤتمر يبحث فى السلام هو المؤتمر الذى عقد فى ٢ سبتمبر عام ١٩٦٣ فى مدينة عمران وكان جدول أعمـاله البحث عن « وقف القتـال » وكان أعضاء المؤتمر من شيوخ القبائل ، ولم يسفر هـذا المؤتمر على أى خطوة نحو السلام .

* عندما اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ ، كان اللقاء الأول بين الملك فيصل ــ بعد ان أصبح ملكا ــ وبين الرئيس جمال عبد الناصر ، وفى اجتماعاتهما الجانبية تم مناقشة قضية اليمن ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر « يضم الأطراف المعنية » للبحث عن السلام فى اليمن ، وتم اختيار مدينة « اركويت » فى السودان للمؤتمر ، وفى ٢٩ اكتوبر تم أول لقاء بين الملكيين والجمهوريين على ارض السودان ، وكان هذا المؤتمر لبحث أمرين :

الأول : وقف القتال .

الثانى : الاعداد لمؤتمر سياسى .

وتمت الموافقة على وقف اطلاق النار ، وصدر البيان برغبة « المؤتمرين » فى عقد اجتماع جديد .

* بعد مؤتمر اركويت ، بدأ الاستعداد لعقد مؤتمر حرض فى اليمن ، ولقد قررت الحكومة اختيار ممثل عن كل منطقة جغرافية لحضور مؤتمر حرض ، وحدثت شبه انتخابات لأول مرة فى تاريخ اليمن ، اذ قامت كل قرية او مدينة باختيار مرشحها لمؤتمر حرض ، وجاء الممثلون الى صنعاء ، واعترض البعض على البعض ، وبدأت الاحقاد التاريخية تطفو من جديد ، وظهرت عشرات القوى ، الا أن هناك خمس قوى هامة ظهرت على المسرح السياسى للأعداد لهذا المؤتمر :

١ ــ الجمهوريون المنشقون ، وكانوا يرون اهمية اقامة علاقات حسن جوار مع السعودية .

٢ ــ الحكومة الجمهورية ، ترى فى الجمهوريين المنشقين خونة .

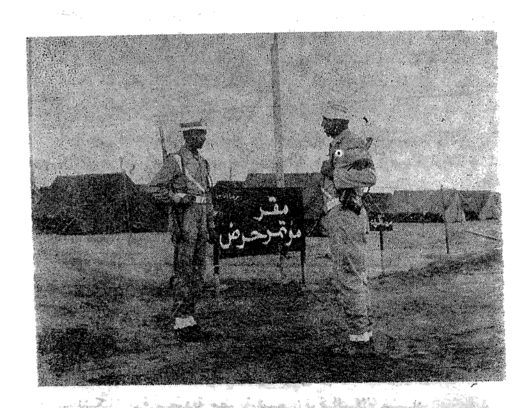
٣ ــ اتحاد القوى الشعبية اليمنية .

٤ ــ منظمة الشباب .

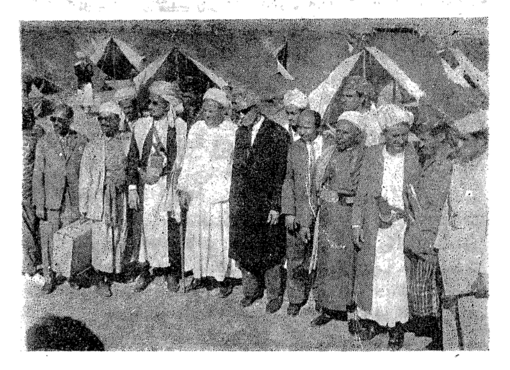
٥ ــ حزب الله الذى كونه محمد محمود الزبيدى ورفاقه .

وفشل مؤتمر حرض الأول ، ثم تلى ذلك احداث مؤسفة قمتها اغتيال محمد محمود الزبيدى .

* وفى ٢ ابريل عام ١٩٦٥ عقد مؤتمر صحر وطالب المؤتمر العمل على اصدار دستور لليمن وتشكيل لجنة لمتابعة قرارات هذا المؤتمر العام . والتوصية على ضرورة عقد مؤتمر آخر تحضره جميع الأطراف . ولقد



وفى ٢ ابريل ١٩٦٥ عقد مؤتمر حرض لمحاولة ايجاد سلام فى اليمن



النعمان : زعيم الجمهوريين المنشقين

اعجبني فقرة من فقرات قرارات المؤتمر والتي تقول « يشكر المؤتمر وباسم الشعب اليمني ، الجمهورية العربية المتحدة على ما قدمته من عون للثورة اليمنية وللشعب في الجمهورية العربية اليمنية ، ويقدسون الدماء الزكية وأرواح الشهداء الطاهرة التي حققت المعاني السامية للاخوة العربية » .

اعجبتني هذه الفقرة لأن التاريخ العربي ملىء بالجحود والنكران ، وملىء بالزيف والتزييف ، ولهذا اخترت لك هذه الفقرة من قرارات هذا المؤتمر .

* رغم هذا تعقدت الامور ، كما تعلمين ، فان الرئيس جمال عبد الناصر قد سافر الى المملكة العربية السعودية ، وتم التوصل الى اتفاقية جدة ، واهم بنود هذه الاتفاقية هو :

١ ـ تقرير المصير في موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .

٢ ـ مؤتمر جديد في حرض يعقد يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .

٣ ـ وقف مساعدات السعودية للملكيين .

٤ ـ انسحابنا من اليمن قبل مؤتمر حرض

٥ ـ تشكيل قوة سعودية مصرية تسمى قوة السلام .

وبدأ التنفيذ ، ووصلت باخرة سعودية « الطائف » الى ميناء الحديدة تحمل معدات لجنة السلام كما تم تعيين الفريق فريد سلامة رئيسا للجانب المصري والأمير عبد الله السديري رئيسا للجانب السعودي واستطاعت لجنة السلام تشكيل لجان واقية ، وعن طريقها تم تسليم الأسرى المصريين وكان عددهم ٤٢ أسيرا وهؤلاء تحدثوا عن الإسرى بالعشرات الذين قتلوا في نجران وجيزان ، بأيدي قوات السدر وعلقت رؤوسهم على مداخل المدينة ، سمعت ـ زوجتي ـ من القادمين قصصا يشيب لها الأطفال لا يمكن أن يحدث هذا في أي قرن من قرون البشرية . وأسرعنا بترحيلهم الى القاهرة .

وعلقنا الأمال على لجنة السلام السعودية المصرية ، والتي قامت فعلا بجهد كبير ، ورغم الاعداد لمؤتمر حرض ، كان الفريق حسن العمري رئيس الوزراء لا يتعامل مع لجنة السلام ، ولا يؤمن كثيرا بشرعية مؤتمر حرض الا ان القيادة المصرية في صنعاء استطاعت أن تكون همزة وصل بين لجنة السلام وبين حكومة الجمهورية ، حتى أمكن تشكيل الوفد الجمهوري من

٢٥ عضوا لحضور مؤتمر حرض ، وكان الوفد برئاسة القاضي عبد الرحمن الارياني . وحملت طائرتان مصريتان الوفد الجمهوري الى حرض .

وحضر من الجانب الملكي ٢٥ عضوا برئاسة القاضي احمد محمد الشامي وبدات الاجتماعات في معسكر كبير ، ومستشفى ، ومكتب للبرقيات واذاعة محلية .

والتقى الجانبان ، وكان لقاء حارا بين الجانبين ، وعقدت الجلسة الأولى وتحدث القاضيان الارياني والشامي .

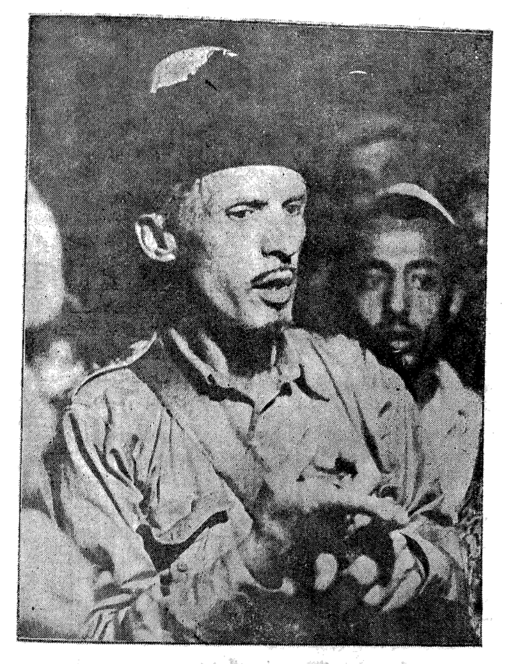
كان كل شيء يسير الى الأمام ، حتى وصل احد أعضاء الوفد الملكي ، رجل أمريكي يرتدي الملابس العسكرية للقوات الملكية اليمنية ، اسمه بروز كيندي ، أو عبد الرحمن كنده ، كما كان يطلق على نفسه ، وهذا الأمريكي يتحدث اللغة العربية بعدة لهجات ومنها اللهجة اليمنية ، ودخل صالة الاجتماعات الا ان الجانب السعودي قد نقل الأمريكي في اليوم التالي للمؤتمر ، وكان حديث الدكتور رشاد فرعون يعطي صورة للصراع في اليمن حيث قال المستشار السعودي « أن شاء الله يتعشم خير ، لا بد أن ينتهي الخلاف بيننا لأنه لا يستند الى أسباب قوية أن بعض محترفي الحروب يأتون الينا ليتسلموا رواتبهم ويأخذون ثمن ما يعملون ، وربما نفس الأشخاص يأخذون منكم أيضا ، وأنتم شعب مسالم ـ مصر ـ موارده محدودة ، وهذه الحرب لم تجرأ عليها جيوش الدول الكبرى ، وسنتعاون معا من أجل سحب القوات العربية من اليمن ، أننا بالنسبة لهذه النقطة متفقون تماما » .

استمر المؤتمر شهرا كاملا ، يبحث عن تفسير لاتفاقية جدة ، وكان أهم ما يعترض المؤتمر امرين :

١ ـ ما جاء في الاتفاقية « ليتولى طريقة الحكم » ، وكان الجانب الجمهوري يرى ان طريقة الحكم معناها أسلوب الحكم في ظل الجمهورية العربية اليمنية بينما يرى الجانب الملكي تعني شكل الحكم .

٢ ـ طالب الجانب الجمهوري اسقاط أسرة حميد الدين ، وقال الجانب الملكي أن اتفاقية جدة لم تذكر شيئا من هذا .

وأرسلوا للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يطلبون تفسير ، وجاء الرد منهما يحمل نفس المعنى ، وهو التمسك بروح اتفاقية جدة .



بروز : ضابط من المرتزقة ، اسموه عبد الله ، واعطوه رتبة اللواء فى جيش الملكيين او قوات الامام التى تتمركز فى جنوب المملكة العربية السعودية ..

وجاء شهر رمضان ، وانفض السامر ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر فى يناير ١٩٦٦ ، وأجهضت اتفاقية جدة ، وفشل مؤتمر حرض ، وانتهى السلام من ربوع اليمن ، وعاد القتال من جديد ولم تخرج ـ طبعا ـ القوات المصرية من اليمن ، وعاد الخلاف المصرى والسعودى ، وعاد الخلاف بين الجمهوريين ، الى آخر هذه الحكاية العقيمة الأليمة التى تحدث هنا .

هذه حكاية السلام فى اليمن ، الا أن هناك اسباب أساسية لفشل السلام فى اليمن ، فأى انسان يشهد لقاء اليمنيين فى هذا المؤتمر يشعر ان هناك حلقة مفقودة هى التى تقف حائلا للسلام فى اليمن ، وليس فى الأمر سرا ، ان السلام فى اليمن لن يتحقق للأسباب الآتية :

١ ـ تكوين طبقة مصرية سعودية يمنية مستفيدة شخصيا من استمرار حرب اليمن ، أثرت ثراء فاحشا من هذه الحرب ، وتطالب بالمزيد ، ولن يأتى المزيد الا من استمرار الدم ودفن الزهور فى اليمن .

٢ ـ ان هناك مرتزقة مستشارين للامام البدر ، وهؤلاء المستشارين هم مستشارى السوء ، يصورون له امكانية دخول صنعاء وهذا مستحيل تاريخيا ، بودى ان اقطع رقبة هؤلاء المستشارين الذين يبحثون عن مصالحهم الشخصية فيضللون .

٣ ـ الولايات المتحدة الأمريكية ترى التورط المصرى فى اليمن ، يكفل حماية من مهاجمتها فى اماكن اخرى من العالم .

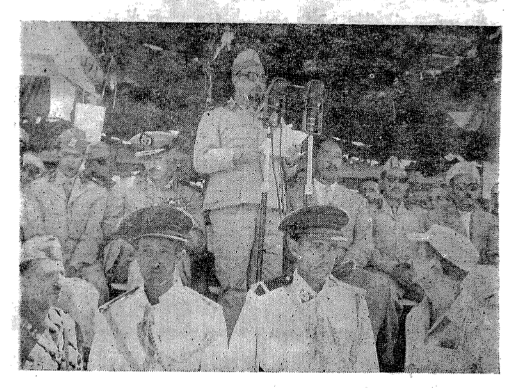
واخيرا ..

الآن نحن فى بداية عام ١٩٦٧ ، وهذه كل محاولات السلام باختصار التى حدثت فى اليمن ، وأقول لك اننا لن نخرج من اليمن الا فى ظروف لا يعلمها الا الله ، وان هذه الحالة كارثة علينا ، وعلى اليمن نفسها ، فالثورة ما قامت لتستمر الحرب كل هذه السنوات ، بل قامت لتبنى يمنا جديدا غير يمن الامام والعصور ما قبل الوسطى ، واقتصادنا منهار ، وامامنا معركة حتمية ، حتمية مع العدو الاسرائيلى لا ادرى متى تكون هذه المعركة ، ولكنها قادمة .

وسلام عليك من اليمن حيث لا سلام ولسنوات قادمة .

زوجك





كانت زيارة انور السادات لنا تعطينا الكثير من الطمانينة ، وكذلك المشير عامر



الرسالة التاسعة

القاهرة : فبراير ١٩٦٧

زوجي العزيز ..

نحن في حاجة الى معجزة لنخرج من اليمن ، الا اننى اشعر وانا على بعد آلاف الأميال أن القتال لم يعد عنيفا كالسابق ، واشعر أنه حدثت شبه معايشة مع ظروف اليمن ، هذه هى الخطورة ، المعايشة لقتال ومناخ اليمن ، لأن الحرب التى سوف تخوضها مصر تختلف شكلا مضمونا عن حرب اليمن ، ولقد كان هذا سؤال من عضو مجلس الأمة المصرى للمشير عبد الحكيم عامر فى الجلسة السرية التى عقدها المجلس ليسمع حكاية اليمن من المشير بعد أن كثرت وانتشرت لاشاعات فى طول مصر وعرضها ، وبعد أن فقدت الحكومة المصرية الثقة فى اخلاص هذه الحكومة تجاه ابنائها ، ولقد حدث فى مصر حدثان خطيران لهما دلالة أكيدة بعدم الثقة المتزايد بين الحكومة والناس ، الحدث الأول ، فان احدى المجلات المصرية وهى آخر ساعة ، قد نشرت تحقيقا صحفيا مصورا لقواتنا وهى فوق الجليد فى صنعاء ، وما كان من الأمهات أن ذهبن الى المحلات لشراء بلوفرات من الصوف ، وذهبن بها الى ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة لكى تقوم هذه الادارة تسليم هذه البلوفرات لأبنائنا فى اليمن ، وان دل هذا عن شىء فانما يدل على أن الشعب لا يثق فى أن الحكومة قد وفرت فعلا ملابس ثقيلة للقوات الموجودة فى اليمن .

والحدث الثانى اغرب واعنف ، لقد خرجت الأمهات بملابس البيت فى مظاهرة عنيفة الى المدارس لاخراج ابنائهن واخذهم الى البيوت وقد حدث هذا فى لحظة واحدة من أسوان الى مرسى مطروح ، وبعد انتشار إشاعة

تقول ان الحكومة ستأخذ دم من الأطفال ، وهذا دليل على عدم الثقة بين الحكومة والشعب .

زوجي ..

حقائق اليمن بدات تتسرب الى الناس لتمزقهم بين لا مبالى لكل شيء وبين معارض الى حد السجن مما جعل المشير عامر يجتمع بأعضاء مجلس الأمة يتحدث لهم ، ويخفف من قسوة الحقائق التى نشرت فى مصر ، يقابلها شواهد وأهم هذه الشواهد اختفاء عشرات السلع من الأسواق .

وفى هذا الأسبوع ، حدث ان أحد الجنود قد رفض السفر الى اليمن ، وانتشرت هذه الدعوة الى معسكر كامل ، يرفض السفر الى اليمن ، وقد ارسلت لهم القيادة الى معسكرهم فى المعادى أحد كبار ضباط القوات المسلحة ليشرح لهم أهداف حرب اليمن ، ولكن لم يستطع أن يقنعهم بالسفر الى هناك لحرب لا نهاية لها ، وفطنت القيادة العامة الى أمر عزيز على الشعب المصرى ، وهو الدين ، فأرسلت لهذا المعسكر احد علماء الدين ، ليشرح لهم أهداف حرب اليمن من الناحية الدينية ، وانها حرب لانقاذ شعب مسلم من اسرة ظالمة مستبدة ، ولكنهم أيضا لم يقتنعوا ، وخشيت القيادة أن تسير العدوى الى كل القوات ، وأن تصل الى القوات الموجودة فى اليمن ، فتكون كارثة لا حل لها ، وفى نفس الوقت لا تستطيع أن ترسل قوة متمردة الى اليمن ، فأرسلت المعسكر الى منطقة نائية على البحر الأحمر .

بعد ذلك .. أصبح السفر الى اليمن اختياريا . وهذه موضة جديدة فى اى قوات مسلحة فى العالم يذهب احد أفراد القيادة من كبار الضباط الى المعسكر ـ أى معسكر ـ يشرح فيه الفوائد الشخصية ، وخاصة المالية التى يجنيها المسافر الى القتال فى اليمن ، ثم يذهب بعده أحد رجال الدين يحثهم على الجهاد فى سبيل رفع الظلم عن الشعب اليمنى ، ثم من اقتنع يسجل اسمه فى قائمة المغادرين البلاد فى طريقهم الى جبال اليمن .

بعد اغتيال الاخوان المسلمين ، كما تحدثت لك فى رسالتى السابقة ، أفرجت الحكومة عن كافة الشيوعيين المصريين ، يومها قيل للرئيس جمال عبد الناصر ، ان الشيوعيين متآمرون ولن ينسوا ما حدث لهم فى السجون من تعذيب ، وقد يتآمرون عليك ، وسيعملون من تحت الأرض كعهودهم السابقة ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يريد الافراج عن الشيوعيين ارضاء للكرملن ، وكان رد الرئيس جمال عبد الناصر على تخوفات المسؤولين من الافراج عن الشيوعيين :

— أنا أعرفهم جيدا ، أنا سأخل كل تنظيماتهم بمصروفات يوم واحد فى اليمن ، سأشترى التجمعات الشيوعية المصرية بالمرتبات والمناصب ، وسوف تشهدون أنهم سيمثلون الطبقة البرجوازية فى مصر بعد شهور .

كان صادقا الرئيس جمال عبد الناصر فى توقعاته ، معظمهم انغمسوا فى متطلبات الحياة اليومية ، وتطلعاتهم الشخصية ، وانحصرت نشاطاتهم فى شقة انيقة فى حى راق ، وسيارة صغيرة وجلسة فى مقاهى الفنادق الممتازة ليتحدثوا عن البلوريتاريا ، وفائض القيمة ، والاستعمار الجديد ، وتكون رؤوسهم قد اثقلها الخمر والحديث فيذهبون الى منازلهم ، سعداء بهذه الحياة السهلة الرائعة .

ولكن ، مما لا شك فيه ، ان هناك جانب ضئيل منهم ما زال يؤمن بمبادئه ، يعمل من أجلها ، وهؤلاء فى طريقهم الى حيث الاخوان المسلمين الآن .

واحدث نكتة ، أن الشيوعيين فى الصحف أصدروا ملاحق تتحدث عن مؤامرة الاخوان المسلمين ، وانتشرت اشاعة قبل صدور هذه الملاحق تقول أن هناك جهازا سريا للاخوان لم يكتشف بعد ، وخاف الشيوعيون أن يوقعوا على المقالات التى تهاجم الاخوان المسلمين فى هذه الملاحق خوفا من الجهاز السرى الذى لم يكتشف بعد .

يبدو ان العلاقة بين مصر والسعودية قد وصلت الى نقطة اللاعودة ، ما زالت صحفنا تهاجم بعنف المملكة العربية السعودية ، ويبدو أن الطائرات المصرية مستمرة فى الهجوم على نجران ، وجيزان ، ويجد فى منطقة باب اللوق مكتب لرابطة أبناء الجنوب العربى ، أو حزب الرابطة ، وهذا الحزب خلال الفترة الماضية كان على علاقة حسنة مع المملكة العربية السعودية ، وهو يعمل على تحرير الجنوب العربى بالوسائل السلمية ، ويشرف فى القاهرة على تعليم أبناء الجنوب فى المدارس والمعاهد المصرية وقد داهمته المخابرات العامة ، وأخذت منه كافة الأوراق واغلقته الى الأبد .

ولكن .. رغم هذا .. رغم اغلاق هذا المكتب ، فان رئاسة الجمهورية ما زالت تقدم لزعماء هذا الحزب راتبهم بصفتهم لاجئين سياسيين رغم الاختلاف فكريا معهم .

وبمناسبة الاختلاف الفكرى ، فان المصريين يقولون ان الدين لله ومصر للأجانب ، من كثرة المخصصات الكبيرة لهؤلاء السياسيين ، والمقامرين ، وكان المرحوم الشاعر كامل الشناوى يقول ان لم يعجبك راتبك فى بلدك ، اشتم حكومتك ، واعمل نفسك ثوريا ناصريا ، واطلب اللجوء السياسى للقاهرة ، وسوف تقدم لك القاهرة التالى :

١ ـ راتب لا يقل عن ١٥٠ جنيها فى الشهر وهو راتب وكيل وزارة مصرى ، وسوف تحصل عليه حتى لو كنت صعلوكا ، وقد حصل عليه مذيع سورى تحت التمرين ـ مثلا ـ

٢ ـ شقة من الحراسة تطل على النيل ، او على الأقل فى الزمالك او جاردن سيتى .

٣ ـ تليفون مكالمته مجانية .

٤ ـ بطاقة عضوية فى أحسن نادى فى مصر وهو نادى الجزيرة .

٥ ـ سيارة بدون جمرك ، لانك لست مصريا .

٦ ـ كرسى مسائى فى كافتيريا سميراميس .

والدخول الى حياة اللاجئين السياسيين المترفة فى القاهرة لا تحتاج الى شروط كثيرة ، ليس مهما أن تكون مؤمنا بعبد الناصر ، وليس مهما ان تكونا مؤمنا بالثورة الناصرية والاشتراكية والوحدة ، المهم ان تسب نظام حكمك بشكل علنى ، وتصل الى القاهرة لترتفع من حضيض بلدك الى الارستقراطية المصرية .

وبعد أن تستقر فى مصر ، يمكنك أن تسب وتلعن هذا الشعب الذى يركب الأتوبيس من الشباك ، ويأكل الفول كل صباح ، ويقف فى طابور امام الجمعيات التعاونية ، ويشكرك اذا قدمت له سيجارة مستوردة .

زوجى ..

اذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟

تصور ، من هول ما اسمع ، من هول ما اقرأ فى الصحف العربية ، ومن هول ما أعلم عن انفاقاتنا فى اليمن وعلى صحف بيروت وغير بيروت ، اننى أريد أن اعيش داخل حدودى ، واشيد حضارة جديدة ، واقيم المصانع والمزارع فى سيناء والواحات الكثيرة التى لدينا ، واقيم مصر القوية الفتية التى كانت تسبق الحضارة الانسانية .

زوجى ..

المفروض أن اكون سعيدة ، فانا أملك سيارة ، وابنى فى مدرسة لا يطلب منى ان اشترى له كرسيا ليأخذه الى المدرسة ليجلس عليه ، فهو

فى مدرسة خاصة ، وأنت كونك من القوات المسلحة ، فلنـا دخل كبير ، وأسكن فى أرقى أحياء القاهرة رشـوة لك لحربك فى اليمن ، ولى حصانة كالحصانة البرلمانية لكونى زوجة مقاتل فى اليمن ولكن لدى احساس قاتل ، اننى سرقت كل هذا من الناس ، وهذا يؤلمنى .

ثم .. أسأل نفسى .. لو أن حرب اليمن ، حربا مقنعـة ، هل كانت الحكومة قدمت لك كل هذه الرشوة ؟

وبالمناسبة ، بمناسـبة الرشوة ، أرجو أن ترسل ورق حائط لزوم الديكور لشقة جاردن سيتى ، والثلاجة التى وعدتنى بها ، والمكنسة ، وكل اختراعات النصف الثانى من القرن العشرين ، فأنا اكاد ان أراه فى سوق صنعاء الضيق القذر .

وحدى .. ومن رسائلك ارى اليمن .

وحدى .. أعرف الحقيقة فى هذه البلاد البعيدة ..

وحدى .. أعرف أسباب التمزق الذى أصاب هذا المجتمع المتماسك.

وحدى .. أعرف حقيقة السلام المصلوب على جبال اليمن .

وحدى .. أعرف عدد الشـهداء .. ولون الدم .. ومصير التضحية والضحـايا .

وحدى .. مع وحيـدى .. أعرف كل شىء ولا استطيع ان ابوح .. والكل فى ملهاه .. والبـلاد تغوص .. وحرب لا حاجة لنا بها .. مهمـا قال المنظرون .

زوجى ..

لماذا لا تهتف معى .. ليسقط كل شىء .. ليسقط الظلم .. ولتسقط الامبراطوريات .. ولتحيا مصر .. مصر الثرية .. الثرية بترابهـا .. بحضارتها .. بعقولها .. بشعبها .. بكل ما وهبته العناية الالهية لها ..

اهتف معى .. واترك جبال اليمن .. وعد هنا الى معركة مقدسة .. معركتنا مع اسرائيل .. ومعركة اللحاق بحضارة القرن العشرين .. فنحن نجيد صناعة الحضارة والحب ، لا نجيد صناعة الكراهية والثأر ..

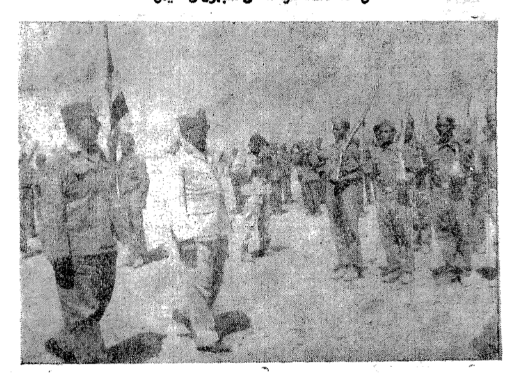
عد الى هذه الأرض الطيبـة .. لتغنى مع الفلاحين ، مع العمال ، مع شروق الشمس ، أغنية السلام والحضارة .. اغنية التقدم والعطاء .. اغنية لمصر .

زوجتـك



باب اليمن

من هنا دخلت قواتنا الى المجهول فى اليمن



المثنى السلال والفريق القاضى يستعرضان محاولة اقامة جيش يمنى



صنعاء : فى أبريل ١٩٦٧

زوجتى العزيزة ..

الآن فقط أستطيع أن اتنفس ، بعد سنوات من قتال غريب ، هنا هدوء نسبى على هذه الجبال اللعينة الجرداء ، وخلال هذا الهدوء أحاول أن أفهم اليمن ، ربما كان المفروض أن افهمها قبل ان ندخلها ، ولكن الاستعمار لم يترك لنا مجال الاختيار ..

اليمن .. سيظل اسمها يهز كيانى حتى الموت .

ففى اليمن كانت الرحلة الشاقة من الشك الى اليقين .

وفى اليمن ودعت المئات من الاصدقاء ورفاق السلاح .

وكانت اليمن ـ وستظل ـ الثقب الكبير فى الاقتصاد المصرى .

وفى اليمن قضيت أحلى سنوات شبابى بعيدا عن الأم والابن والزوجة.

قد تكون جبال اليمن جميلة ، قد تكون أرضها سخية ولكنى أراها ممزوجة بدم شبابنا ، أرى على كل قمة جبل عشرات الرؤوس المصرية التى فصلت عن جسدها بالخناجر .

زوجتى ..

لقد وعدتك أن احكى لك حكاية الجنوب العربى المحتل ، أو جنوب اليمن المحتل ، أو حربنا الثانية فى اليمن ، أو العملية صلاح الدين .

وقبل أن اتحدث معك عن حربنا الثانية فى اليمن ، أود ان اسجل لك اعجابى الشديد بثورة الجنوب ، واننا نقوم فقط بمساعدتهم ماليا وعسكريا ونادرا ما يذهب بعض أفراد قواتنا للحرب بجانبهم ، وحتى لو

ذهب بعض أفراد قواتنا للحرب معهم ، فهذه فى نطاق المساعدة والمشاركة ، ونقطة ثانية وأساسية انهم يحاربون الانجليز .

وحكاية الجنوب ، هى حكاية الخليج ، هى حكاية مصر ، باختصار هى حكاية العــرب والانجليز فى كل زمان ومــكان ، فانجلترا أرادت احتـــلال الجنوب لتأمين تجارتها مع الهند ، وتأمين مستعمراتها فى شرق افريقيا ، وفى سنة ١٨٣٩ دخلت القوات البريطانية فى معركة لم تدم أكثر من ثلاثة أيام مع أبناء سلطنة لحج ، واستولت عليهــــا وواصلت الزحف واحتلت ميناء عــدن .

منذ أكثر من مائة عام ، والقوات البريطانيـــة موجودة فى الجنوب ، تلعب لعبتها القذرة فى كل أنحــاء الجزيرة العربيـــة ، وعقدت اتفاقيات مضحكة ، أكثر منها اتفاقيات دوليـــة ، واتجهت الى تقسيم الجنوب الى سلطنات ، وكرست هذا التقسيم وعمقتـــه ، وخلقت الخلافات بين كل ســـلطنة وأخرى ، وألغت التعليم ، ونسفت الطرق .. المهم أصبح من السهل عليها السيطرة على هذه الأقاليم المنفصلة ، وظلت هادئة أحيانا ، منسية أحيانا أخرى ، محرمة على العرب ، نهبا للهنود واليهود .

واستمر الموقف حتى عام ١٩٥٢ ، عندما قامت ثورة يوليو فى مصر ، وألهبت هذه الثــورة الشعور الوطنى فى كل أنحاء الأمة العربيـــة بما فى ذلك الجنــوب .

وفى مارس ١٩٥٦ قامت منظمة سياسية عربية وطنية هى رابطـــة الجنوب العربى ، وتضم هذه الرابطة كل الاتجاهات السياسية التى بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، وتنضج بعد حرب فلسطين وتثور بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ واعلنت المطالب السياسية لشعب الجنوب وهى :

١ ـ الاعلان بوجـــود دولة اتحـــادية مستقلة ذات ســـيادة من عــدن ومحمياتهــــا .

٢ ـ التأكيــــد بأن عــدن هى جزء لا يتجزأ من الجنوب العربى لا يمكن فصلها عنه أو عزلها عنه .

٣ ـ الاعلان بأن جميع معاهدات الحمــــاية ومعاهدات الاستشـــارة غير مشروعة ولا قانونية ، وعليه فانها جميعا باطلة بطلانا مطلقــا ويجب الغاؤها وانهاؤها .

٤ ــ ان السيادة على البلاد حق من حقوق الشعب ويجب انتقالها اليــه باعتباره مصدر السلطات .

٥ ــ يجب اقامة مجلس تأسيسي منتخب من قبل الشعب انتخابا مباشرا يتولى وضع دستور للبلاد وتصفية الوضع السائد فيها .

٦ ــ سيكون هذا المجلس للرؤساء وتكون الرئاسة فيه دورية بينهم .

٧ ــ ان البترول وجميع الموارد الطبيعية الأخرى فى المنطقة ملك للشعب ولا يجوز التصرف فيها أو التنازل عنها قبل انتقال السيادة اليه ، وأى اتفاق أو امتياز يخالف ذلك لا يعتبر مشروعا أو قانونيا ويكون عرضــة للالغــاء .

وبدات بريطانيا تقاوم هذه المطالب ، أو هذه اللهجة الجـديدة ، وتم الاصطدام بين الرابطـة والانجليز ، وتم نفى رئيس الرابطـة وهو شــاب خريج الازهر الشريف واسمه محمد على الجفرى ، ثم اعتقلوا شـــقيقه عبد الله ونفوه فى جزيرة سقطرة لمدة ستة اشـــهر وأخيرا أخرجــوه من البلاد ، واختاروا جميعا القاهرة مقرا لهم وفتحت القاهرة لهم ذراعيها ، وأقامت لهم مكتبا سياسيا فى منطقة باب اللوق ، ومنحتهم بعثات دراسية فى مختلف المدارس والكليات لأبناء الجنوب ، واستمر الوضع هكذا حتى قامت ثورة اليمن . وطلبت الأجهزة المصرية تقريرا من محمد الجفرى عن ثورة اليمن . كانت هذه هى وجهة نظره ودخلت اليمن وحدث ما حدث ، الا أن هناك حقيقة من الصعب على الانسان أن ينساها وسط الأحداث ، ان أبناء الجنوب من اليوم الأول لوصول القــوات المصرية لليمن ، تقدموا بأسلحتهم وبأموالهم وبأنفسهم للدفاع عن ثورة اليمن ، واشترك الكثير من ابناء الجنوب فى حماية ثورة الشمال ، واشتركوا فى معـــارك عسكرية ، واستشهد منهم عشرات ، وكانوا يقاتلون ثم يعودون الى جبالهم فى الجنوب .

كان معظم هؤلاء الرجال من جبال ردفان المتاخمــة لليمن الشمالى ، ولم يروق للحاكم البريطانى هذا التصرف من هؤلاء الرجال ، فأصدر بيانا يطالب بتسليم السلاح لمعسكرات القوات البريطانية ، ورفض الرجال أمر الحاكم العسكرى البريطانى الا ان ارسل القوات الجوية لتدك معاقلهم ..

وقابل الرجال هذه الغارات بتحدى عظيم .. وكانت هذه الشرارة فى ثورة الجنوب العربى ، وبداية نشاط العملية صلاح الدين .

تشكلت فى القيـــادة المصرية فى صنعاء فرع لقيـــادة ثورة الجنوب او العملية صلاح الدين ، واتخذت من مدينة تعز مقرا لها ، وكانت مهمة هذه القيـــادة هى :

١ ـ تدريب أبناء الجنوب على استعمال الأسلحة الحديثة .

٢ ـ وضع الخطط العسكرية لعملياتهم فى الجنوب .

٣ ـ تقديم العون المالى اللازم لاستمرار الثورة .

٤ ـ تقديم المعلومات للثوار عن تحركات القوات البريطانية .

وامتد عمل العملية صلاح الدين ، حيث اصبحت قيادة مستقلة تتبع رئاسة الجمهورية فى القاهرة ، ويشرف عليها رجال من المخابرات العـــامة والمخابرات الحربية .

وامتد نشاط الثورة من جبال ردفان الى بعشـــة مناطق الجنوب الى داخل عدن نفسها ، واستطاعت ثورة الجنوب أن تقلق الوجود البريطانى فى الجنوب العربى ، وما زالت تضربه بعنف على الجبال وفى عدن نفسها .

قام بهذه الثورة الثوار .. وبدأ السياسيون يتلمسون قيادتها ، وفى تعز جاء اليها رجال الأحزاب ليكونوا « الجبهـــة الوطنية لتحرير الجنوب المحتل » وتتكون هذه الجبهة من حزب الرابطة ، ومن الجبهة القوميـــة التابعة لحركة القوميين العرب ، ومن جبهة التحرير التى يرأسها عبـــد القـــوى مكاوى رئيس المجلس التشريعى العـــدنى الذى اعلن ثورته على الوجود البريطانى وقدم استقالته ولجأ الى القاهرة ثم الى اليمن وقدمت العملية صلاح الدين مساعدات مالية وعسكرية طائلة للجبهات هذه ، ولكن اكثر الجبهات تمردا على القيادة لعملية صلاح الدين هى قيادة الجبهـــة القومية والتى يقودها قحطان الشعبى .

وانسلخت الرابطة من هذا التجمـــع ، وآثرت الكفـــاح السياسى ، واتخذت من المملكة العربية السعودية مقرا لها ، مما أدى بالقيادة العربية الى الغاء وجودها فى القاهرة .

ولقد علمت من قيادة العملية صلاح الدين أن السبب الأساسى فى تمرد قحطان الشعبى وجماعته انه استطاع أن يجرى اتصالا بالانجليز وعرضـــوا عليه أن يسلموه حكم الجنوب ، ولقد سألت الضابط الذى أخبرنى بذلك فقـــال :



اجتمع بنا السيد انور السادات أكثر من مرة محاولا تخفيف الاعباء النفسية التى حدثت لنا فى اليمن ..



— حزب الرابطة لا يثق فيه الانجليز ، لأنه لو استلم الحكم ، فسوف يترك للسعودية نفوذا كبيرا في الجنوب وقد يؤدى باستقرار المنطقة والانجليز يرفضون استقرارها ، وجبهة التحرير ستمكن النفوذ الناصرى من الجنوب وهذا هو الخطر الحقيقى على المصالح البريطانية فى الجنوب وعمان والخليج ، تبقى الجبهة القومية وهى التى يعدها الانجليز لتسليم مهام الحكم بعد الرحيل ، فسيؤدى حكمها الى خلافات مع اليمن سواء كانت مصر موجودة أو غير موجودة ، وخلافات مع المملكة العربية السعودية ، مما يجعل المنطقة دائما غير مستقرة ومستنفذة ومستنزفة .

سألت الضابط :

— ولكن مصر موجودة فى اليمن ، ولها تأثير عظيم فى الجنوب ، اشك ان بريطانيا تتمكن من القيام بهذه اللعبة .

— مصر لا بد وأن تخرج من اليمن قبل عام ١٩٦٨ ، أى ان مصر سوف تخرج من اليمن قبل خروج الانجليز من الجنوب ، حتى يمكن للانجليز رسم الخريطة السياسية قبل الرحيل .

وسألت الضابط :

— وكيف الخروج ؟ ..

وسكت زميلى فى اليمن .. وقال :

— آه .. هذه هى المشكلة .. كل ما أتمناه أن نخرج سالمين من هذه الحرب اللعينة ..

هذه — زوجتى — باختصار شديد حكاية ثورة الجنوب ، ولا ادرى مدى صحة اخبار زميلى .. ومن سيحكم الجنوب .. وهل حقا سنخرج من اليمن .

الا اننى اشك فى معلومات زميلى ، فان المشير عامر قال اننا نستطيع ان نبقى فى اليمن عشرين عاما ..

لا أدرى من اكثر معرفة ، هذا الضابط الصغير ، أو القائد العام للقوات المسلحة . ولكن كل ما يهمنى أن نخرج من اليمن .

والى اللقاء .

زوجك



الرسالة العاشرة

القـاهرة : فى مايو ١٩٦٧ م

زوجى العزيز ..

هل تذكر قصة اناتول فرانس « تاييس » قصة راهب أسيوط الذى ذهب لغانية الاسكندرية تاييس يطالبها بدخول الدير ، وبعد أن تمكن من اقناعها بالتدين اصيب هو بالانحلال ..

لا أدرى لماذا تذكرت هذه القصة وانا اتابع بشغف شديد ، واعجاب اشد ، وحماس منقطع النظير لما يحدث هنا فى القاهرة .

اشعر ـ يا زوجى العزيز ـ ان آمالنا سوف تتحقق ، ونلقى خلال أيام باسرائيل فى البحر ، وينتهى ربع قرن من الآلام .

اسرائيل حشدت قواتها على حدودها مع سوريا ، وهددت باحتلال دمشق ، ولم يكن لدينا اى قوات فى سيناء ، كما لم يكن لدينا قوات فى سوريا ، كل ما أعلمه أن لدينا قوات فى العراق .

واتخذ الرئيس جمال عبد النـاصر عدة قرارات مصيرية هى أعظم ما اتخذ من قرارات ، قرر الهجوم على اسرائيل .

وكم كان بودى ولو مرة واحدة ان نبدأ بالهجوم ، مرة واحدة نضرب مدن اسرائيل ، مرة واحدة ننقل المعركة داخل الأرض المحتلة ، مرة واحدة نباغتهم ، مرة واحدة نعتدى عليهم . كم بودى اسمع كلمة المعتدين المصريين ، لا يهم صحة التعبير فى قاموس العلوم السياسية ولكن المهم ان نضربهم ، نعتدى عليهم ، ونثأر منهم ونذيقهم الذل والهوان كما اذاقونا .

كم انا سعيدة وانا اسمع فى الصباح الباكر على مقربة من بيتى ومن السفارة البريطانية فى القاهرة أصوات الدبابات وهى تسير على الكورنيش فى طريقها الى سيناء لتضرب لأول مرة فى الأرض المحتلة ، كم انا سعيدة

وانا اشــاهد على شاشــة التليفزيون قواتنا وهى تعبر قنــاة السويس فى طريقها الى سيناء للهجوم على اسرائيل .

كما انا سعيدة ، بل فى غاية السعادة ، وانا اشهد الرئيس جمــال عبد الناصر وهو يهدد بقوة هذه الحشرات التى تحتل فلسطين .

انت تعلم اننى منذ الوهلة الأولى وانا ضد الحرب فى اليمن ، ولكنى مع زعيم الأمة العربية فى معركة المصير القومية ، فى معركته مع العــدو الاسرائيلى .

ونحن الآن فى عام ١٩٦٧ ، أى انه مضى على ثورة يوليو خمسة عشر عاما ، كنت ارى اى انجاز لها بسيطا ، وأن الانجاز العظيم هو القضاء على **اسرائيل ، لأنها دائما تهدد أمننا ، وسلامنا ، واقتصــــادنا ، وكنت أشعر** بحسرة شديدة لعدم تكريس جهودنا فى هذا الاتجاه ، بل وعدم التحالف مع الشيطان لبتر هذا السرطان المسمى اسرائيل .

لن أطيل عليك فى سرد الأحداث هنا ، فانك بالتأكيد تسمعها من صوت العرب ، والقاهرة ولندن وكل مكان فى الدنيا ، أن صحف العالم تتحــدث عن الحشد العسكرى المصرى الهائل فى سيناء .

ان صوت العرب يذيع كل يوم تحرك قوات عربية باتجاه مصر وسوريا والاردن ان القوات العراقية كما يقول راديو صوت العــرب اقتربت من المنطقــة « أتش ثرى » أو « هـ ٣ » ، والقوات السعودية بدأت تتحــرك وقوات الجزائر فى طريقها الى مصر .

ومصر الآن كأنها فى فـــرح ، ونسيت جراح اليمن ، نسيت الأزمــة الاقتصادية ، نسيت السجون والمعتقلات ، نسيت كل شىء بانتظار بداية الهجوم .

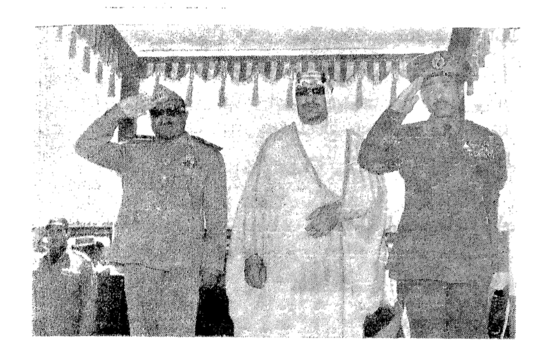
انى أعتذر لك عن كل كلمة قلتها فى حق الرئيس جمال عبد الناصر ، لانى وسط الأحداث المتلاحقة فى القاهرة أشعر بأن على يديه سيكون تحرير فلسطين خلال هذا الشهر أو خلال هذه الأسابيع ، بعدها نجنى ثمار العذاب والأزمات والكبت والاعتقــال ، على يديه ســندخل يافا وحيفــا وتل أبيب .

كم كان بودى أن تكون مع هؤلاء الرجال الذين ذهبوا الى سيناء لمقاتلة هذا العدو الحقيقى الغادر ، كم كان بودى أن تكون هناك ، ليظل ابنك فخورا بأنك اشتركت فى معركة تحرير فلسطين .

سأتركك الآن لأتابع من شاشة التليفزيون قواتنا وهى فى الطريق الى سيناء ، بل وهى فى قلب سيناء وغدا سأتابع هذه القوات وهى فى قلب تل ابيب ، وارى الاسرائيليين يركضون خوفا أمام هذا الحشـــد الهائل من السلاح والعتاد والبشر ..

والى اللقاء فى تل أبيب .. أو يافا .. أوحيفا .. الى اللقاء فى فلسطين العربية الحرة .

زوجتك



الملك السابق سعود والمشير عامر والرئيس السلال فى صنعاء



سعود والسلال فى شوارع صنعاء



صنعاء فى ٣٠ مايو ١٩٦٧

زوجتى ..

عاتب عليك من اقسى رسالة تصلنى وانا اشهد مأساة قريبة منك .

أن مصر تغرق ـ جماهيرها تهلل لغرقها ، لانى بعيد عن الصورة ارى بلادى تغوص ولا أحد يملك أن يمد يده اليها ، هل كمين ندخله بأرجلنا ونحن نعرف أنه كمين ، ان كل أركان الكمين واضحة .. فاسرائيل ستضرب خلال أيام فى فرصة ذهبية لن تتكرر لها ، ان الصورة من صنعاء البعيدة أوضح بكثير من الصورة الموجودة فى القاهرة ، ان الزعيم قد حسب حسابات خاطئة ، وخاطئة جدا ، اننى أتصور انه يقوم بخديعة كبرى مستخدما بقايا القوات المسلحة الموجودة فى مصر ، وانه يتصور أن اسرائيل ستشرب الخديعة وينتصر الزعيم .

ان حسابات الزعيم كالآتى :

يخرج القوات من اليمن بشكل مشرف لأنها فى الطريق الى قتال اليهود .

تخشى اسرائيل القوات العددية الضخمة التى تحشد فى سيناء سواء كانت من المعدات او الأفراد ، والدليل على ذلك ما معنى حشد قوات لم تتدرب على الحرب .

حملة نفسية على اسرائيل بأن الضربة المصرية ستكون قاضية ، وانه لن يترك حجرا على حجر ..

لقد سمعت اذاعة صوت العرب وهى تصف دخول القوات الى سيناء ، لسنا ـ زوجتى ـ فى عرض عسكرى تدخل فيه القوات الهاجمة بالطبول وعدسات التصوير .

لقد سمعت خبرا أكد لى ما بنيته ، انه يشن حربا نفسية فقط ، لقد استدعى من لبنان السيد صائب سلام ، لكى يخبره بخططه العسكرية ، وصائب

سلام ليس رئيس وزراء لبنان حتى يشاركه فى الخطط واذاع صوت العرب المقابلة خمس مرات ، والهدف منها أن صائب بك كثير الكلام ، وان هذا الكلام سيقوله صائب سلام فى بيروت وسيصل بشكل أو بآخر الى المخابرات الأمريكية ومنها الى المخابرات الاسرائيلية ، وكلها حرب نفسية
لقد بدأت رسالتى بقولى أن اسرائيل ستشن هجوما ، لماذا ؟

أولا : القوة المقاتلة الحقيقية من البشر موجودة الآن فى اليمن ، وهذه القوات حتى لو امكن نقلها فى حاجة الى « استراحة » لتواصل القتال فى ظروف مختلفة .

ثانيا : مصر فى حالة اقتصادية لا تسمح لها بحرب عدة أيام .

ثالثا : ان اسرائيل تعتبر الاجراءات الآتية هى اعلان حرب :

١ ــ اغلاق **خليج لعقبة** .

٢ ــ اتفاقية الدفاع المشترك بين الأردن ومصر .

٣ ــ دخول قوات عربية الضفة الغربية .

٤ ــ زيادة النشاط الفدائى فى الأرض المحتلة .

٥ ــ سحب قوات الطوارىء الدولية .

٦ ــ ادخال قوات عسكرية فى سيناء .

٧ ــ ادخال قوات ثقيلة فى قطاع غزة .

لقد علموا جنودهم ان حالة واحدة من كل هذه الحالات تصبح تنفيذها اعلان حرب وتصبح اسرائيل فى وضع الدفاع عن البقاء ، هكذا علموا جنودهم ، ولكى يدافعوا عن بقائهم لا بد وان يشنوا حربا ، ولا يوجد أحسن من هذه الفرصة .

زوجتى ..

القوات المقاتلة هنا ، القوات التى لا تستطيع أن تواجه اليهود هنا على هذه الجبال اللعينة ، وفى هذه المدن التعيسة ، اننى أتمزق كل لحظة ، ان مكانى ليس هنا أن مكانى فى سيناء ، حيث أعرف كل حبة رمل فيها كل خندق ، وكل ممر والحشد الهائل لا يعرف كما أعرف ، ولم يتدرب كما تدربت ، هل أمتلك الشارع السياسة ومصير الأمم . آه زوجتى .. هل تذكرين اول رسالة ، عندما قلت لك أن الطريق الى فلسطين لا بد وأن يمر فى صنعاء ، كنت متحمسا فقط ، وأخشى أن تكون الهزيمة لابد

وأن تمر فى صنعاء . ان رجال أكفاء من القوات المسلحة المصرية قالوا لحرب اليمن لا ، هؤلاء الرجال هم الذين يستطيعون قيادة الحرب ضد العدو الاسرائيلى ، هم الذين يستطيعون التعامل معه ، اين هم الآن ؟ هم فى المؤسسات المدنية أو فى البيوت ، وربما فى السجون .

سأخبرك بعدة اسرار .. هذه الأسرار هى مقدمة لنتائج الحرب التى سوف تشنها اسرائيل ..

١ ـ لأن المقاتل المصرى يقاتل فى اليمن ، ولانه بعد شهور طويلة بدأ يسأل نفسه لماذا أقاتل فى اليمن ؟ ولم يجد القضية التى تقنعه ، ولم يجد المبادىء التى يدافع عنها ، وخافت القيادة فبدأ الاغراء المادى ، سواء فى البدلات الكثيرة ، او فى الاعفاءات الجمركية ، او فى التسهيلات الحكومية كقضية الشقق والسيارات ، كل هذا جعلت من المقاتل المصرى فى اليمن « تاجر » ومن يرفض هذا ، فانه يخرج من الجيش فأصبح القتال صناعة ، وانتشر هذا المرض الخطير فى صفوف الكثير من الأفراد .ولكن عليه بين لحظة وأخرى أن يحارب فى سبيل المبادىء والوطن ، وهذه تحتاج الى وقفة أطول وهذه واحدة من أمراض وجودنا فى اليمن .

٢ ـ المقاتل المصرى . من طول البقاء فى اليمن ، اصبح بطىء الحركة ، فهو اما على قمة جبل ، أو فى تنفيذ سياسة النفس الطويل ، بعد **الأيام والأموال ، ولذلك فلقد فقد رشاقته القتالية من طول البقاء .. وهذا هو المرض الثانى من أمراض اليمن .**

٣ ـ المقاتل المصرى من طول البقاء فى اليمن لم يرى سيناء ، أو نسى سيناء وأصبح معظم فترة قتاله على هذه الجبال اللعينة ، وسوف يحارب على مسرح عمليات مختلف تماما يجهل طبيعته وهذا هو المرض الثالث لوجود قواتنا فى اليمن ..

٤ ـ المقاتل المصرى ، فى قتاله فى جبال اليمن ، تعود على مواجهة عدو يحاربه بشكل غير علمى ، شكل اشبه منه بحرب العصابات عن الحرب النظامية ، فقد اسس الحرب الحديثة ، وهذه كارثة رابعة بسبب وجودنا فى اليمن .

٥ ـ المقاتل المصرى من طول وجوده فى اليمن لم يعد يخشى السماء ، فالسماء فى اليمن لا يطير فيها الا الطيران المصرى ، ولا توجد طائرات عدوه .. فهو قد تعود على القتال فى حماية طائراته ، ومسرح العمليات فى سيناء يختلف تماما ، وهذه كارثة خامسة لوجودنا فى اليمن .

٦ ـ الطيار المصرى تعود على السماء المفتوحة ، والسماء فى سيناء لن تكون مسرحا للطائرات المصرية وحدها .. ستكون هناك الطائرات الاسرائيلية ، وهذه كارثة سادسة بسبب الوجود العسكرى المصرى فى اليمن .

٧ ـ وهناك ما هو اخطر وامر ورغم انه سر من الأسرار ولكننى أقوله لك وحدك ..

منذ عامين ، كنا نتحدث عن وجودنا فى اليمن ، وقال احدنا اننا قد نسينا لماذا نحن افراد فى القوات المسلحة ، أن هذه القوات قد أعدت للعدو واحد هو اسرائيل ، ولكن اسرائيل ـ والحديث للزملاء ـ اصبحت بشكل أو بآخر ابعد الأعداء ، لو فتحنا جريدة ، او سمعنا اذاعة، لشعرنا أن تكثيف حملة الكراهية الاعلامية ، لوجدناها لا تذكر اسرائيل ، وكأن اسرائيل اختفت ، أو نسيناها ، وسألته عن التدريبات فى مصر ، والاستعداد لأى حرب قادمة مع اسرائيل ، فاخبرنى بما أحزننى ، اخبرنى انه تقدم بمشروع للقيادة العامة يقتضى بالتدريب على معركة دبابات فى ظل الأسلحة المساعدة ، معركة دبابات صحراوية ، « والمشروع » هو حرب صغيرة ، تقسم القوات الى قسمين ، ويضع كل قسم خطة ، ويبدا تنفيذها، ويستغرق المشروع ربما اسبوعا ، أو شهرا ، حسب تقدير القائد . وقبل بداية المشروع يقدم كشفا بالمطلوب .

* بنزين ودبابات كذا .
● هياكل خشبية كذا ..
* ذخيرة نوع كذا وكميتها .
● لاسلكى ، واسلاك هاتفية ..
* شئون ادارية .. الى آخر ما تتطلبه المعركة .. ثم يصدق على المشروع ويقوم بصرف المطلوب ويبدا التدريب .

وتقدم صديقى بالمشروع للتدريب لمدة شهر ، فقالت القيادة ، اختصر المشروع لمدة أقل ولتكن أسبوعين حيث اننا نقوم « بتشوين » الذخيرة والبنزين فى اليمن ، ولا يوجد ما يكفى لهذا المشروع ، واختصره صديقى واصبح المشروع لمدة أسبوعين ، وجاء قرار القيادة بالاختصار لمدة أسبوع واحد لنفس الأسباب السابقة ، ثم اختصره لمدة أسبوع ، واعتذرت القيادة بسبب القتال الموجود فى اليمن .

كارثة الكوارث ، القوات لا تتدرب على قتال العدو الاسرائيلى ، بسبب وجودنا فى اليمن .

ومعنى ذلك أن لدينا آلاف الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من دبابة ، بينما هم طاقم الدبابة ، والسبب اننا فى اليمن .

ومعنى ذلك أن لدينا آلاف من الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من المدافع، وهم من طاقم هذه المدافع ..

آه .. لقد كان جيشنا مشهور بالتدريب على القتال ، أصبح الآن غير مدرب لخوض القتال مع العدو يا للكارثة ..

زوجتى ..

منذ يومين ذهبت الى ميناء الحديدة ، لأودع قوات مصرية فى طريقها الى جبل الطور ، ومنها الى مواقع تدخلها لأول مرة فى سيناء ، كان الرجال سعداء بالرحيل ، من اليمن رغم الاغراءات التى تحدثت معك عنها سعداء بأنهم سيقاتلون العدو الحقيقى ، وكان قلبى معهم ، فانى أتصور حجمهم كالجيش الرومانى ينتقل من مكان لآخر ، لأن الجنود لا بد أن يقاتلوا لأى شئ ، بحيث لا يهدأ أحد فيهم ، ولكنهم هذه المرة ذاهبون لقتال ضد العدو الحقيقى ، وفى سبيل قضية مقدسة . كانوا يقولون لى ، هناك معنى للانتصار ، هناك على رمال سيناء سنحقق النصر .

أملى أن يحققوا النصر ، أملى أن تكون حساباتى أنا الخاطئة ، أملى أن يشربوا من دماء اليهود انتقاما لسنوات مريرة معهم ، انتقاما من حرب ١٩٤ ، انتقاما لشهداء دير ياسين ، انتقاما لمذبحة ١٩٥٥ ، انتقاما لشهداء غزة .

أملى فى هؤلاء الرجال كبير .. ربما انتصروا .. رغم ما سبق أن ذكرته ..

زوجتى ..

لا ادرى كيف يحدث هذا كيف يزج بهؤلاء الرجال فى معركة لم نستعد لها ولم يستعد لها الرجال ، وكيف يتصور الزعيم ان اسرائيل لن تضرب بعد كل هذه الاجراءات واذ كان الحشد المصرى بسبب الحشود الاسرائيلية على سوريا ، كان عليه أولا أن يسحب القوات الحقيقية ، وهى القوات

الموجودة فى اليمن لأن هذه القوات رغم كل ما سبق تستطيع القتال ، لأنها على الأقل تعرف أين الزناد فى كل سلاح .

زوجتى ..

أرجو الدعاء .. أن ينتصر هؤلاء الرجال .. فان هناك معركة لا محالة .. وكم بودى ان يبداوها أن ما سبق فى العرف العسكرى هو هجوم ، ولم يبق الا الضغط على الزناد ، حتى يمكن ارباك صفوف العدو بدلا من أن نتركه يجمع قواه ، وينفذ ما تدرب عليه منذ سنوات ..

قلبى مع جيش مصر فى سيناء .

قلبى مع شعب مصر فى أرض الكنانة ..

زوجك



الرسالة الحادية عشر

القاهرة فى ٣٠ يونيو الحزين

زوجى العزيز ..

غرقت السفينة ، وحصدنا الحنظل ، وانتظرنا السراب ، وقدمنا الضحايا للدراويش والمشعوذين وعدنا الى الوراء عشرات السنين ، والهزيمة تلاحقنا فى كل مكان ، فى أعين الشامتين ، واصبحنا اضحوكة وهدم البناء .. هل تعلم لماذا هدم ، ومرة واحدة ، لانه بناء من ورق ، بلا أساس ولا حماية . الشعب فى الشوارع يبكى ، كل شىء يبكى شهداء اليمن ، يبكى خمسة عشر عاما من عمره لم يذق طعم السعادة وكان فى انتظار مذاقها ، يبكى شهداء سيناء ، يبكى الفقر والجوع والعطش .. يبكى وله الحق فى البكاء فان هناك ألف سبب وسبب يدمى العيون .

زوجى ..

رسالتك الأخيرة جاءت متأخرة هامسة ، صادقة ، مؤمنة ، ولكنها فى النهاية خائفة فلا نفع منها ولا ضرر .. لو تركوا لك الكلام قبل الكارثة .. ولغيرك .. ولى .. وللملايين من هذا الشعب المطحون بين كفتى الرحى ، لو تركونا نقول ، لو تركونا نعترض بلا سجن ، لو تركونا نقول بلا خوف ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركونا نقول لليمن : لا

لو تركونا نقول للفساد : لا

لو تركونا نقول للارهاب : لا

لو تركوا القانون ، لو تركوا الحرية ، لو تركوا لقمة العيش ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا العمالقة ، لو تركوا المفكرين ، لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا الهامات تعلو ، لو تركوا الآراء تنمو لما حدثت الكارثة ..

لو تركوا الجيش يحارب ، لو تركوه بلا انسحاب ، لما حدثت الكارثة ..

آه زوجى العزيز ..المقاتل الشهيد .. آه يا من فى اليمن فى مقدمة الكارثة .. وأنا هنا ، أعيش مأســاتى حتى العظم ، أشعر بالعار لعار لم ارتكبه ، أشعر بالغثيان عندما أعود لما رأيت .. هل تعلم ما رأيت ؟ .. لن تصدق ما رايت .. لنا جار مقاتل فى اليمن ،رسائله تأتى من صنعاء ،ويوم الاثنين الأسود من الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت المأســاة ، وكنا لا ندرى بالمأســاة ، كنا مع المذياع نتوغل فى الأراضى المحتلة ، ونسـقط طائرات الميراج وصحونا فى صباح اليوم السادس من يونيو على أمر لا يصدقه عقل ، جارنا عائد من سيناء ويقول أنه وصل اليها من صنعاء قبل الحرب بيوم واحد ، وان القتال بدأ من الجانب الاسرائيلى ، وأوامر الانسـحاب جاءت من الجانب المصرى للجيش المصرى ، وانهم ينسحبون من سيناء فى الطريق الى القاهرة . كاذب أيها الجـار العزيز ، المذياع يصـدر بلاغات عسكرية غير التى تقول عنها ، نحن نتوغل فى الأرض المحتلة ، العدو يركض كالفئران امامنا ، طائراته تسقط كالورق أمام طائراتنا ، كاذب أيها الجار الهارب من القتال ، جبان أيها الجار فلقد عدت هربا وجئت تدب اليأس فى نفوسنا .. لا .. كاذب أنت ..

وسكت الجار .. زوجى العزيز — وقال لى بأسى ما بعـده أسى .. بصوت أشنع من البكاء وأقسى من الأنين .

قواتنا تتجمع غرب القناة .

وخرجت الى الشارع .. كنت كالمجنونة وسـط العقـلاء ، أو عاقلة وسط مجانين ، الناس سعداء بانتصارات المذياع ، وانا أبحث عن سيارة توصلنى الى أى مكان من القناة .. لتصورى أنك بين الذين نقلوا من صنعاء الى سيناء وانسحبوا غرب القناة .. وركبت تاكسى وقلت له الى القنـاة .. وسألنى أى مدينة .. قلت أقربهم .. وكانت الاسماعيلية ، لم يعترضنى أحد فى الطريق .. وفى الاسماعيلية كانت المأساة حية .. الجيش المنسحب من سيناء .. آلاف من الجنود والضباط على ضـفة القنـاة .. طائرات اسرائيل تمرح فى سـماء الاسماعيلية .. عشرات الجرحى تحت أشجـار المانجو والصفصاف .. وبدأت اسأل كل من أقابله ..

● هل كنت فى اليمن ..

— نعم ..

● هل تعرف زوجى ..

— نعم ..

● هل هو فى سيناء ..

— ربما ..

● هل هو فى صنعاء ..

— ربما ..

● هل استشهد ..

— ربما ..

● هل انتصر ..

— لا ياسيدتى ..

وسألت آخر ..

● هل أنت من قوات اليمن ؟

— لعن الله أيام اليمن ..

● متى تركت اليمن ؟

— منذ عامين ..

● هل تعرف زوجى ؟

— نعم ..

● هل كان معكم فى سيناء ..

— لا .. زوجك على ما أعتقد من المؤمنين بحرب اليمن ، ولذلك اما رجلا مهما ، أو انه على الجبال فى اليمن .

وسألت ثالث .. من الذين قاتلوا فى اليمن وقال :

— وكنت مع زوجك فى اليمن .. منذ اسبوع أو اقل وكان الرجل يتحدث معى كالمجنون لسببين ، أننا ندخل حربا بلا استعداد ، وانه فى اليمن لا يشاركنا مواجهة العـدو ، زوجك سـيدتى محظوظ ، فلو أنه جاء لفقد حياته ، أو فقد بقية عقله ، لقد نزلنا فى ميناء الطور ، جنودى

لا يعرفون شيئا عن سيناء ، وقيادة الجبهة لا تعرف أين موقعنا ولا المهام القتالية التى سنقوم بها ، ان التدريب يكون أكثر تنظيما مما نحن فيه ، وبعد اتصالات وصلنا الى احد المواقع المتقدمة فى سيناء ، وكان ذلك مساء يوم الرابع من يونيو ، وقضينا الليل بلا عمل ، لأننا كنا فى حالة التعب والاجهاد وفى الصباح صدر لنا أمر الانسحاب ، ولم نكن ندرى لماذا الانسحاب ؟ فلا قتال حدث ، وبعدى عن الأخبار جعلنى اقبل الأمر بلا تفكير ، وكانت لدى قناعة دائمة أن القيادة فى مصر تفكر أحسن منى بكثير ، وبدأ الانسحاب المنظم للتجمع غرب القناة ، وفى الطريق بدأت الطائرات الاسرائيلية تنقض على القوات ، وكانت هذه القوات قد نسيت تماما الاصغاء للطائرات أو مواجهتها ، واصبنا بالذعر ، ومات من مات ، وهرب من هرب ، ودبت الفوضى فى القوات ، وتفرقنا ، وتركنا قتلانا .. وصل من وصل الى غرب القناة .

● والعدو .. اين كان ؟

ـــ العدو .. ربما فى القاهرة ؟

ـــ اليهود اقصد ؟

ـــ لم نراهم .. لم نواجههم .. كان قرار الانسحاب لصالحهم ..

كنا نترقب لحظة اللقاء باليهود .. ولكن قبلها بثوان جاء أمر الانسحاب ..

زوجى العزيز ..

لقد قررت البقاء فى الاسماعيلية متطوعة لانقاذ آلاف الجرحى من الشباب ، وعشت فى هذه المدينة أسبوعا ، وغرقت مع الجنود ، كانوا يقولون ان هذه الهزيمة البشعة قد بدأت فى اليمن . واهتز النظام ، وكان يخشى من العائدين من جبهات القتال لكل جبهة قصة سواء كانت فى اليمن ، او فى سيناء ، وانتشر رجال المخابرات بين صفوف القوات المسلحة ، ولتصفية كل مشكوك فى ولائه مهما كان مقاتلا عظيما أو غير عظيم ، ان الأوامر صدرت بمنع عودة هؤلاء الرجال الى داخل مصر ، حتى الجرحى لا يجدون الطريق الى مستشفيات القاهرة ، هنا الجرحى فى رعاية بيوت سكان الاسماعيلية .

زوجي ..

الهزيمة كبيرة .. أكبر من أن يتحملها هــذا الشعب .. والقوات المسلحــة والتى تلصق بهــا نتيجة الهزيمــة هى بريئة من الهزيمــة .. لقد بدأت الهزيمة فى اليمن .. وانتهت بقرار الانسحاب ..

بودي ان انشر رسالتك الأخيرة لي على الناس ، وأقول لهم أن هزيمتنا بدأت فى صنعاء وانتهت فى سيناء ..

زوجتك الحزينة



بداية العودة : جندى يمنى من الجنوب يودع شقيقه المصرى الراحل الى الابد عن أرض اليمن



صنعاء فى اغسطس عام ١٩٦٧ م

زوجتى العزيزة ..

الحزن يكسو الوجوه ، وشـماتة تطل من العيون ، وهامات تقصر ، ونجتمع فى حلقات تستمر حتى الصباح نتحدث على ما أسميتوه فى القاهرة « بالنكسة » ولكنى أقول انها ليست نكسة ، بل وليست هزيمة ، بل هى ثمار لشجرة زرعناها وعلينا ان نحصد هذا الثمار .

كل شيء ممكن أن يقال ، ولكن علينا أن نعيد الفروع الى أصولها ، ونبحث عن أسباب النكسة ، ونقطع هذه الشجرة التى لا تثمر للشعب الا هزائم ..

يمكن أن يقال ان الهزيمة بدأت مع نهاية الحرية فى بلادى ، ففى غياب الحرية امتدت كل يد قوية الى الشعب لتخنقه فى الظلام ، وتحول شعب مصر الى « مسرح للعرائس » مشدودة بالأحبال ، يتحرك عندما يحركه غيره ، يضحك ، يحزن ، يغرد ، ولكن بالأحبال .

قد يقال أن الهزيمة بدأت مع سطوة المخابرات ، واجهزة القمع ، والحكم بالمزاج الشخصى ، وغياب المؤسسات الدستورية ، فتحول الشعب على مر السنوات الى جالية ، تقف فى الساحة ، ويقف امامها الزعيم ليتحدث ، وهم يصفقون .

قد يقال ان الهزيمة بدأت مع البلطجة السياسية فى مصر فلا يمكن لدولة تنتصر و زعيمها يقف أكثر من مرة يفاخر الشعب بأنه استطاع أن يعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة . أو أن يقول الزعيم ان المدين أقوى من الدائن ، وانه لن يدفع ما عليه من ديون لدولة ما .

قد يقال ان النكسة بدأت عندما ألقى بمصر بكل ثقلها الاقتصادى لخارج مصر ، حتى أعطت كل ما لديها ولم يبقى لها شيئا تدفع به الفقر والمرض والجهل ، فواجهت العدو وهى مريضة كسيحة لا تملك ما تدافع به عن نفسها .

ولكن اقول ، عن رؤية بالعين المجردة ، عن معرفة بأسرار رهيبة ، عن مشاهداتى فى تحويل المقاتل الى لا مقاتل ، الى أى شىء غير كونه مقاتلا اقول أن النكسة قد بدأت يوم ان قرر الرئيس جمال عبد الناصر ارسال قواته الى اليمن ، من هنا بدأت النكسة ، من هنا كان الطريق اليها معبدا جاهزا ، قواتنا فوق الجبال اللعينة فى اليمن ، والعدو فى صحراء النقب يتدرب على ضرب المطارات المصرية ، مخابراتنا تتعقب مرتزقة البدر فى روما ولندن وباريس ، ومخابرات العدو تتعقب الى أى مستوى عسكرى وصلت اليه قواتنا ، مخابراتنا واجهزة الأمن الداخلية تتعقب المصريين الذين يعارضون وجودنا فى اليمن ، ليزج بهم فى السجون ، ومخابرات العدو واجهزة أمنه تعمل على حماية اسرار خطط ونوايا الجيش الاسرائيلى نحن انشأنا — فى سبيل اليمن — أكثر من عدو ، وهم وضعوا فى اذهانهم عدو واحد ، فكان لابد أن يصلوا الى ما وصلوا اليه .

ساظل أقول ان هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ قد بدأت فى اليمن ، وستظل هذه قناعتى حتى الممات ، ان هذه القناعة مقرونة بالحقائق التى لا تقبل الشك ، كانت المعارضة — مثلا — فى مصر اشتدت لوجودنا فى اليمن وما ينتج عنه من أزمات اقتصادية وسياسية ونفسية فى مصر ، وكان يريد أن يخرج من اليمن بطلا ، وكانت هذه معادلة صعبة التحقيق والمنال ، ولكن خروج هذه القوات لمحاربة العدو الاسرائيلى تبدو منطقية أمام رجل الشارع فى الحمرا وساحة المرج والبرج ايضا ، وتخرج القوات وفى نفس الوقت تخشى اسرائيل الهجوم على مصر . ويكون حقق بذلك انتصارين ، خرج من اليمن بطلا ، وقام بحماية سوريا من الحشود الاسرائيلية ولم يحارب .

نحن الآن نستعد للعودة الحزينة ، العودة فى الظلام كما سافرنا فى الظلام ، ولا أدرى كيف تكون العودة ، كيف يمكن نقل أكثر من خمسين الف مقاتل الى بلادهم ، وهل يتم النقل بالطائرات ، ام بالبحر ، وأذا كان بالبحر فان كافة الموانىء على البحر الأحمر مهددة بنيران العدو الاسرائيلى ،

زوجتي ..

اقسم لك ان هؤلاء الرجال لن يتركوا الزعيم بلا حساب ، فحتى اذا انتصرنا بقيادته لن نتركه بلا حساب ، واذا هزمنا مرة أخرى بقيادته فلن نتركه بلا حساب ، سنحاسبه على آلاف الشهداء على جبال اليمن ، سنحاسبه على آلاف الشهداء في رمال سيناء ، انني أعلم انه يبذل كل جهده في تأجيل ساعة الحساب ، ولكن لن نتركه ، ولن يتركه هذا الشعب الصبور ، الذي أعطى بلا حدود وبلا مردود ، سنحاسبه على سجناء مصر ، سنحاسبه على هدم مصر ، لقد كنت اسمع قصص العذاب والتعذيب ولا أصدقها ، وأقول ان الزعيم عظيم ولكن المشكلة ، وبعض الفساد فيما حوله ، ولكن الرجل العظيم هو الذي يحيط نفسه بالعظماء .

زوجتي ..

أعلم انك ، أو ربما غيرك يحمل نفس أفكارك قد خرج يوم التاسع من يونيو يقول له .. لا .. لا تنحى واعلم ان الدموع الغزيرة قد انسابت من عينيك يوم التاسع من يونيو ، واعلم أن الشارع العربي في كل مكان من الوطن العربي قد خرج يقول له .. لا .. أيها الزعيم ابق مكانك ..

ولهذه عشرات التفسيرات .. بل مئات التفسيرات ، كما أن هناك فرق بين خروج الشارع المصرى والشارع العربي .

وقبل أن اعدد لك الأسباب .. اذكر ان تشرشل واجه مثل هذا الموقف في بداية الحرب العالمية بعد موقعة دنكرك .. ماذا قال تشرشل .. لم يقف ليتنحى .. ولم يذرف الدموع .. بل قال سوف نهزم في هذه المعركة .. والمعركة القادمة .. وربما الثالثة .. ولكن المعركة الأخيرة لنا .. الفاصلة لنا ..

ولكن زعيمنا .. وقف يبكى .. وينتحب .. !

لا انكر أن الشارع العربي له الحق في بكاء عبد الناصر ، وفي المناداة بوجوده ، فلقد أعطى لهم عصارة القلب المصرى ، وفي سبيلهم ، استشهد الآلاف من هذا الشعب ، يكفى مثلا شهداء اليمن .. اكثر من عشرين الف شهيد باضافة الى مليوني من الجنيهات يوميا تهدر على جبال اليمن . ويكفى بهؤلاء الشهداء سقطت اسوار اليمن الى الابد ، ويكفى أن بهؤلاء الشهداء يستعد الاستعمار البريطاني للرحيل من الجنوب والخليج العربي ، ويكفى ان السعودية ـ نفسها ـ قد ودعت مرحلة التقوقع ، وجاء الملك فيصل يبنى للناس المدارس والمعاهد ويشق الطرق ..

ولكن ـ زوجتى ـ ـ الثمن باهظ ، فان هزيمة الخامس من يونيو كانت اغلى من كل ما سبق ،كانت عارا على مصر وكل العرب .

زوجتى ..

بودى أن اترك رسالة لأجيال مصر ، اقول لهم فيها ، احرصوا أبدا على الحرية ، قولوا لا لكل خطأ ، الزعيم بشر مثلى ومثلك يصيب ويخطىء وان لا اله الا الله ، لا يوجد على الأرض آلهة ، ولن يرتفع بشر الى مصاف الآلهة .

بودى أن أقول للاجيال القادمة لا توجد ديكتاتورية عادلة ، فلقد خسرنا من دكتاتوريته كل شىء ، لقد تسلم مصر وهى بالشكل الآتى :

١ ـ الأمية تصل الى ٨٥٪ .

٢ ـ الفساد يدب فى دواوين الحكومة .

٣ ـ الجيش نصف مهزوم فى فلسطين .

٤ ـ الانجليز فى قناة السويس .

٥ ـ مصر تدور فى فلك الغرب .

٦ ـ هناك فى مصر مجتمع الأثرياء ، أو ما يطلق عليه مجتمع النصف فى المائة ممثلا فى الاقطاع ورأس المال المستغل ، فى مصر معارضة شـــديدة شعبية للبنود السابقة ، ويوجد قبل قيام الثورة فى ١١ فبراير عام ١٩٥٢ مقالا فى جريدة مصر الفتاة تقول « رعاياك يا مولاى » ، بمناسبة عيد جلوس الملك فاروق ، ونشرت صورة الفقراء والشحاذين . والآن .. ما هى صورة مصر بعد خمسة عشر عاما من حكم الزعيم ؟

١ ـ الأمية وصلت الى ٨٦٪ .

٢ ـ الفساد مستشرى فى دواوين الحكومة فى حماية الديكتاتورية وفى غياب حرية الصحافة .

٣ ـ الجيش هزم هزيمة ساحقة أمام العدو الاسرائيلى .

٤ ـ مصر الآن تحكم ـ رغم انفها ـ من موسكو .

٥ ـ انخفض دخل الفرد ، وظهرت طبقة جديدة ثرية الى درجـة كبيرة ، ولكن بلا عرق ، بل بالسرقة من أموال الناس ، بالاستفادة من غياب كافة الأجهزة الدستورية .

٦ ـ أزمة اخلاق طاحنة ، وهذا أخطر ما يواجـه مصر ، لا أحـد يكترث

لما حدث ، الأخ يحقد على اخيه ، تبخر الوفاء وانتهت الشهامة .
٧ ــ من شدة الفقر ، وشعبنا لم يكن فقيرا الى هذه الدرجة من قبــل ، بدأ الانحلال يتسرب الى الأسرة ليدمرها ، والتى هى عماد المجتمع .
٨ ــ النــــاس بلا آراء ، لا يوجد فى مصر ، سوى رأى واحــد ، ورؤوس متشابهة ، كل الناس دخلوا القالب ليخرجوا منه بفكر واحد ، بشكل واحد ، ومن يشذ عن هذه القاعدة لا يخرج ابدا .

كل هذا ، كانت اليمن احد أسبابه ، أو السبب الرئيسى فى كافة هذه النتائج ، هذه الأرض التى اكتب اليك منها رسالتى قد أدت بمصر الى ما وصلت اليه مصر الآن .

لقد خضنا حربا سرية ، وقتلنا بلا سبب ، انتحرت مصر فى سبيل ثورة السلال ، هزمت مصر فى سبيل ثورة سبتمبر ، كما حضرنا فى الظلام هنا نحن نستعد للرحيل فى الظلام ايضا ، واخشى كل ما اخشاه أن يبقينا هنا ، خوفا من ان نقوم بانقلاب عليه ، ولكن أقسم لك أن يوما ما ، ربما بعد ما ننتصر على سكان الضفة الشرقية لقناة السويس ، وربما نهزم أمامهم مرة أخرى ، ولكن حسابنا لا بد وان يكون عسيرا ، لا بد وان أسأله .. لماذا ذهبنــــا الى اليمن ؟ .. وماذا جنت مصر من حرب اليمن ؟ .. وما ثمن عشرين الف زهرة من شبابنا سنتركها وديعة فى أرض اليمن ؟ .. والأرامل .. كيف تعوضهن ؟ ؟ والمصانع التى توقفت ؟ .. وضرائب الناس وحرمانهم فى سبيل اليمن ؟ ..

بودى ان أقول له .. هل تستطيع أن تعوض جيلا كاملا احلى سنوات عمره ؟ .. هل يمكن أن تعيد الحياة لآلاف القتلى فى اليمن ؟ .. ولماذا ؟

لا ادرى كيف تتم عودة القوات من اليمن ؟ .. اننا لو أعطينا ظهورنا هنا ولو للحظة واحدة سوف نضرب برصاصة أو يرشق فى ظهــورنا خنجرا ، أن الانسحاب كالحرب تماما ، والا سوف نخسر نصف ما خسرناه فى اليمن ، ونحن هنا مازلنا فى المأزق ، ولا ادرى كيف يكون الحل .

الانجليز ــ زوجتى ــ فى الجنوب يستعدون للرحيل ، ويوجد فى الجنوب الآن أربع قوى تتصارع على السلطة ، قوة الحكام والسلاطين ، وهذه مرحلة انتهت من الجنوب ، وقـــوة حزب الرابطـة ، وهــو موال للسعودية ولذلك فان بريطانيا سوف ترفض تسليم السلطة للرابطة حتى لا يكون للسعودية نفوذ فى الجنوب ، وجبهة التحرير ، ورئيسها عبد القوى وهى ناصرية ، ولن تسلمها بريطانيا السلطة ، بل لن تشركها فيها ، وستبقى الجبهة القومية لتحرير الجنوب ، وهى جبهة يسارية ، على خلاف مع

السلاطين والحكام وحزب الرابطة وجبهة التحرير ، وعلى خلاف مع الزعيم ، ولذلك فان كل الاتجاهات تقول أن هـذه الجبهة هي التي ستحكم الجنوب العربي ! . .

ليظل التمزق هو السائد في الجزيرة العربية ؛

ولتظل مصر بعيدة عن الجزيرة العربية . .

ولتبدأ المعارك الاعلامية والتي قد تتطور بين الجنوب وجيرانه في الشـمال . .

والشمال حيث نكون . . أن هزيمة يونيو قد انستنى أحداث اليمن فيما بعد النكسة ، القتال يتوقف حتىالآن ، نحن نحارب لوجودنا ، نحارب قبل أن نموت ، نحارب حتى نخرج ، نحارب حتى نعود في الظلام .

وبصدق فان الرئيس السـلال حزين لما يجـرى في القـاهرة ، فان الرئيس السلال يتوقع خروج القوات المصرية من اليمن ، واذا خرجت هذه القوات خرج قبلها أو معها السلال ، نحن قد فرضنا على الشعب في اليمن هذا الرجل ، والشعب كان يريد غيره ، ولكن لا يستطيع أن يغير في الأمر شـيئا . .

لقد أصدر قائد القوات العربية في اليمن أوامره بالتجمع في نقط اقوى، حتى يمكن التحرك في وقت الى أماكن التجمـع في الطريق الى مصر الحزينة . . ربما كان هذا هو أول أمر للقائد الجديد فلقد وصلنا في يوليو ١٩٦٧ اللواء عبد القادر حسن ، ويبدو أنه هو الذى سيقودنا في الظـلام الى مصر .

والحقيقة ان رجال الأمن يبذلون جهدا كبيرا لمحاولة توزيع مسئولية الهزيمـة على غير مسـببها ، يجتمعـون معنا ، يقولون مرة أن الاتحـاد السوفييتى هو السبب ، ومرة أخرى أن الولايات المتحدة الأمريكيـة هي السبب ، ورابعة أن المشير عامر هو السبب ، وخامسة أن الرئيس جمال عبد الناصر قد حذر من هجوم اسرائيلي صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ، نفس موعد الهجوم الاسرائيلي .

ولقد قلت لأحد رجال الأمن . . الاتحاد السوفييتى برىء من الهزيمة، والولايات المتحدة بريئة من الهزيمة ، الهزيمة بدأت يوم ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ عندما أعلن راديو صنعاء الثورة ، وارسلنا قواتنا هنا على جبال اليمن . . من هنا بدأت الهزيمة .

وثار رجل الأمن .. وقال لقد جئنا نحمى ثورة .

وقلت له ..

لا أدرى .. هل كان من الضرورى حماية ثورة اليمن بانتحار مصر ..
واضفت له ..

كان هناك آلاف الطرق لحماية ثورة اليمن ، كنا نحاول بدلا من ست سنوات قتال ، نموت وندفن على جبال اليمن ، كنا نفكر فى ست سنوات بناء فى اليمن . اذا كانت القيادة المصرية حريصة على مصلحة اليمن أكثر من حرصها على مصلحة مصر .. كانت ارسلت جيشا من المدرسين والأطباء والمهندسين ..

ثورة اليمن كانت فى حاجة الى حماية سلامة .. لا الى قتال ..

وقال الرجل ..

— وهل كانت السعودية تسكت على ثورة اليمن ؟

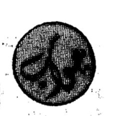
— السعودية حاربت للحفاظ على وجودها ، واضفت لرجل الأمن ..

— لو أن الجسور ممدودة بيننا وبين كافة الدول العربية بما فى ذلك السعودية لامكن توفير الرخاء لشعب اليمن وشعب مصر أيضا ، لو عشنا أعواما فى سبيل مصر لأمكن لنا توفير الرخاء والسلام والاستقرار لكل الأمة العربية ..

لقد ذكرنى هذا الرجل بمنتصف طريقى بين الشك والايمان فى الزعيم .. لقد كانت على وجهه علامات الموافقة على ما اقول .. مهما كانت وظيفته فهو مثلى مهزوم فى سيناء بقيادة الزعيم .

الأحداث لم تعد هنا هامة ، كلنا ننظر الى الأحداث فى القاهرة ، وماذا سيفعل بنا الزعيم .. واين سنكون .. ولكن المهم أن نعود بسرعة الى ارض مصر العزيزة .. فهى فى حاجة الينا أكثر من أى وقت مضى .. انى اسمع نداء مصر وأنينها والشوق اليها .. كما اتشوق اليك .

زوجك



الرسالة الثانية عشر

زوجى العزيز ..

أحداث القاهرة تتلاحق ، والناس تسأل اين قواتنا في اليمن .. ولكن أكثر الاخبار اثارة هو انتحار المشير عامر ..وكان المشير عامر قد اتفق مع الرئيس جمال عبد الناصر على تقديم استقالتهيما ولكن الناس اعادوا الرئيس عبد الناصر ..لذلك كان لا بد ان ينتحر المشير.. يقولون فى القاهرة أن المشير لا بد وان ينتحرحتى يمكن للرئيسجمال عبد الناصر الذهاب الى مؤتمر القمة فى الخرطوم لحل بقايا مشكلة اليمن .. وقبل أن يذهب الرئيس الي الخرطوم كان رئيس الجمهورية المقترح زكريا محى الدين محددا اقامتـــه فى منزله بالدقى ذلك أن بعض النـــاس قد علقت صورته بدلا من صـــورة عبد الناصر يوم التنحى .. والبعض قال أن الرئيس عبد الناصر لم يترك انسانا الا وناصبه العداء .. وأن المرحلة القادمة تحتاج الى وجه جديد يعبر الجسور بيننا وبين ثلاثة أرباع الكرة الارضية . لهذا كان لابد أن تحدد أقامة السيد زكريا محى الدين تماما كما انتحر المشير .

هذه هى الصورة السريعة ــ قبل سفر الرئيس الى الخرطوم .

وطبعا سمعت اتفاق الخرطوم .. واعتقد ان الرئيس سوف يحترم هذا الاتفاق .. لماذا .. ؟ لانه لا يملك عدم احترامه .. واسمع أسرار القاهرة عن قضية « الفصل الاخير » فىمأساة اليمن :

والفصل الأخير ــ زوجى ــ له ثلاثة ابطال ..

الأول .. ناصر .. وهو الآن فى وضع لا يملك غير القبول .. فهو يريد اعادة بقية القوات وعددها ــ بعد انسحاب جزء منهـــا ــ ٥٠ الف

مقاتل فى اليمن ، وهو الآن فى حاجة الى صيغة من التضامن العربى فى أقل صيغة .

الثانى .. فيصل .. وهو يريد أن تخرج القوات المصرية من اليمن .. وتبعد خطرها عن السعودية ..

الثالث .. وهو رجل صديق للرئيس عبد الناصر .. خفيف الظل .. لونه اسمر وقلبه ابيض .. ربما يكون العربى الوحيد الصديق لعبد الناصر الذى يقول له : لا .. لا لليمن .. لا لحرب العرب بعضهم بعضا .. وهو السيد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان .. وهو فى نفس الوقت على علاقة طيبة بالملك فيصل ، ولذلك فهو أنسب رجل لهذه المهمة ، والرجل يعشق جمال عبد الناصر .. لا ادرى لماذا ؟ .. وكم من مرة حاول تسوية قضية اليمن ، لأنه يؤمن أن لا شىء أخطر على حكم عبد الناصر غير وجوده فى اليمن ، لا شىء أخطر على وجود مصر كقلعة للوطن العربى غير حرب اليمن ، واذا جلست مع محجوب فانك لا تستطيع مقاومة اغراء صداقته ، ربما لخفة ظله ، ربما لثقافته السياسية العميقة ، ربما لفلسفته السهلة العميقة ، ربما لتعليقاته الذكية ، ولكن أهم من كل ما سبق بساطته وقلبه الأبيض ..

فى لقائه الأول مع عبد الناصر ، كان لديه الشجاعة ان يقول له .. لقد ارتكبت خطأ كبيرا بارسال قوات مصر الى اليمن ، وكان يقول له يبدو ان معرفتك قليلة بتاريخ هذا الجزء من الوطن العربى ، فان الامبراطورية العثمانية أيام مجدها وقوتها وازدهارها حاولت مرة أن تحتل اليمن — واسأل عزيز باشا المصرى والذى اشترك فى هذه الحملة — ولقد فشلت هذه الامبراطورية فى الاحتلال أو البقاء فى اليمن .

اليمن تركيبة — كما يقول محجوب — تاريخية وجغرافية ، ودينية وقبلية غريبة وخطيرة فى نفس الوقت .. كان هذا هو رأى محجوب ، وهو رأى بمخلص لم يسمعه ناصر الا من فئة اخرى ، هى « قادة أول حزب فى الجنوب العربى » ، كان محجوب يريد أن يخلص ناصر من توريطه فى حرب اليمن ، وفى عام ١٩٦٥ أبدى رغبته فى التوسط بين مصر والمملكة العربية السعودية .. ولكن محجوب لم يوفق فى اتمام هذه الوساطة ..

وفى الشهر الماضى — اغسطس ١٩٦٧ — لاحت بوادر امكانية التوسط مرة أخرى .. وكانت البادرة فى الخرطوم ، عندما اجتمع وزراء الدول

العربية لبحث « الخروج من الهزيمة والتمهيد لمؤتمر قمة عربى » ، وقد أثار السيد محجوب « الأزمة اليمنية » مع محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ــ وزير خارجية مصر ــ وبالمناسبة لا أدرى لماذا الغينا اسم مصر ، والذى ورد أكثر من مرة فى القرآن الكريم ؟ ولماذا نحن نقول حتى الآن : « متحدة » ومتحدة مع من ؟ ..

المهم .. أن رياض قال ان سبب فشل جهود السلام يعود الى الامبريالية العالمية ..

وقال السقاف ــ وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية ــ ان السعودية بذلت الجهود فى سبيل السلام ..

واستقر الرأى على رئيس وزير السودان ووزيرى خارجية مصر والسعودية على حل مشكلة اليمن انطلاقا من نقطتين :

١ ــ انسحاب مصر نهائيا من اليمن .

٢ ــ الشعب اليمنى يقرر مصيره .

٣ ــ السعودية توقف الدعم المالى للملكيين .

وعلى ضوء هذه البنود ، سافر محجوب الى جدة والقاهرة ، وفى جدة وجد محجوب بعض الصعوبات فى الحديث عن مسألة اليمن ، وأخيرا قابل الملك فيصل وتحدث معه فورا فى أمر تسوية مشكلة اليمن ، وكان اصراره نابعا من أكثر من واقع ، كان يريد أن ينهى خلافا تاريخيا .. وكان يريد أن يقول أن أحمد محمد محجوب قد استطاع خلال حياته السياسية ان ينهى خلاف السعودية ومصر ، وكان يريد للقوات المصرية أن تواجه الاسرائيليين بدلا من أن تواجه اليمنيين .

تحدث طويلا ــ زوجى ــ الرجل الأسمر ، طيب القلب ، تحدث عن حاجة مصر لكل مليم فى سبيل مواجهة العدو ، تحدث عن الحالة الاقتصادية المتردية فى سبيل اليمن ، تحدث عن اجتماع وزراء الخارجية فى الخرطوم ..

وقبل الملك فيصل اقتراحات الرجل السودانى ، طيب القلب ، وبدأ فورا مناقشة التفصيلات مع الرجال الأقوياء فى السعودية كمال أدهم والسقاف ورشاد فرعون .

واقترح محجوب اتفاقية مقبولة من كافة الأطراف أو على الأقل من طرف ناصر ..

واقترح كمال ادهم اتفاقية اخرى ترضى الملك فيصل ..

وذهب كمال ادهم بالاتفاقيتين الى الملك فيصل اتفاقية محجوب ، رغبة منه فى أن تكلل مهمته بالنجاح ، ورغبة منه فى قبول مصر بهذه الاتفاقية .

وذهب محجوب يشكر الملك على قبوله بهذه الاتفاقية ، وجد أن الملك فيصل قد قبل الاتفاقية فى سبيل شعب مصر ، وانه يكره عبد الناصر كراهية التحريم ، لأنه يرى فى عبد الناصر انه على غير ما يعرفه الناس ، أنه غادر حتى باقرب المقربين اليه ،انه لا يرى الا مصلحته فقط ،مصلحته الزعامية والشخصية ، وان عبد الناصر سوف يقبل بهذا لأنه لا يملك الا القبول . وقد يماطل ، قد يجادل ، قد يمرض بالوهم ، ولكن الحقيقة أقوى من كل ماسبق الحقيقة ، انه قائد نكسة ، وانه أمر بانتحار أعز أصدقائه ، وانه لا يثق الا فى نفسه ، وانه لا يخدم الا « ناصر » ، ولكن لا بد أن يقبل ، فلم يعد فى وسع مصر المسكينة المظلومة ، المهزومة بقيادة ناصر الا قبول هذه الاتفاقية .

وكان محجوب سعيدا بأنه أحرز تقدما ، فسافر الى القاهرة ، وكان فى استقباله زكريا محى الدين رئيس الجمهورية المقترح من الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان عبد الناصر فى استقباله ، كان متلهفا للقاء طيب القلب ، وقابله على الفور .. وقال له محجوب هذه البداية .. أو هذه جدول أعمال بينك وبين الملك فيصل فى مؤتمر الخرطوم .

وقال له ، عبد الناصر ..

ــ لن احضر مؤتمر الخرطوم ..

ــ لماذا .. سيدى الرئيس ..

ــ لو سافرت .. فان زكريا محى الدين سوف يقوم بانقلاب ضدى ..

ــ لا .. لا اتصور ذلك .. فان البلاد تحتاج الى شجاع .. الى مغامر كى يقوم باستلامها .. اننى ارفض ان اكون رئيسا لجمهورية مصر .

ــ لماذا ؟

اولا : .. مطلوب منى ان احقق نصرا عسكريا على اسرائيل وهـذا مستحيل ، مطلوب منى أن أعيد للمصريين كرامتهم ، وهـذا مستحيل ، .. فارجـو أن تشير الى هلم ذلك المجنـون الذي يستطيع أن يحقق كل ما أفسدته السنوات الطويلة الماضية .

واضاف محجوب ..

ــ لا تخف .. اذهب الى القمة .. وبدات مرحلة جديدة .. بدات يوم ٢٥ اغسطس عندما ذهب ناصر الى الخرطوم ، واليك ــ زوجى ــ القصة ــ قصة وجودنا فى اليمن ذهب ناصر الى الخرطوم ، فى بيت محمد أحمد محجوب بدأت المباحثات بين ناصر والملك فيصل .. وقد قال عبد الناصر للملك فيصل ..

ــ اننى موافق على اى شروط ، ولكن لى طلب واحد فقط ، وهو الا تعود أسرة حميد الدين لحكم اليمن مرة أخرى ..

وقال له الملك ..

ــ أسرة حميد الدين كانت عدوة لى على مدى أربعين عاما ..

وقال الأمير سلطان ، وكان قد حضر هذا الاجتماع ..

ــ ان أسرة حميد الدين لن تعود .. لقد فقدت الأمل ..

وقال عبد الناصر :

ــ نقطة اخرى .. مصر لم يعد لديها سفن لنقل الجنود .. فهل تساعدنا المملكة العربية السعودية

ــ استأجروا السفن .. ونحن ندفع .

وكان أمرا غريبا ، طلب عبد النـاصر أن تقوم السعودية بدفع ايجار السفن التى سوف تعيـدكم الى أرض مصر ، ثم بدأ مناقشـة اتفاقية الخرطوم .. كان الملك يعلم ان عبد الناصر جاد هذه المرة فى سحب القوات .. وانتهى الاتفاق .. حرصا على تنقيـة الجو العربى ، ودعما لاواصر المودة والاخاء بين الأشقاء العرب ، ورغبة فى حسم مشكلة اليمن ، فقـد تم الاتفاق .

اولا : على تكوين لجنة ثلاثية كأداة تناط بها مهمة معـالجة المسـألة ويتم تكوينها باختيار ــ المملكة العربية السعودية لاحدى الدول العربية ، واختيار الجمهورية العربيـة المتحدة لدولة عربية ثانية وأن توكل الدولة الثالثة الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم أو بالاتفـاق بين الدولتين .

ثانيا : تكون مهمة اللجنة وضع التخطيط الذى يضمن انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن ووقف المساعدات العسـكرية التى تقدمها المملكة العربية السعودية عن جميع المدنيين .

ثالثا : على اللجنة أن تبذل مسـاعيها لتمكين اليمنيين من التحالف لتحقيق الاستقرار وذلك مع رغبات أهل البلاد الحقيقية وتثبيتا لحق اليمن فى السيادة والاستقلال الكاملين .

رابعا : على اللجنة أن تستشير كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى كل ما يعرقل مساعيها بعية تذليله والتوصل الى تفاهم ترضاه الأطراف العربية المعنية لكى تزول مسببات هـذا النزاع وتصان الدماء العربية ، وتدعم الصف العربى ، ويعم الصفاء .. وتكونت اللجنة الثلاثية من العراق والمغرب والسودان ..

لك ان تضحك ــ يا صديقى ــ السلال يعارض الاتفاقية ، وسألوه .. اى بند تعارض .. فقال .. كل البنود .. كان لا بد أن أحضر الاجتماع .. وكان السلال يرفض خروج القوات العربية من اليمن ، لقد أقام السلال جسورا من الكراهية بينه وبين فئات كثيرة من الشعب اليمنى ، وكان يشعر انه لو ترك وجها لوجه مع الشعب اليمنى ، فسوف يثأرون منه ..

انتقلت اللجنة بعد اجتماع الخرطوم لتعقد اجتماعها فى بيروت فى ١٧ سبتمبر ، وكان يمثل السـودان السيد محمد احمد محجـوب ، ويمثل المغرب أحمد العراقى وزير خارجيتها ، ويمثل العراق اسماعيل خير الله وبدأت اللجنة تستمع فى بيروت الى شهادات كبار اليمنيين استمعت الى محسن العينى ، والى أحمد الشامى والى أحمد النعمان ، واحمد محمد باشا ، وقاسـم الوزير وعباس الوزير ، ولكن لمـاذا ببيروت ؟ لأن البعض ممنوع من دخول القاهرة ، والبعض ممنوع من دخول السعودية ، ومعظمهم ممنوعين من دخول صنعاء .

وسافرت اللجنة بعد ذلك الى صنعاء عن طريق القاهرة ، واعتقد انك اقدر فى معرفة ماذا فعلت اللجنة فى صنعاء لكى تجتمع برجال اليمن .

مسألة مخزية ، ومضحكة ، الرجل الأسمر طيب القلب سأل فى صنعاء عن ثلاثة من القيـادات الجمهورية هم : حسن العمرى الرجل القـوى ، وأحمد محمد نعمـان ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى .. وعلم انهم فى القاهرة ، وفى القاهرة علم أن العمرى فى السجن الحربى ، ونعمان معه ، والاريانى محددا اقامته فى منزله .

وتعجب الرجل من سجن يمنيين كبار فى سجون مصرية يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، يحتلون مناصب كبيرة ، عاشوا الثورة ، واختلفـوا فى الأسلوب ، ولكنهم متفقون على بقاء الجمهورية ..

زوجي ..

.. هل هناك قانون يقول ذلك .. ؟ هل اليمن افقدتنا معرفة الصواب من الخطـــأ ..

وذهب محجوب لمقابلة عبد الناصر .. وقال له :

ـــ اريد ان ارى الزعماء اليمنيين الثلاثة ...

فقال له الزعيم ..

ـــ اثنان منهما فى السجن ، والثالث فى بيته .

ثم أضاف الزعيم ..

ـــ ويمكنك الآن أن تستمع اليهما فى السجن .. سأرتب لك ذلك ..

وابتسم محمد محجوب ابتسامة سخرية ..

ـــ سيدى الرئيس .. ما هو الضمان اذا دخلت لرؤيتهم فى السجن ، أن يغلق من خلفي الباب ، ويستضيفني مدير السجن في حجرة مجاورة .

فقال ناصر ..

لا .. لا تخف .. لن اسجنك .

ولكن الرجل الطيب الأسمر ، لم يثق فى هذا الضمان ، وطلب رؤيتهما فى قصر الطاهرة حيث ينزل ضيفا على الحكومة المصرية ، وبعد يومين جاء الثلاثة الى قصر الطاهرة .. وبدلا من السؤال عن احوال اليمن سألوا عن النكسة ، والحكاية من أولها الى آخرها ، ثم سألوا عن اليمن ، والسلال ، والقوات المصرية الموجودة ، وجاء موعد الغداء .. وكانت لحظة انسانية قاسية .. قال محجوب لليمنيين الثلاثة تفضلوا الغداء ..

ورد الرجل المسن ..

ـــ هل حقا يمكن تناول الغداء مع لجنتكم الموقرة ..

فقال محجوب ..

ـــ طبعا ..

والتفت الرجل يمينا ويسارا .. وقال اخشى بعد الغداء أن أدفع ثمنه .. والثمن هنا غالي جدا .. وتناول الجميع الغداء ..

هنا ـــ زوجي ـــ أريد أن اخبرك بأمر ما عن النفس البشرية .. فى احدى رسائلك قلت لى أن الشعب لم يقاوم الظلم .. وأقول لا يوجد شعب قاوم مثلما قاوم الشعب المصرى ، ان السجون كانت كصالة عرض كاملة العدد على مدار السنة .. ولكل انسان قدرة على المقاومة .. ها هو النعمان ..

له تاريخ فى النضال يخشى الجلوس مـع اللجنة الثلاثية لتناول الغـداء ، خوفا مما قد يحدث له فى السجن فما بالك أن كل هامة ارتفعت فى مصر على مدى السنوات الماضية ذهبت الى هذه الصالة الكاملة العدد ليخرج منها انسان آخر .. رجال برؤوس من المصيص ..

لا تظلم شعبنا أبدا .. انه طيب .. وصبور .. ومقاوم .. انه شعب احبطه الزعيم ، لقد وضع الشعب فيه كل الأمل ، واستطاع الزعيم أن يجعله ينتظر .. وينتظر .. وينتظر شيئا ما وبعد طول انتظار .. وجد الخراب .. والضياع .. والهزيمة واليمن .

المهم ــ زوجى ــ اللجنة انهت مشكلة اليمن ،

وقررت :

٢ ــ أن التسوية تعيد السلام والاستقرار لليمن .

وسافر وزير خارجية العراق الى بغداد ، وسافر وزير خارجيةالمغرب الى الرباط ، وسافر محجوب الى الخرطوم ..

وعلمت أن الرئيس جمال عبد الناصر قد أرسل مندوبا عنه الى اليونان لاستئجار سفن لنقل القـوات المصرية من اليمـن ، كما علمت أن بعض القوات وصلت فعلا ببض المراكب والطـائرات المصرية من اليمن ، مودعة والى الأبد هذه الارض التى ابتلعت فى جوفها ٢٠ الف زهرة دفنت هناك ..

لم يبق الا ان تأتى .. وتضع ستارا كثيفا على الرحلة السوداء التى بدأت منذ سنوات وانتهت بطريقة مأساوية ، دفعنا نحن فى مصر ، رجالا ونساء ، وأطفالا ، وشيوخا ثمنا غاليا ، لهذه الرحلة التعيسة .. بانتظارك فى بلدى دائما .

زوجتـك



الحديدة فى اول ديسمبر ١٩٦٧

زوجتى .. يا زوجتى ..

يا أختى .. يا أمى ..

يا زوجة كل مقاتل ..

يا أخت كل شهيد ..

يا أم كل زهرة مصرية دفنت هنا ..

حكايتى اليمة ..

فصولها اليمة ، كأعنف ما تكون المأساة ..

كنت اعلم انها نهاية اليمة ، ولكنى لم اكن أعلم انها ستكون اليمة الى هذا الحد .

كنت أتصور النهاية فى صنعاء .. وليست فى سيناء .. ولكنى أخطأت فبداية المأساة فى صنعاء ونهايتها فى سيناء ..

آه .. تسالينني فى رسالتك الأخيرة عن اللجنة الثلاثية وماذا فعلت فى صنعاء ؟..

تسالينني ، لأن الحقيقة فى القاهرة عليها طبقات كثيفة من الضباب ، لأن الناس فى القاهرة لم يصدقوا ما يقوله الحكام والمسئولين ..

الحقيقة عن اللجنة الثلاثية جاءت الى صنعاء ، هى رحلة مأساوية فى فصول رواية من الماسى المستمرة .. فيبدو أن جيلى هذا قرر أن يعيش عصر المأساة ..

جاء محجوب والعراقى وخير الله الى صنعاء ، ومعهم الفريق فوزى ، وأعلن عن وصول اللجنة التى ستصل لاحلال السلام فى اليمن ..

وحاول محجوب أن يتصل بالسلال .. الا أن رئيس الجمهورية تهرب من مقابلة لجنة السلام ..

ساعات .. بعد المحاولة .. وانطلقت فى الشوارع المظاهرات التىحركها السلال .. مظاهرات يتقدمهـــا على ابن رئيس الجمهورية .. المظاهرات تهتف ضد السلام .. ولجنة السلام .. ومصر .. وقوات مصر .. وعبد الناصر .. ومحاولته للخروج من اليمن ..

وجاءت المظاهرات الى مقر القيـــادة المصرية فى صنعاء .. واطلقت الرصاص .. فاستشهد أحد الحرس .. وبدأت القوات المصرية تطلق فى الهواء رصاص .. وابتعدت المظاهرات عن مقر القيــادة .. واتجهت الى شوارع صنعاء ..

وفى الشوارع أصبح هناك تجارة وتجارا .. وفى داخل بعض المتاجـــر جنودنا بلا سلاح .. يشترون هدايا العودة .. بعضهم سيرحل الى الحديدة فى المساء ليغادر هذه الأرض الى الأبد فى الصباح ..

كل الجنود يحملون هدايا جميلة والتى امتلأت بها متاجـــر صنعاء ، واقتحم المتظاهرون المتاجر ، واطلقوا الرصاص على جنود مصر ، ومات الكثير وأيديهم قابضة على الهدايا ، وانتهى معهم حلم العودة ، ولقاء الأسرة والجلوس فى « العصارى » تحت شجرة التوت امام ضفاف النيل ..

سقط – بأيدى السلال – هذه المرة ٣٧ مصريا ، وفى أيديهم كل شىء ، الا البنادق ، وعشنا الحزن كله ، كيف يموتون فى شوارع صنعاء ، وبتحريض من رئيس حموه بأرواح عشرين ألف رفيق استشهدوا على هذه الأرض ! ..

مات السلام فى اليمن .. وفشلت لجنته فى اللقاء بالسلال .. وعادت الى القاهرة على الفور بعيدة كل البعد من بحور الدم فى صنعاء ..

لا ادرى لماذا كان الحزن شديدا على هؤلاء ؟ ..

لا أدرى لماذا بكوا الجنود بالدموع كالنساء على هؤلاء الرجال ؟

بل لا أدرى لماذا لم نتركهم – كما ارادوا – ان يثأروا بهؤلاء الرجال ؟ ..

لا أدرى .. والالم كان ضاعفا هذه المرة ..

وفى الصباح .. وحتى لا يفلت زمام الموقف من أيدى القادة وتحـــدث مذبحة فى صنعاء بأيدى رفاق سلاح شهداء الثالث من أكتوبر عام ١٩٦٧ ، أسرعنا فى الاتجاه الى الحديدة استعدادا لمغادرة بلا عودة ..

هل تعرفين السعادة المرة ؟ ..



سقط بأيدى السلال هذه المرة ٣٧ مصريا وفى أيديهم كل شيء الا البنادق . سقطوا بتحريض من رئيس حموه بأرواح عشرين الف رفيق . .

أنا أعرفها .. وكنت أراها في عيون الجنود العائدين الى أرض الوطن ..
كانوا جميعا سعداء بمرارة .. سعداء بالعودة الى أرض مصر ..

بدأت البواخر المصرية واليونانية تصل الى الميناء وتحمـل الجنود فى طريقهم الى مصر العزيزة واثناء ترحيل القوات .. حدث أمر هام فى صنعاء .. أتصور انه نشر فى سطرين في الصفحة الأولى ولهـذه الأسطر الثلاثة قصة ..

بعد رحيل القوات المصرية من صنعاء ، واستعدادها للعودة الى مصر نهائيا ، قرر السلال ان يبحث على حكومة بلهاء ترسل له قوات لمساندته بدلا من القوات المصرية ، وقرر ان يمر أولا على القاهرة لعله يقنع الزعيم بعدم سحب القوات المصرية من اليمن ، واذا فشل يذهب الى موسـكو يحضر احتفالات أكتوبر ، ويأتى بقوات سوفياتية ..

تصور السلال أن هناك حكومة بلهاء كالحكومة المصرية .. وعرض فى القاهره الامر على الزعيم .. فرفض .. لأنه لا يملك ان يوافق .. فاتجه الى بغداد .. وأثناء وجوده فى بغداد استولى الجيش على السلطة فى صنعاء، واسند الجيش الرئاسة للقاضى عبد الرحمن الارياني ، والذى عاد منـذ اسابيع من سجنه بالقاهرة ، فلقد كان محددا اقامته ، واسند الى اثنين من ضيوف السجن الحربى فى مصر مسئولية قيادة الدولة فى المرحلة القادمة ، وهما حسن العمرى والنعمان .

يعنى أن النظام الجديد بقيادة ثلاثة لا يمكن أن يتفقوا مع القيادة المصرية، الرئيس حددت اقامته لمدة تزيد عن عام فى بيت بالقاهرة ، واثنين عاشا فى العذاب فى السجن الحربى لمدة تزيد عن عامين .

ولكن الحق يقال .. لقد ارتفع القاضى اليمنى فوق الاحداث وارسـل الى الزعيم برقية ــ بالطبع لم تنشر فى الصحف المصرية لانها تشـير الى حوادث الثالث من اكتوبر عام ١٩٦٧ ــ تقول الرسالة :

« بعد صبر طويل على عبث السلال ، والذى كان آخره احداث الثالث من اكتوبر التى ذهب ضحيتها اخوان أعزاء ، وجللت وجه اليمن بالخـزى والعار ، قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية ، ولقـد قامت القوات المسلحة بالمهمة بكل هدوء وسلام ، لم ترق قطرة دماء واحدة ، ولقد تجاوب الشعب اليمنى من أقصاه الى أقصاه ، ويهمنى أن أؤكد لسيادتك حرص الجمهورية العربية اليمنية حكومة وشعبا على الاحتفاظ بأقوى العلاقات مع

شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، والعمـــل على تأكيد أواصر الصداقة بين الشعبين ، وسوف يظل الشعب اليمنى أبدا ودائما ذاكرا جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقـدير واجلال .

وفى نفس الوقت أرسل القاضى الايريانى وفدا على مستوى رفيع لمقابلة اللواء عبد القادر حسن قائد القوات العربية ، ليقدم لنا العزاء فى شــــهداء الثالث من اكتوبر . .

وقدم الوفد العزاء . . وفتح الوفد الجراح . . وعاد الوفد الى صنعاء . .

والآن نستعد للعودة . . سأعود . . كما ودعت مصر فى الظلام . . سنبحر بالبواخر فى البحر الأحمر . . وننزل على الشاطىء المصرى بعيدا عن الطائرات الاسرائيلية ، سننزل فى موانىء بلا اسماء . . شبه الميناء الوحيد ، والذى يحمل اسما . . اسمه « منطقة أم الغصون » . . وهى منطقة فى مواجهــة ادفو . . ومن هذه المنطقة نسير برا الى المدينة . . ومن ادفو نضيع فى زحام مصر ، مع المظلومين ، مع المقتولين ، مع ضحايا عصر المأساة . .

وأراك يا بلادى ـ من جديد ، برؤية جديدة ، بعيون هدتها المأســاة ، بعقل ثائر من لمسة للفساد وأراك ـ يا مصر ـ وأطلب منك الرحمة والغفران فلقد ظلمتك أكثر من خمسة عشر عاما . .

فلقد رأيتك باكية ـ عبر السنوات الماضية ، ولم اقدر دموعك الغالية . .

رأيتك خائفة من المستقبل ، وكنت لا أدرى انك تعلمين مدى سواده . .

رأيتك تباعين بلا ثمن وكنت أتصورها التضحية .

رأيتك خادمة فى بيوت الجوارى ، عاهرة فى بيروت ، ولم أعلم أن الثمن سيكون باهظا جدا الى هذا الحد .

رأيتك فى السجون ، والمعتقلات الرهيبة تساقين كل أنواع العـــذاب والتعذيب ، تطلبين الرحمة ، وكنت أتصورك غبية تقاومين الحق .

رأيتك أسيرة فى غابة ، وبالغابة أسد واحد ، قاتل ، جائع ، حاقــد مستبد ، وكنت أرى فى ذلك النظام .

رأيت على شفتيك سخرية الأسى ، كنت أضحك بلا بكاء على سخريتك .

رأيتك هاربة الى العالم كله ، تنشدين لهم انشودة العصر ، تضعين لهم حضارة العصر ، وكنت أرى فى هروبك خيانة .

رأيتك تصعدين بالعلم الى القمـــر على مركبة أمريكية ، وكنت اتهمك بالتخريب .

مغفرة .. ومعذرة .. فلم اكن اراهم بلا اقنعة .. كنت اراهم دائما بقناع خلف ميكرفون .. يكذبون ويكذبون .. ويكذبون .. واصدق كذب ما يقولون .. وعشت فريسة لقول كاذب .. عندما سقطت عنهم الاقنعة .. بل وورقة التوت ، كان منظرهم بشعا يثير الغثيان .

زوجتى ..

جاءنى هنا ، رجل عجوز ، طاعن فى السن ، مســتحيل ان تعرفى متى ولد ، ومتى يموت .. جدير بالاحترام .

وسألته .. لماذا جئت الى اليمن ؟

قال .. ابحث عن نبيل ..

وقلت .. ومن نبيل ؟ ..

قال .. ابنى .. الا تعرفه ؟ ..

قلت .. ما شكله ؟ ..

قال .. جميل جدا .. ليس بقصير .. ولا بطويل .. عيونه جميلة بشرته سمراء .. يضحك .. يضحك كثيرا .. يحب كل شىء .. الحيــاة .. الحب .. الموسيقى .. الاشجار .. ومياه النيل

قلت .. وهل جاء هنا ؟ ..

قال لا ادرى .. كل ما استطيع ان اقوله .. انه ذات يوم .. ارتدى بذلته العسكرية .. وترك زوجته .. وأولاده .. واتجه الى مكان ما .. ولم يعد ، انتظرته طويلا ولم يعد ، كتبت له ، وكتبت لى رســـائل كثيرة ولم يعد ، وكان لا بد ان يعود ، لاننى اعرف انه يحب الحياة والسلام ، والموسيقى ومياه النيل ولكنه لم يعد .. ذهبت الى سيناء ابحث عنه فلم اجده ، فى مياه القناة فلم اجده ، بين الاسرى فلم اجده ، بحثت عنه فى السجون فلم اجده، فجئت هنا أبحث عنه لانه لا بد ان يعود .

— وكيف خرجت من مصر وجئت لليمن ؟

فقال ..

— الصحافة والصداقة .. صحفى ورجل فى القصر .. عرضت على صديقى رحلتى لليمن ، فنصحنى باقصر الطرق الى صـــنعاء ، ارسل لى

صحفى التقط لى بعض الصور ،وقلت له جملة فى ثلاث كلمات فقط « أريد العلاج بلندن » ، وفى الصباح وجدت صفحة كاملة أقول فيها كلاما لم اقله .. هل تتصور اننى سعيد بغياب نبيل ، هل تتصور ان اقـــول غياب نبيل فى اليمن أو غـيرها وطنية وقوميـــة ، كل هذا قلتـه ولم أقوله ، وذهبت لأقول اننى لم اقل ولم يسمعنى أحد . الا أن القصر وافق على سـفرى ، وذهبت الى لندن ، ومنها الى صنعاء ابحث عن نبيل .. ونبيل لا بد وان يكون هنا .. يضحك بصوت عال فى مكان ما على هذه الجبال . سأحتضنه واخبره بالا يصدق هؤلاء الرجال الذين يرتدون الاقنعـة ويجلسون خلف الميكروفونات .. سأعيده معى ولن اتركه يرحل أبدا .. سأقول له لا تقرأ الصحف .. ولا تسمع الراديو .. وأغلق صندوق الكذب ولا تشاهده .. واكتفى بسماع بتهوفن فهو لا يكذب ابدا .

قلت له .. سيدى .. نبيل مات ؟ ..

فقال .. لا .. نبيل سأعيده معى .. وسأطلب منه أن يكسر صـندوق الكذب .. ومذياع النفاق .. ونشرات الصباح الصفراء .. نبيل ــ يابنى ــ لا يموت .. ربما يعيش الآن فى مقبرة تتسع لألف أو عشرين الف .. ربما تكون جمجمته فوق الجبال وقفصه الصدرى فى الوادى .. وذراعه فى مدينة ولكنى أبوه ، خبير فى جمع عظامه ، سأجمع عظامه ، وأعيده .

وتركنى الرجل وذهب لمهمته المستحيلة ليجمع نبيل من فوق الجبـال والوديان والمدن ، يعيده الى مصر ، ليعيش من جديد ، ليحطم صـــندوق الكذب ، ويمزق أوراق النفاق ، ثم يغنى لمصر والحب والحياة .. تحت الأشجار الخضراء على ضفاف النيل ..

ومرت الأيام .. وجاء دورى فى صعود الباخرة فى طريق العودة وأنا أفكر فى ذلك الرجل الذى جاء يبحث عن نبيل ، وقبـــل أن أصعد على السلم اعترضنى رجل من هؤلاء الذين يرتدون النظارات السوداء على أعينهم ..

وسألنى ..

ــ ماذا ــ أيها القاتل ــ ستقول لهم فى مصر ؟

ــ وماذا تريد أن أقول ؟

ــ تقول .. انك انتصرت .. وكسبت .. ولم يمت أحد على هذه الجبال .. ولم ننفق شيئا فى هذه الأرض ..

وابتسمت .. ثم ضحكت .. وضحكت عاليا .. وقلت له وقد اختفت الابتسامة والضحك ..

ـ لا .. لا سيدى ..

فحكايتى مؤلمة ..

قصة طويلة دامية ..

سأقولها .. ربما اليوم .. ربما فى السبعين .. وربما فى الثمانين ..

ولكننى أعاهدك أننى ـ رغم أنفك ـ سأقولها ..

سأقولها لشعب اليمن ..

سأقولها لهذا الجيل .. ولكل جيل ..

سأقولها للزعيم .. لكل زعيم قادم ..

سأقولها حتى لا تتكرر المأساة ..

سأقولها للأرامل ، والشهداء والسجناء فى المعتقلات ، والمهاجرين من شدة الخوف والخادمات فى بيوت الجوارى .

سأقولها حتى ترتفع الهامات ، وتعود مصر تعطى للعالم حضارة ، وتلحق بالعصر ، وتقود بلا اكراه .

سأرددها فى كل مكان وزمان ..

فهى حكاية بسيطة ، حكاية شعب كاد أن يموت من شدة الطغيان ، حيث أرسل الزعيم أحلى الزهور لتموت فى بلاد بعيدة ، بلا سبب ويموت معهـا الزرع والآلة والانسان .

حكايتى ـ سيدى ـ اليمة ..

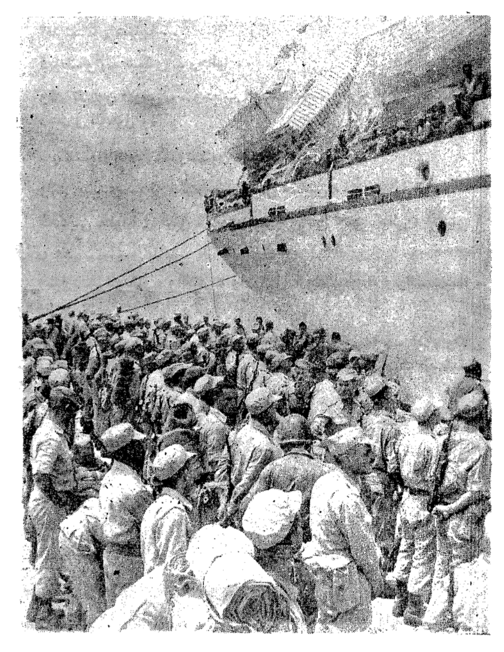
نهايته اليمة ..

فصولها اليمة ، كأعنف ما تكون المأساة ..

ومأساتى ـ سيدى ـ بدأت فى صنعاء ، وانتهت فى سيناء ..

عفوا ـ سيدى ـ ربما تكون سيناء فصل من فصول المأساة ..

اتركنى ـ سيدى ـ اصعد وأعود ..



هل تعرفين السعادة المرة .. أنا أعرفها .. وكنت أراها في عيون الجنود العائدين الى أرض الوطن .. سعداء بمرارة بالعودة الى أرض مصر ..

واتركوا ـ سيدى ـ مصر .. فكفاكم اغتيال تاريخها ..

واسمع ـ ولو مرة ـ كلمة صدق ..

قد تغتالون شبابها ..

قد تغتالون ـ سيدى ـ رجالها ..

وقد تغتالون الأرض .. وحبات الرمـــل .. والرجال فى المصانع .. والفلاحين فى الحقول ..

قد تغتالون القمر .. وتطفئون الشمس ..

ولكنى سيدى .. لن تستطيعوا اغتيال حكايتى ..

فحكايتى محفورة فى قلبى .. ممزوجـــة فى دمى ، تهز كيانى ، تبكينى ، تؤلمنى ..

سارددها للصغار ، والكبار ، والأرامل ، والشـــهداء ، والســـجناء ، والجائعين ..

سأقولها للشعب مصر ، ربما اليوم ، وربما غدا ، وربما بعد غد ، ولكنى سوف أقولها ، فهى حكاية بسيطة .. حكاية شعب كاد أن يموت من شدة الطغيان ..

((زوجـك))

للمؤلف

١ ــ القدس : عربية عبر القرون نفذ ١٩٦٧

الناشر : الهيئة العامة للكتاب

٢ ــ الزهور تدفن فى اليمن نفذ ــ طبعة أولى ــ ١٩٧٣

الناشر : دار السياسة الكويتية

٣ ــ الخليج فوق بركان تحت الطبع

الناشر : المركز العربى للصحافة ــ القاهرة





باسم اسوار اليمن التي رفعت والى الابد ..

باسم الرسالة التي قام بها اعظم شبابنا على أرض اليمن .

باسم العطاء والمال والعرق والدموع والدم المصري .

باسم الحياة التي بدأت في اليمن .

باسم آلاف الشهداء الذين دفنوا على جبال اليمن .

لي رجاء .. من الحكومة اليمنية .. أي حكومة .. ورجائي بسيط هو : ان تجمع ما تبقى من عظام شبابنا العظام ، وتبني لهم مقبرة تليق برسالتهم ، لتكون كعبة للعطاء ، وتكتب على هذه المقبرة :

هنا .. يرقد اعظم الرجال .. واشجع الرجال وانبل الرجال .. هنا يرقد شباب مصر في سبيل اليمن .

و ١٠

الثمن
١٠٠
قرشا

النـــــاشران

دار الـوطن العـــربى
٢٥ شـــارع عـــرابى
تليفـــــــون ٤٨٤٤١
القـــاهرة

المركز العــربى ل...
٣٣ شـــارع قص...
تليفـــــــون
القـــاهر...

مطابع دار الشعب بالقاهرة